فارس الحقوق

رواية

عمر والي

اسكرايب للنشر والتوزيع
2022

اسم الكتاب : **فـــــــــارس الحقــــــــوق**
تـــــــــــأليف : عمـــــــــــر والـــــــــــي
إخـــراج فنـــي : هيـــــــــام فهـــــــــيم
رقـــم الإيـــداع : **2022/11491**
الترقيم الدولي : **978-977-6955-87-5**
الناشـــــــــــر : اســـكرايب للنشـــر والتوزيـــع

002 01005079256 **Scribe20199@gmail.com**
اسكرايب للنشر والتوزيع جمهورية مصر العربية

حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار اسكرايب للنشر والتوزيع

- لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة
بأي شكل من الأشكال
ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية –

رابط صفحة المؤلف

www.facebook.com/wallyomar99/

تنويه

أحداث هذه الرواية تقع عام 2011م.

إهداءٌ

إلى كلِّ باحثٍ عن الحقيقة،

متطلِّعٍ إلى تحقيقِ العدل،

راغبٍ في إحقاقِ الحق..

إليك أطيب تحياتي.

شكرٌ واجبٌ

إلى والديَّ..

فلولا أنتما ما كنتُ أنا..

أطالَ اللهُ بقاءَكُما،

وأحسنَ أعمالَكُما.

الفصل الأول

على أصوات العصافير التي كان صوت تغريدها يطرب آذان السامعين، وفي صباح أحد الأيام الهادئة، استيقظ من سباته العميق فارس، والذي قد مرت أربعة أيام على إتمامه العشرين من عمره.. وأخذ في النظر إلى ساعة غرفته ليجدها تشير إلى السابعة والنصف صباحًا، حينها أدرك أنه سيتأخر لا محالة على محاضرته، فانتفض من فراشه مسرعًا يسابق الزمن صوب دورة المياه، وبعد أن انتهى أخيرًا ممّا كان سببًا في دخوله إلى دورة المياه، قام بغسل وجهه وأخذ في مداعبة أسنانه بتلك الفرشاة السلسة والتي تلاطف أسنان مستخدمها، ثم قام في عجالة من أمره، حيث لم يدرك عقله ما تفعله قدماه، وتوجه إلى خزانته الضخمة المليئة بشتى أنواع الملابس، وظل واقفًا برهة من الزمن متحيرًا ما سيرتدي؛ وقع اختياره على سروالٍ أبيض اللون ومعه قميص أسود، وبدأ في ارتدائهما في فترة وجيزة لم تتجاوز الدقيقة، وبعد ذلك ارتدى حذاءه الأسود اللامع، والذي كان سواده لا يختلف عن سواد قميصه، ثم أمسك بزجاجة العطر، متعطرًا بتلك الرائحة الفريدة من نوعها، التي لم يضع أحدٌ قطُّ مثلها في جامعته –جامعة القاهرة– حيث كان ذلك العطر باهظَ الثمن، وكان يضع قليلًا منه في زجاجة صغيرة لا تغادر جيبه أثناء تواجده خارج المنزل، ويترك الزجاجة الكبيرة في غرفته، وكلما فرغت الزجاجة الصغيرة، يعود ويملأها مرة أخرى؛ وبعد أن انتهى من تمشيط شعره السلس الناعم، والذي كان ينساب على بشرته البيضاء الصافية، قال بصوت مرتفع: "مصحتينيش بدري ليه؟! كده هتأخر أكيد".

بدا فارس مندهشًا، وذلك عندما لم يجد إجابة عن سؤاله، وخرج من غرفته قاصدًا الغرفة المقابلة، والتي كان بابها مغلقًا، ثم قام بطرقه بلطف قائلًا: "ماما..

ماما.. معقول نايمة كل ده.. مش عوايدك يعني!"؛ لم يجد فارس مناصًا من فتح الغرفة وذلك بعدما لم يجد من يجيبه مرة أخرى، وتفاجأ عندما فتح الغرفة ووجدها فارغة تمامًا من غير الأثاث؛ فأغلقها وقام بالنزول من الطابق الثاني إلى الطابق الأول، وظلَّ ينادي على أمه ولكن دون جدوى، فحدّث نفسه متسائلًا: "خرجت راحت فين على الصبح كده؟!"؛ ترك فارس الوضع على ما هو عليه ثم أخذ مفاتيح سيارته ذات الطراز الألماني الفاخر، والتي كان يحسده عليها كل من تقع عينه عليها، فهي من طراز"BMW" الشهير، ثم وهو في طريقه نحو الجامعة أخذ في محاولة الاتصال بأمه، ولكن أيضًا لم يجد منها أيَّ رد حيث كان هاتفها مغلقًا، ففقد الأمل في الوصول إليها وفي معرفة مكان تواجدها، ثم حدث نفسه بصوتٍ استطاعت أذناه أن تسمعه: "مفيش داعي أقلق نفسي أكتر من اللازم.. تلاقيها راحت مشوار ومش حابة حد يزعجها فقفلت تليفونها"، وأخذ يكمل طريقه نحو جامعته، متمنيًا أن يسعفه الوقت ويستطيع الوصول قبل الأستاذ الجامعي الدكتور إبراهيم، لأنَّه كان يعلم جيدًا أنَّ الدكتور إبراهيم يوبخ كل من يدخل المحاضرة بعده، فكان يتمنى ألَّا يوضع في مثل ذلك الموقف المحرج المهين؛ وها هو ذا قد وصل إلى وجهته وغايته –إلى الجامعة– حيث وضع سيارته خارجًا وقام بإغلاقها جيدًا، وأخذ يُخرج زفيرًا طويلًا معلنًا به عن تأففه، وذلك بعد أن نظر إلى تلك الساعة المصنوعة من الذهب الأبيض والمرصعة بالألماس من جانبها الأيمن، والتي قد ورثها عن والده الذي توفي منذ عشر سنوات، ومنذ ذلك الوقت وهو يضعها في معصمه الأيسر كلما أراد أن يخرج من المنزل، فعلم يقينًا من خلالها أنه قد تأخر بالفعل.. كان صخب الطلاب والطالبات المحيطين بفارس من جميع الجهات، كفيلًا بأن يجعل فارسًا ذلك الطالب الهادئ الطباع، غاضبًا، حيث كان كارهًا للصوت المرتفع وللتجمعات الكبيرة؛ كانت

قد مرت خمس دقائق منذ أن نزل فارس من سيارته وتركها خارجًا، وكانت هذه الخمس دقائق كافية لدخوله الجامعة، ووصوله أيضًا إلى كليته –كلية الحقوق– فذلك الشاب وسيم الوجه، ذو العينين السوداوين، هو طالب في الفرقة الثانية في كلية الحقوق جامعة القاهرة.. وما هي إلا لحظات ليجد فارس نفسه أمام قاعة المحاضرة، فيقوم بالولوج بصورة هادئة شابكًا أصابعه، واضعًا إياهم أمامه، منتظرًا ذلك التوبيخ، والذي يليه إذن الدخول؛ وما إن رأى الدكتور إبراهيم فارسًا، أخذ ينظر إليه في تعجب، ثم نظر في ساعته، ثم أعاد النظر نحو فارس مرة أخرى، فأراد فارس أن يتدارك الموقف.. ولما أراد أن يفتح فمه ليتكلم، حال الدكتور إبراهيم بينه وبين ذلك، حيث أخذ يقول: "معقول! فارس الأول على دفعته السنة اللي فاتت واللي عمره ما تأخر، ييجي متأخر سبعة وعشرين دقيقة! كنت فين يا أستاذ فارس كل ده؟! المحاضرة مفروض بتبدأ تمانية".. أجابه فارس بصوت منخفض لم يستطع سماعه إلا القريبين منه بما فيهم الدكتور نفسه: "معلش يا دكتور الطريق كان زحمة شوية، ثم إن دي أول مرة تحصل وأصحى متأخر كده".

– يا فارس أنت لولا إنك من المتفوقين، أنت كنت عارف كويس هعمل فيك إيه.

– آسف يا دكتور.. أوعدك متتكررش تاني.

– تفضل يا فارس اقعد.

سار فارس وهو يُخرج زفيرًا طويلًا قد أزاح به حملًا ثقيلًا من على صدره، ناحية ذلك الفتى والذي كان يشير إليه طالبًا منه القدوم والجلوس إلى جواره، فلبَّى فارس النداء، وذهب جهة ذلك الفتى وجلس إلى جوار اثنين، أحدهما ذلك الفتى والذي كان على يمين فارس، والآخر كان جالسًا ناحية الجهة التي يرتدي بها فارس ساعته؛ وأخذ من بيمين فراس بالتكلم: "إيه يبني تأخرت كل ده ليه؟!"، فأجابه فارس وهو

ينظر ناحية الدكتور الذي كان منهمكًا في شرحه: "والله يا طارق أنا مستغرب زيي زيك، أول مرة ماما متصحينيش الصبح كده"، فأكمل طارق أسئلته بحرص شديد، وكأنَّه كان يسرق الكلام حتى لا يلفت إليه انتباه الدكتور: "طيب وهي مصحتكش ليه؟ غريبة يعني!".

– أنا لما صحيت من النوم ملقتهاش في البيت أصلًا.

"بس يا ولاد الدكتور هياخد باله منكم"، قالها هامسًا وهو يضع يمناه على فمه، ذلك الشخص الذي كان على يسار فارس، فرد طارق بصوت لم يكن أعلى من سابقه: "متقلقش يا شادي.. إحنا صوتنا واطي يعني، وبعدين إحنا معانا واسطة يبني، ده أول الدفعة بنفسه صاحبنا، أنت مش شايف الدكتور متكلمش معاه ازاي، ودخله من غير ما يزعق له.. ده أول مرة الدكتور يعملها مع حد متأخر".. ابتسم فارس من حديث صديقه، ونظر إليه وعقَّب ساخرًا: "اتنيل يا طارق.. ده أنا كنت مرعوب منه".. قاطع الدكتور حديث الأصدقاء المتواصل، صائحًا يقول: "مكفكش إنك جاي متأخر.. لأ وكمان بتتكلم يا فارس!.. قوم اقف".. استند فارس بكلتا يديه على المنضدة التي كانت أمامه لكي تساعده على الوقوف، وقال خلال تلك الثواني القليلة التي سبقت نهوضه: "بركياتك يا طارق يا فقري".. قالها فارس بصوت لم يسمعه سوى صديقيه طارق وشادي، ثم اعتدل منتصبًا ناظرًا نحو الدكتور، وأخذ يقول بنبرة ضعيفة يعلوها الندم والإحراج: "آسف يا دكتور، أنا مركز مع حضرتك أهه".

– مركز معايا؟! طيب تعرف تقول لي آخر حاجة أنا قلتها كانت إيه؟

أخذ فارس نفسًا عميقًا لاحظه المحيطين به، حيث إن الصمت كان يعمُّ أرجاء المكان، ثم بدأ فارس الكلام مستعينًا بذلك النفس الذي قام بأخذه، قائلًا بصوت

عالٍ رنان: "القسم العام من قانون العقوبات، هو ذلك القسم الذي يهتم بتحديد ماهية القاعدة الجنائية الموضوعية، وإظهار قواعد تطبيقها من حيث الزمان والمكان والأشخاص، مع إبراز الأسباب التي تبيح الجريمة بصفة عامة، ثم نتطرق إلى تحديد ما ينهض عليه من بناء قانوني مادي أو معنوي، وقواعد المسئولية الناشئة لكل من الشخص الطبيعي أو المعنوي على سواء، ثم تحديد الجزاء المقرر لفاعلها، بصفة عامة، من حيث نوعه، وقواعد تطبيقه، أو إعفاء أو انقضاء".

وقعت الدهشة على وجوه كل من بالقاعة بما فيهم الدكتور نفسه، والذي بدت على ملامحه الحيرة، فلم يجد ما يقوله، سوى قوله: "اقعد يا فارس يبني، اقعد ربنا يحميك".. أمسك طارق فارسًا من يديه بعنف شديد، مُجلسًا إياه، قائلًا له: "يخربيتك يا فارس! أنت مكنتش بتتكلم معانا يبني؟! ازاي كنت مركز معاه ومعانا في نفس الوقت؟!".. ثم أخذ شادي هو الآخر متعجبًا يقول: "سيبك من إنه ازاي كان مركز معانا ومع الدكتور في نفس الوقت.. ازاي بقا لحق يحفظ الكلام ده كله في مجرد الوقت البسيط جدًّا ده؟!".. ابتسم فارس ابتسامة ماكرة تملأها الثقة وقال: "إيه يا شباب ده العادي بتاعي يعني".

مرَّ الوقت سريعًا حتى انقضت المحاضرة وخرج الدكتور من القاعة، وفي هذه الأثناء ذهبت ثلاث فتياتٍ نحو فارس وصديقيه، وأخذت إحداهن في التحدث ممازحة فارس قائلة: "أيوة يا عم فارس الناس اللي لفتت انتباه كل اللي في القاعة، وخصوصًا الدكتور إبراهيم".. ضحك فارس من كلامها، ثم هدأ قليلًا وقال" إيه يا غادة! الناس بتقول سلام عليكم، ازيكم، عاملين إيه.. أي حاجة من الحاجات دي يعني، إنما أنت جاية حامية كده ليه! ولا كأننا آخر مرة شفنا بعض كان من تلات أيام".. ابتسمت غادة والأخريات، ثم قالت نور، تلك الفتاة هادئة الطباع، ذات

الشعر البني الطويل: "ازيكم يا شباب، عاملين إيه؟".. فأجابها شادي، الذي كان ممسكًا خصلاتٍ من شعره، لافًّا إياها حول سبابته: "بخير والله يا نور.. آه زهقانين من التعليم، بس أهو ماشي الحال".. "هنفضل هنا كتير ولا إيه؟ يلَّه نروح الجنينة بقا"، قالت ذلك الفتاة الثالثة التي كانت رفقة نور وغادة، والتي كان اسمها هند، فوقف الجميع وقاموا من أماكنهم وخرجوا من قاعة المحاضرات.

وصل الأصدقاء الستة إلى حيث أخبرتهم هند -إلى حديقة الجامعة- ذلكم المكان الذي كان يعتبره الطلاب الملاذ الوحيد الذي من خلاله يستطيعون مواصلة اليوم الدراسي دون عناء، حيث كانوا يستنشقون في ذلك المكان الهواء النقي، ويتمتعون بالمنظر الخلاب، الذي كان يأسر كلَّ عينٍ تقع عليه، ويؤكد بديع صنع الخالق عزَّ وجلَّ.

ظلَّ الأصدقاء يتنزهون في هذه الحديقة المليئة بالأشجار والزهور، ذهابًا وإيابًا، حتى طلبت منهم غادة أن يستريحوا قليلًا، في مكان جلوسهم المعتاد؛ وما إن جلسوا في مكانهم.. حتى أصاب مسامعهم الهلع، نتيجة صرخة مدوية قادمة من بعيد، كانت لفتاة تستغيث، وكان صوتها وكأنما صدر عن إنسان واقفٍ في غرفة فارغة وقام بإخراج أقصى ما يستطيع من قوة من أجل إحداث تلك الصرخة، فكان صوتها مرتفعًا جدًّا.

هرِع الجميع نحو مصدر الصوت، ليجدوا أمامهم مجموعة من الناس تحيط بشخص مرمي على الأرض وحوله بركة من الدماء، وكان مصدر هذه الدماء، هو طعنة في جسد الشخص الملقى على الأرض، نتجت عن سكينٍ قد استقر في بطنه، وكان إلى جوار ذلك المطعون، فتاة تبكي منهارة، واضعة يديها الاثنتين على وجهها،

جالسة دون حراك، وكان المكان يزداد ازدحامًا مع مرور الثواني واللحظات، قادمين بسبب تلك الصرخة، والتي كانت تلك الفتاة الباكية هي مصدرها.

أسرع فارس صوب الفتى المطعون، دافعًا جميع الواقفين والذي ما كان منهم إلّا الوقوف مكتوفي الأيدي، جرّاء الصدمة التي كانت عليهم.. قام فارس بوضع إصبعه على رقبة الشخص الطريح أرضًا، متحسسًا بذلك نبضه؛ بدأت ملامح فارس في التغير، حيث بدا الحزن على وجهه، ففهم الجميع سبب ذلك الحزن، وازدادوا يقينًا عندما أخبرهم فارس بصوت ضعيف مكسور: "مات للأسف".. ثم قام بالنظر في ساعته فوجدها الحادية عشرة، ثم أدار عينيه نحو طارق وقال: "اتصل بالشرطة بسرعة، وعرفهم المكان".. أخرج طارق في ربكة هاتفه، ونفَّذ ما طلبه فارس؛ وفي هذه الأثناء كانت الصدمة واضحة جليَّة على وجوه الجميع، وعلى رأسهم الفتيات الثلاثة.. طلب فارس من الجميع عدم الاقتراب من المتوفَّى إلى أن تصل الشرطة، وطلب أيضًا من الفتاة التي كانت تبكي بجوار الضحية الابتعاد، حتى لا تؤثر على مسرح الجريمة، ثم سألها أثناء وقوفها عمَّا إذا كانت هي الفتاة صاحبة الصرخة، أم أنَّ فتاة أخرى من الواقفات، كانت هي المستغيثة التي صرخت.. أجابته الفتاة مخبرة إياه أنها هي التي لم تتمالك أعصابها، وأنها هي التي قد أصدرت تلك الصرخة المدوية؛ أومأ فارس برأسه للفتاة مشعرًا إياها بأنه قد فهم، وطلب منها أن تهدأ قليلًا حتى تصل الشرطة.

كان فارس أثناء انتظار قدوم الشرطة، يعاين الجثة من بعيد، متأملًا فيها، وفي الأجواء المحيطة بها، ولم يقطع تركيزه سوى ذلك الشخص الذي كان ينادي بصوت مرتفع تعلوه الدهشة والحيرة: مدحت.. مدحت، كان ذلك الصوت لشاب يصرخ رافعًا صوته بذلك الاسم، راكضًا نحو الجثة الملقاة على الأرض، إلَّا أنَّ فارسًا قد

حال بينه وبين ذلك، فقد أمسكه سريعًا من يديه، طالبًا منه أن يهدأ قليلًا، ويلتقط بعض الأنفاس التي تساعده على ذلك، ثم سأله: "أنت صاحبه صح؟".. فأجابه ذلك الشاب كثيف الشعر، حليق اللحية، والدموع تملأ عينيه، والحزن بادٍ على صوته: "آه، مدحت ده أكتر من أخويا، إحنا الخمسة أكتر من مجرد صحاب".

– خمسة!

– أيوة.. أنا وهو وأحمد ونورهان ونجوى.

– تمام تمام.. وأنت اسمك إيه بقا؟

– أنا عمرو.

قاطع ثلاثة شباب حديث فارس وعمرو، وذلك عندما جاؤوا ورأوا ما حدث، ثم أخذوا في الصراخ صائحين باسم مدحت–صديقهم– وهمّوا أيضًا بالاقتراب من جثة صديقهم، ولكنَّ فارسًا كان له رأي آخر، فقد طلب منهم عدم الاقتراب، أو فعل أي شيء إلى أن تصل الشرطة، حتى لا يفعلوا شيئًا يعيق مسار التحقيق.

وها هي نصف ساعة قد مرت، ومع مرورها وصلت سيارة الشرطة، والتي قد نزل منها بعض أفراد الشرطة، وكان يترأسهم شخصٌ طويل القامة، أنيق الثياب، تبدو على ملامحه الحدة.. أمسك ذلك الشخص بنظارته السوداء التي كانت تحجب عنه ضوء الشمس، فنزعها وقال بصوت غليظ مرتفع: "مين أول واحد اكتشف الجثة؟".. أجاب شادي متسائلًا: "جثة؟ سعادتك عرفت ازاي إنه مات خلاص من غير ما تقرب منه؟!".. ابتسم ذلك الشخص ابتسامة سخرية في وجه شادي، ثم تكلّم باستهزاء وقال: "بقالنا نص ساعة مستلمين بلاغ إن فيه جريمة قتل في جامعة القاهرة، واللي بلَّغ قال إن الشخص مقتول، ومنظر الدم اللي في كل مكان ده، والسكينة اللي غرزت في بطن الغلبان اللي على الأرض ده.. كل ده وبتسألني

عرفت ازاي إنه مات! أظن مش محتاجة ذكاء يعني.. المهم، مين فيكم اللي اكتشف الجثة أول واحد؟".. هنا تدخَّل فارس، حيث أشار بإصبعه نحو الفتاة صاحبة الصرخة، وأخذ يقول: "البنت دي هي أول واحدة شافت الجثة، وإحنا أصلًا جينا على صوتها".. أومأ الضابط برأسه إيجابًا، ثم صمت قليلًا، ثم أردف يقول: "عمومًا أنا الرائد سليمان إبراهيم، مباحث، أتمنى من الكل أنه يبعد شوية، خلونا نشوف شغلنا".. ثم سار نحو الفتاة التي أشار إليها فارس وقال: "أنت يا بنتي، اسمك وسنك وعنوانك، وإيه علاقتك بالضحية؟".

ارتبكت الفتاة من اقتراب الضابط منها وبدت على ملامحها الربكة، إلّا أنَّ الضابط طلب منها أن تهدأ، وأنَّ الأمر طبيعي، وأنَّ عليها أن تتجاوب معه وتساعده على مسير التحقيق.. التقطت الفتاة بعض الأنفاس، ثم ختمتها بشهيق طويل، قامت بكتمه لحظات، ثم أخرجته وقالت: "أنا سمر سعيد، عندي ١٩ سنة، أنا في سنة أولى تجارة، معرفش الضحية ولا عمري شفته قبل كده، دي كانت أول مرة أشوفه فيها".

– طيب احكي لنا يا سمر كده بالضبط اللي حصل.

– أنا كان مفروض فيه ميعاد بيني وبين مازن صاحبي هنا، ففضلت مستنياه كتير، ولمّا تأخر اتصلت بيه وسألته هو فين، قال لي إنه حصل له كام حاجة كده منعته إنه ييجي النهارده، فده ضايقني، وكنت راجعة وأنا قرفانة رايحة أحضر المحاضرة الأخيرة اللي عليا النهارده، ففجأة لقيت المنظر ده، واحد غرقان في دمه، والسكينة في بطنه.. فمن الخضة وقعت على الأرض وفضلت أصرّخ لحد ما الناس جت"..

أومأ الرائد برأسه، ثم صمت قليلًا وكأنه يفكر في شيءٍ ما، ثم تحدث مرة أخرى: "ها.. وإيه اللي حصل بعد كده؟".

فأعادت الفتاة الإشارة التي قد أشارها إليها فارس، إليه مرة أخرى، حيث قالت: "جه الولد ده، وفضل يلمس في الجثة، وبعد كده قال لنا إنه مات خلاص، وبعدين طلب من حد من اللي واقفين إنه يتصل بالشرطة، وفضل يبعد أي حد من إنه يقرب من الجثة لحد ما أنتم جيتم".

سار ببطء شديد نحو فارس، الرائد سليمان، ذلك الرجل الذي كان شاربه يغطي أعلى فمه بالكامل؛ ثم أخذ في التحدث إلى فارس: "اسمك يبني وسنك، وإيه العلاقة اللي بتربطك بالضحية، وأنت في كلية إيه؟".. تعجَّب الرائد سليمان من الثقة والهدوء الشديدين اللذين كانا واضحَيْن على ملامح فارس، حيث كانت تلك أول مرة يسأل فيها الرائد سليمان شخصًا في مسرح جريمة، ولا تبدو عليه أي ربكة، أو حتى ملامح خوف.. أخذ فارس في هدوء شديد، وببرودة أعصاب يجيب: "فارس متولي النبراوي، عشرين سنة، مفيش أي علاقة بتربطني بالمجني عليه".

– طيب يا فارس تقدر تقول لي إيه اللي حصل بالضبط من ساعة ما أنت جيت على صريخ سمر زي ما أنت قلت قبل شوية، لحد ما إحنا وصلنا.

– سعادتك أنا كنت مع صحابي في جنينة الجامعة عادي، وفجأة سمعنا صوت صريخ عالي قوي، فلما جينا على الصوت، شوفنا مدحت السكينة في بطنه زي ما حضرتك شايف كده بالضبط.

– مدحت! الله! ما أنت تعرفه أهه.

– لا سعادتك أنا عرفت اسمه من صحابه اللي هناك دول.

التفت الرائد سليمان إلى حيث أشار فارس، ليجد أمامه أربعة أشخاص، فيقوم بسؤالهم على الفور: "أنتم صحابه فعلًا؟".. فيتحدَّث بشيءٍ من التوتر والربكة، ذلك الفتى متوسط الطول، ذو الشعر الأشقر واللحية الصفراء، والذي كان يُدعى

أحمد، فيقول: "أيوة سعادتك إحنا الخمسة شلة واحدة"؛ همَّ الرائد سليمان بأن يسأل سؤالًا آخر، إلَّا أنَّ الطبيب الشرعي قد منعه من ذلك، حيث تكلَّم وقال: "الضحية حضرتك ماتت ما بين الساعة عشرة والساعة حداشر، وهو ده زمن الوفاة الفعلي، والوفاة كانت بسبب السكينة اللي لقيناها مستقرة في بطنه، واللي طعنته طعنة كانت كفيلة أنها تقتله، وسعادتك وأنا بفحص الجثة لقيت الورقة دي في جيبه".

توجه الطبيب الشرعي ناحية الرائد سليمان وقام بإعطائه تلك الورقة التي قد عثر عليها في جيب الضحية؛ ارتدى الرائد سليمان قفازاته هو الآخر كما كان يفعل الطبيب، وقام بأخذ الورقة متفحصًا إياها بعينيه قبل أن يقوم بفتحها؛ أخذ الرائد يفتح الورقة ويقرأ بصوتٍ تمكَّن الجميع من سماعه: "أعتذر عن بشاعة اللي هتشوفوه، فأنا معرفتش أشتري مسدس.. كنت أتمنى إنه يكون فيه حد يستاهل إني أعيش علشانه، أنا بجد آسف، بس الألم غلب الأمل، أشوفكم في الآخرة يا أصحابي، في الجحيم، اليائس مدحت أشرف".

ساد الصمت على جميع من سمع، ووقعت الصدمة في نفوس الجميع، وتعجب الرائد سليمان نفسه مما قد قرأه، وذلك قبل أن يقوم بإظهار الورقة وما كتب فيها، حتى يتمكن أصدقاء مدحت من رؤيتها، ثم يقوم بسؤالهم: "هو ده خطه فعلًا؟"، فأجابوه جميعًا بالإثبات، فيزداد تعجبه وتعجُّب جميع من حوله، إلَّا فارسًا، فلم يكن من أولئك الذين قد تعجبوا، فما كان منه إلَّا أن أخرج عملة معدنية من جيبه، وهي الجنيه، والتي كان يخرجها دائمًا عندما يريد التفكير في شيءٍ ما يشغله، وأخذ يقلبها بين أصابعه، السبابة والوسطى والإبهام؛ وفي هذه الأثناء، سأل الضابط فريق البحث الجنائي عن رأيهم فيما قد سمعوه، وعمَّا إذا كانت بالفعل جريمة انتحارٍ، أم أنها جريمة

قتل على هيئة انتحار، فأجابه شخص من فريق البحث الجنائي قائلًا: "أنا أرجح إنها انتحار فعلًا سعادتك، وده لأن السكينة مش عليها غير بصمات القتيل نفسه، وغير كده مفيش أي علامة تدل على مقاومة القتيل لأي شخص كان بيحاول يقتله مثلًا".

أومأ الرائد سليمان برأسه قائلًا بصوت يعلوه الأسف والحزن: "شباب زي الورد بقوا يقتلوا نفسهم، إيه اللي حصل في البلد يا جماعة!"؛ تأثر الوقوف جميعهم من كلام الرائد، وممَّا قد رأته أعينهم، ولكنَّ فارسًا قد حوَّل ذلك الحزن إلى دهشة، إذ قال: "بس أنا شايف إنها مش انتحار"؛ دُهش الرائد سليمان من سماعه لفارس، وتفاجأ من ثقته التي كان يتكلم بها، ولكنَّ الرائد قد ابتسم ساخرًا في وجه فارس وقال: "ومعاليك شايف إنها مش انتحار ليه بقا؟".. فتحدث صوتٌ رقيقٌ قاطع كلام الرائد مع فارس، وقال بنبرة يعلوها الخجل والإحراج: "بس يا فارس، ملكش دعوة أنت"، وكان ذلك الصوت لنور صديقة فارس، والتي لم يعجبها تدخل فارس في مجريات التحقيق؛ فضحك الضابط سليمان، والذي أشاح بنظره من ناحية نور، نحو فارس وقال: "اسمع كلام صاحبتك يا شاطر، واسكت خلينا نشوف شغلنا، ونكمل باقي التحقيق مع أصحاب مدحت".. نظر فارس إلى نور نظرة غضب، جعلت قلبها يرتعد خوفًا، وجعلتها تلك النظرة تنظر إلى الأرض، لا تدري ما تفعل أو تقول، ثم توجه فارس بالنظر نحو الرائد مرة أخرى، ليتفاجأ الرائد أنَّ الغضب الذي كان على وجه فارس عندما نظر إلى صديقته، قد تحول إلى هدوء شديد، مما جعل الرائد يحدث نفسه قائلًا بصوت لم يسمعه أحد: "إيه الواد الغريب ده، ده عرف يتحكم في أعصابه بسرعة ازاي، وبص لي بطريقة متخلينيش اتعصب عليه، الولد ده غريب! ومن شوية وأنا بحقق معاه، كان هادي جدًّا، زي ما يكون متعود

على التحقيقات ومر بالموقف ده قبل كده كتير".. قاطع فارس تفكير الرائد سليمان، قائلًا بصوت واثق عالٍ: "أنا شايف إنها جريمة قتل، وجريمة قتل ساذجة كمان، واضح قوي إن مرتكبها ساذج، ودي أول مرة يتحط في موقف يجبره على القتل، فملوش خبرة في الموضوع".. علم الرائد من كلام فارس أنَّ بجعبته شيئًا ما، فأخذ يسأل فارسًا: "طيب تفسر بإيه ورقة الانتحار اللي مكتوبة بخط ايد مدحت نفسه، معقولة صحابه الأربعة هيكونوا بيكدبوا يعني؟! وهما متفقين مع بعض يقولوا كده؟! طيب بالنسبة لبصماته اللي ملقيناش غيرها على السكينة، وإننا ملقيناش أي أثر يدل على المقاومة على جسم مدحت، ثم تعالَ هنا، أنت ليه واثق قوي كده إنها قتل يعني مش انتحار". ظلَّ فارس صامتًا قليلًا، ثم أسرد يقول: "حضرتك لو أخدت بالك من السكينة كويس، هتلاقي الجزء القاطع بتاعها لأسفل، والشخص المنتحر لما بينتحر بسكينة، بيبقا الجزء القاطع من السكينة لفوق، أو حتى جهة اليمين، لو كان أيمن، أو جهة الشمال لو كان أيسر، بحيث يعرف يتملك من السكينة، وخصوصًا إنها سكينة طويلة زي دي، وده يدل إن حد هو اللي طعنه، مش هو اللي طعن نفسه، ثم إنه لو انتحر فعلًا، مكنش كلف نفسه وجه الجامعة مخصوص علشان ينتحر، كان انتحر في بيتهم وخلاص، مدام كده كده هيخبط نفسه بسكينة". فوجئ الرائد مما قد سمعه من فارس، ومن شدة ملاحظته لمثل هذه الأمور، والتي تبدو نوعًا ما منطقية، ثم أعلن عن دهشته قائلًا: "صحيح يا فارس، أنت مقلتليش في كلية إيه!".

– حقوق سعادتك، فرقة تانية.

– إمم طيب يا فارس، عمومًا كلامك مقنع، بس تفتكر لو هي فعلًا جريمة قتل، هيكون مين اللي عملها؟

– واضح من تفتيش البحث الجنائي لجيوب الضحية، إن محفظته ومفاتيحه زي ما هما، يعني دي مش جريمة بغرض السرقة، فأكيد القاتل عارف الضحية كويس، وله سبب تاني لقتله، فأنا أرجح إننا نصب تركيزنا وتفكيرنا في أصدقاء المجني عليه بس، لأن القاتل مش هيخرج براهم، وده لأنهم قالوا إن هما شلة وملهمش صحاب تانيين، وده معناه إن القتيل ملهوش صحاب غير دول، يعني محدش في الجامعة كلها يعرفه كصداقة غيرهم.

صرخ عمرو صديق مدحت في وجه فارس، وتحدث في غضب شديد: "أنت بتقول إيه يله أنت، ثم أنت مين علشان تتهمنا تهمة خطيرة زي دي".. ثم قالت نورهان مضيفة إلى كلام عمرو: "وبعدين زي ما أنت قلت، إحنا أكتر ناس مقربين لمدحت، يعني مستحيل حد فينا يعمل كده".. ثم أكملت نجوى على كلامهما وقالت: "قبل ما ترمي تهمك يا أستاذ أنت، هات دليل الأول على كلامك ده"؛ تدخل الرائد سليمان غاضبًا، رافعًا صوته، متكلمًا يقول: "مفيش داعي لانفعالكم ده، أنا كده كده كنت هحقق معاكم أنتم الأربعة واحد واحد دلوقتي"، ثم أشار الرائد سليمان إلى عمرو سائلًا إياه عن اسمه وعمره وعنوان سكنه، فأخرج عمرو زفيرًا طويلًا، يصحبه التقاط بعض الهواء، ثم أخذ في التكلم قائلًا: "عمرو محمد بيومي.. اتنين وعشرين سنة.. فرقة رابعة تربية.. وأنا ساكن في المقطم".

– تقدر تقول لي يا أستاذ عمرو، أنت كنت فين من الساعة عشرة للساعة حداشر؟

– الحمام.

– نعم! أنت هتهزر! ساعة في الحمام؟!

– أبدًا والله سعادتك، أنا فعلًا كنت في الحمام الساعة دي، بطني كانت وجعاني جدًّا، فكنت كل ما بخرج من الحمام، برجع أدخل تاني.

– إممم.. طيب عندك شهود على إنك كنت في الحمام الساعة دي؟

– أنا هجيب شهود منين حضرتك على إني كنت في الحمام لمدة ساعة! وبعدين سعادتك بتشك فيا أنا؟! أنا أقتل مدحت؟! ده مدحت ده كان أكتر من أخويا، ثم إني هقتله ليه يعني؟

صاح أحمد في وجه عمرو قائلًا: "تقتله علشان من أسبوعين ضحَّك الدفعة كلها عليك، لما خلعك البنطلون بهزار في قلب المحاضرة وأنت جاي تقعد، ومن ساعتها كل اللي بيشوفك بيتريق عليك، وخصوصًا البنات"؛ احمرَّ وجه عمرو من شدة الغضب، وصاح هو الآخر: "أنت مجنون يا أحمد، وده سبب يخليني أقتله أنت كمان، ثم لو مفروض نشك في حد، فمفروض نشك فيك أنت، لأنك كنت ديمًا بتحقد عليه لأنه أغنى واحد فينا، وهو كان بيجيب اللي نفسه فيه على طول، وأنت لأ، وأنت كنت متغاظ من كده"؛ همَّ أحمد بأن يلكم صديقه عمرو في وجهه، إلَّا أنَّ الرائد تدخل متكلمًا: "اسمك إيه بالكامل يا أحمد؟ وساكن فين بالضبط؟ وطبعًا أنتو الكل اتنين وعشرين سنة، وفي رابعة تربية زي عمرو صح؟"؛ هدأ أحمد قليلًا، وقام بالتقاط بعض الأنفاس، وأخذ يتكلم: "أه حضرتك، إحنا الكل في نفس الفرقة ونفس السن، وأنا اسمي أحمد كامل مراد، وأنا ساكن هنا في الجيزة".

– من الساعة عشرة للساعة حداشر، كنت بتعمل إيه يا أحمد، أوعى تقول لي إنك كنت في الحمام أنت كمان.

– لأ حضرتك، أنا كنت بفطر في الكافتيريا.

– عندك شهود على كلامك؟

– معتقدش سعادتك إن العمال اللي في الكافتيريا هيفتكروا شكلي وسط الناس الكتير اللي كانوا هناك، فللأسف لأ.

تأفف الرائد سليمان، لأنه قد شعر بأنه لم يستفد شيئًا إلى الآن، ثم دار بناظريه نحو الفتاتين، سائلًا إحداهما: "وأنت يا بنتي اسمك ايه، وعنوان سكنك.. وكنتِ فين من الساعة عشرة للساعة حداشر؟"؛ ارتبكت الفتاة بعض الشيء، ثم تمالكت نفسها، وهدَّأتْ من روعها وقالت: "نورهان شريف فؤاد، من الدقي، أنا كنت برة الجامعة خالص في الوقت اللي حضرتك قلت عليه ده، لأني كنت بصور ورق من المكتبة اللي برة".

– أيوة والتصوير ده هياخد منك ساعة؟

– مهو حضرتك أنا رحت أفطر في المطعم اللي جنب المكتبة.

– طيب وحد من اللي في المطعم يقدر يشهد على كلامك ده؟

– صعب برده حضرتك، لأن المطعم هو كمان كان زحمة جدًّا، وأنا كنت لوحدي هناك للأسف.

– وطبعًا الورق اللي صورتيه ده مش دليل كافي على كلامك، لأنك ممكن تكوني مصوراه في أي وقت وجاياه معاكي دلوقتي، فمفيش فايدة من إني أطلب منك أشوف الورق ده".. سكت الرائد برهة ثم أضاف: "هو يوم باين من أوله".. قالها الرائد سليمان وهو يبعد عينيه عن وجه نورهان، ناحية نجوى –صديقتها– ثم أخذ يسأل: "ها وأنتِ؟"؛ لتجيبه نجوى على الفور: "نجوى محمد أنس، من الجيزة برده سعادتك زي أحمد، إحنا جيران أصلًا، وسعادتك أنا كنت مخنوقة وبتمشى في الجامعة كلها، فمكنتش في مكان معين بالضبط.

– وطبعًا كنت لوحدك، يعني مفيش شهود على كلامك أنت كمان؟

– بالضبط حضرتك.

– عظيم.. عظيم خالص.. ده إيه العظمة دي كلها.. يعني محدش فيكم كلكم عنده شهود أو أدلة على كلامه، والمفروض إني أصدقكم ازاي بقا دلوقتي؟

شمَّر فارس عن ساعديه أخيرًا، وتدخل في مجريات التحقيق، وذلك عندما سأل الأصدقاء قائلًا: "طيب يا جماعة مفيش أي حاجة غريبة لاحظتوها على مدحت الفترة اللي فاتت دي؟"، فأجابه عن ذلك عمرو: "أبدًا، كان طبيعي خالص، مكنش يبان عليه أي حاجة متغيرة"؛ أكمل فارس وسأل: "طيب من شوية أحمد قال إن مدحت كان بيهزر معاك وقام مخلعك البنطلون، فهل مدحت متعود يعمل حاجات زي كده فيكم؟".. غضب عمرو من سؤال فارس، وذلك حين تذكر موقفه المحرج أمام كل من في القاعة آنذاك، فلم يجب فارسًا عن سؤاله، مما جعل من نجوى تتكلم وتقول: "آه، مدحت كان بيحب يعمل فينا مقالب على طول، دي كانت المتعة الأساسية بتاعته، ومكنش بيهمه سواء نزعل أو نضايق منه، لأنه كان بيشعر بالسعادة والنشوة من ده".

صمت فارس تمامًا بعد أن أنهت نجوى حديثها، ثم قال محدثًا نفسه بصوت لم يسمعه أحد: "مقالب!" ثم سار نحو صديقته غادة هامسًا في أذنها بكلمات لم يسمعها أحد، وبعدها تركض غادة مسرعة، لا يعرف أحدٌ إلى أين ذهبت؛ وما كان بعدها من فارسٍ، إلا أن ابتسم ابتسامة خبيثة هادئة وظلَّ صامتًا يراقب ما يحدث؛ أصيب الرائد سليمان بالحيرة من الذي حدث، فلم يكن يدري ما الذي يفعله فارس، مما دفعه إلى المسير نحو فارس، قائلًا بصوت لم يسمعه سوى فارس نفسه: "بص يا فارس يبني، أنا التمست فيك الذكاء واللباقة، ودي أول مرة تحصل، إن الرائد سليمان اللي معروف بحزمه، ومقدرته على حل أي جريمة، يسيب حد من

المدنيين يتدخل في مجريات التحقيق، فلو عندك معلومة مفيدة عرفت توصل لها، ياريت تقولها، معندكش، ياريت تسيبنا نكمل تحقيقنا ونشوف شغلنا".

ابتسم فارس مرة أخرى، وقال في هدوء شديد: "حضرتك أنا وصلت لحاجة مهمة جدًّا".. دُهش الرائد، وسأل مستنكرًا: "حاجة؟! حاجة إيه؟!".

– وصلت للقاتل.

– وصلت للقاتل؟! ومين هو؟ ووصلت له ازاي؟!

– قبل ما أقول مين هو، خلوني أقول لكم استنتاجي الأول، أولًا اللي قتل مدحت لازم يكون بنت مش ولد....

قاطع الرائد سليمان فارسًا، سائلًا: "بنت؟ وليه يعني ميكنش ولد؟!".

– علشان حضرتك المكان اللي إحنا فيه ده حاليًا، واللي سمر لقت فيه الجثة، معروف في الجامعة كلها بأنه مكان للمرتبطين، والناس اللي مش مرتبطة بتتكسف تيجي هنا، علشان ميجوش لوحدهم، ثم إن اللي يأكد كلامي إن القاتل كان بنت، إن القاتل كان حاضن الضحية قبل ما يقتله، وده لأن البحث الجنائي ملقاش أي أثر على جسد الضحية يدل إن فيه مقاومة بينه وبين الجاني، ومعنى كده إن مدحت كان مستسلم خالص للقاتل، والقاتل استغل ده كويس، وقام طعنه بالسكينة زي ما إحنا شايفين كده.

تفاجأ الرائد سليمان، ولمعت عيناه من استنتاج فارس، ثم تحدث وقال: "طيب وثانيًا يا عم فارس؟".

– ثانيًا بقا سعادتك.. القاتل استغل عادة مدحت في إنه بيحب المقالب، وقال له فيه فكرة مقلب حلوة تعمله في صحابنا، وطبعًا مدحت ما صدَّق، لأنه، وعلى كلام صحابه، بيحب المقالب جدًّا، وأكيد في لهفة شديدة منه قام سائل الجاني عن فكرة

المقلب دي، فالقاتل قال له أنت هتمثل إنك انتحرت يا مدحت، عن طريق إنك تكتب في ورقة إنك زهقت من الحياة والعيشة، وإنك خلاص قررت تقتل نفسك لأنك تعبت، ولما تكتب الورقة هنتفق على المكان اللي هتمثل فيه إنك ميت، وأنا هجيب صحابنا ونروح على المكان ده، وهما هيتصدموا لما يشوفوك ميت، ويكتشفوا الورقة اللي هتكون مرمية جنبك، وفجأة أنت تقوم تخضهم بطريقتك بقا؛ وأكيد مدحت سعادتك فرح بفكرة زي دي، يقدر من خلالها يشوف غلاوته عند صحابه، وفي نفس الوقت يخضهم زي ما هو بيحب ومتعود؛ وده يفسر لنا ليه إحنا لقينا ورقة بخط ايد مدحت، مكتوب فيها إنه هينتحر لأنه زهق من الحياة، ومع ذلك هو اتقتل منتحرش فعلًا.

صُعق الرائد مما سمعه، وبدت على ملامحه الحيرة والدهشة، وأخذ يحدث نفسه قائلًا بصوت داخلي: "إيه الواد ده، وإيه الاستنتاج الغريب المدهش ده؟! معقول الاستنتاج ده يكون قريب من الواقع؟"؛ ولم يكن الرائد سليمان وحده من قد دُهش من استنتاج فارس، ولكنَّ جميعَ الحاضرين أيضًا قد تفاجؤوا، بما فيهم أصدقاؤه، وأصدقاء مدحت أيضًا، وسائر أفراد التحقيق.

التقط الرائد سليمان أنفاسه، ثم أخذ في حماسٍ شديدٍ قد بدا عليه جليًا، يسأل فارسًا: "طيب مين البنت دي يا فارس؟"؛ ابتسم فارس والذي ما كان منه غير ذلك، ثم قال: "سعادتك واضح من استنتاجي وكلامي قبل شوية، إن اللي عمل كده، هيا حبيبة مدحت، وبما إنه زي ما أصحابه قالوا، هو مكنش يعرف غيرهم هما الأربعة، فده معناه إن حبيبة مدحت بنت من البنتين صحابه"، ثم توجه فارس بناظريه نحو نورهان ونجوى، ثم أخذ في التكلم: "ها! مين فيكم يا نورهان أنت ونجوى، هيا حبيبة مدحت بقا؟"؛ صاحت نورهان في وجه فارس قائلة: "محدش فينا،

ثم إن مدحت مكنش ليه حبايب أصلًا".. وأضافت نجوى هي الأخرى مؤكدة كلام صديقتها، بأن مدحت لم تكن لديه حبيبة.. مما جعل الرائد سليمان ينظر إلى فارس مرة أخرى، ليجده كعادته مبتسمًا، ثم في هدوء شديد نظر فارس إلى الرائد سليمان وقال: "تمام حضرتك، تقدر تقبض على نورهان دلوقتي"؛ تعجبوا جميعًا من كلام فارس، والذي بدا واثقًا مما يقوله، مما دفع نورهان بالصراخ فيه، مضطربة تقول: "إيه الجنون اللي أنت بتقوله ده!"، ثم أضاف الرائد سليمان: "طيب ليه متكنش نجوى يا فارس، مش أنت قلت واحدة منهم؟!".. أجاب فارس على الفور وكأنه كان يعلم بأن الرائد سوف يسأل هذا السؤال: "لأنها سعادتك لو كانت نجوى، مكنتش هتقولي على موضوع المقالب اللي مدحت بيحب يعملها، واللي أنا من خلاله عرفت لغز القضية، ولغز الرسالة اللي كانت بخط ايد مدحت".

– طيب يا فارس ما ممكن تكون نجوى تعمدت تقول كده، علشان لما نكتشف منشكش فيها، زي ما أنت مبتشكش فيها دلوقتي بالضبط.

ابتسم فارس من حديث الرائد، ثم بدأ في التكلم مرة أخرى: "سعادتك باين من اللحظة اللي القاتل معرفش يضبط فيها السكينة على أساس إن الجريمة تبان انتحار، إن القاتل ذكاؤه محدود، يعني نجوى لو بالذكاء الكافي اللي يخليها تقول لنا كده علشان منشكش فيها، فأكيد كانت هتاخد بالها من جزئية السكينة، ثم إن نجوى مقالتش كده غير لما أنا سألت، هل مدحت كان متعود يعمل مقالب فيكم، يعني هيا مقالتش كده من نفسها".

نظر الجميع في وجه نورهان، والذي بدا متوترًا، وأخذوا جميعًا ينتظرون حديثها، وفي هذه الأثناء استجمعت نورهان شجاعتها، مستعينة بها لتقول: "بأي حق ترمي تهمك كده على الناس، ثم هل أنت معاك دليل على كلامك ده؟"؛ أجابها فارس

بطريقته الهادئة تلك، وثقته العجيبة التي كان يتمتع بها: "طبعًا أنتِ بعد ما تقابلتِ هنا أنتِ ومدحت، سألتيه هل هو جهز الورقة اللي من خلالها هينفذ المقلب ولا لأ، فقال لك إنه جهزها، وطبعًا طلبت تقريها الأول، ولما تأكدتِ من محتواها، قمتي طلعتي السكينة من شنطتك ونفذتي الخطة، زي ما أنا وضحت قبل شوية، وبعد ما مات قدام عينك، قمتي ماسحة بصماتك من على السكينة، وحاطة بصمات مدحت عليها، وده يفسر لنا ليه لقينا بصماته هو لوحده عليها، وطبعًا قمتي حاطة الورقة في جيبه، علشان التحقيق لما ييجي ويقراها، يفتكروه انتحر، وطبعًا أنتِ لما جيتي تحطي الورقة في جيبه، مجاش في بالك تحطيها بمنديل أو جونتي مثلًا، لأن مكنتيش تتصوري إن التحقيق هيعرف إنها جريمة قتل مش انتحار، وحتى لو عرف إنها انتحار، افتكرتي إنه هيرفع البصمات من على السكينة بس، ومش هيرفعها من على الورقة، فتقدري تفسري لنا ليه هنلاقي بصماتك على الورقة، على الرغم من إنك من ساعة ما جيتي مقربتيش من الجثة لحد دلوقتي، لأن من حظك السيء أنا منعتكم من ده".

تدخّل الرائد في الحديث قائلًا: "طيب ما تستنى يا فارس نتأكد الأول من إن بصماتها هتكون على الورقة، بدل ما أنت واثق كده، وفي الآخر مش هنلاقي حاجة".. تكلمت نورهان في ربكة شديدة كانت واضحة في حديثها، إذ قالت: "اااااا..اااا فعلًا هتلاقوا بصماتي على الورقة، لأني كنت أعرف إن مدحت هيعمل فينا مقلب، وأنا اللي مخططة معاه للمقلب ده، وأنا اللي مدياله الورقة، فطبيعي تلاقوا بصماتي عليها، بس أنا مكنتش أعرف إنه هيقلب الموضوع بجد وينتحر فعلًا".. ضحك فارس بصوتٍ عالٍ، ساخرًا من نورهان، ثم أخذ يقول: "أنت مكنتيش معانا وإحنا لسه مبينين إنها جريمة قتل مش انتحار ولا إيه؟! لسه بتراوغي

يا نورهان؟ طيب إيه رأيك إنك جاية من بيتكم وعاملة حسابك على الجريمة دي، وعلشان كده، أنت عملتي حسابك في لبس زيادة معاكِ في شنطتك، وطبعًا بعد ما قتلتيه، هدومك كلها بقت دم، وأنت أكيد اخترتي مكان زي ده تنفذي فيه جريمتك، لأنك عارفة كويس إن محدش بييجي هنا خالص، غير عدد قليل من المرتبطين، وطبعًا بعد ما قتلتيه روحتي لأقرب حمامات بنات من هنا، وقمتي مغيرة هدومك اللي اتبهدلت دم، ولابسة هدومك النضيفة، وعاينة هدومك اللي كلها دم في الحمام اللي كنتي فيه، وسيبتيه مقفول بالترباس طبعا زي ما هو، وقمتي فطيتي في الحمام اللي جنبه وخارجة منه، علشان محدش يدخل الحمام اللي فيه الهدوم اللي كلها دم، ولما ييجي حد يعوز يدخل ويلاقي الباب مقفول، هيفتكر إن فيه حد جوه، فهيدخل حمام تاني غيره، وطبعًا أكيد حاولتي قدر المستطاع متخليش حد من صحابك التانيين يشوفك قبل ما ترتكبي الجريمة، علشان ميلاحظش إنك غيرتي هدومك.. وكنتِ طبعًا ناوية بعد انتهاء التحقيق تاخدي هدومك دي تاني معاكِ البيت، وتغسليها بقا وكأنَّ شيئًا لم يكن، وعلشان كده أنا بعتّ غادة صاحبتي لأقرب حمامات بنات من هنا، وقلت لها إن طبيعي كل اللي في الجامعة هيكونوا هنا دلوقتي، منهم اللي جه على صوت سمر، ومنهم اللي جه على صوت عربية الشرطة، فطبيعي إن مش هيكون فيه حد في الحمامات دلوقتي، فأي حمام مقفول، تحاول تفط له وتدخله من الحمام اللي جنبه، وتجيب اللي هتلاقيه وهيا ماسكاه بكيسة، علشان البصمات، وبعد كده تيجي، وعلشان هيا تطمن، قلت لها تخبط على الحمام ده الأول، مع إني متأكد إن محدش هيرد عليها".

أنهى فارس حديثه، ولم يبعد ناظريه عن نورهان، حيث كانت نظراته مليئة بالخبث واللؤم؛ وفي هذه الأثناء، جاءت غادة من بعيدٍ تهرول، وكانت ممسكة في يديها

بكيسٍ أسود، ولما وصلت قامت بإعطائه إلى فارس، ولكنَّ فارسًا طلب منها أن تعطيه إلى الرائد سليمان، ولما قام الرائد بإخراج ما في الكيس، وكان مستعينًا في ذلك بقفازاته، وجد ملابسًا للفتيات تملؤها الدماء، حينها تحدث فارس إلى نورهان مرة أخرى قائلًا: "كنت بتطلبي مني دليل صح؟! تفسري بإيه بقا يا ست نورهان، إننا هنلاقي الدم اللي على الهدوم دي، هو دم مدحت، وإننا برده هنلاقي بصماتك، وخصلات من شعرك في الهدوم دي، هه! تفسري بإيه؟".

انهارت نورهان أرضًا باكية، حيث جلست على ركبتيها، واضعة كفيها على الأرض، والدموع تملأ عينيها، والبكاء يقطع قلبها، ثم قالت في حزن شديد: "أيوة.. أيوة أنا اللي قتلته.. أنا اللي قتلته"؛ فوجئ الجميع مما يسمعونه، فلا يدرون أيواسون تلك الفتاة الباكية، طريحة الأرض، أم يعاقبونها على ما تقوله؛ وفي هذه الأثناء، سارت نجوى نحو نورهان، ثم جلست إلى جوارها، وتحدثت إليها وقالت: "ليه؟! ليه يا نورهان عملتِ كده؟!".. فأجابت نورهان بغضبٍ قد بدا في كلامها: "ولو رجع بيا الزمن هعمل كده تاني وتالت ورابع.. هو اللي أجبرني أعمل كده، مسبليش خيار تاني، أنا كنت حامل من مدحت، ومع ذلك الحيوان مرضيش يتجوزني، بعد ما خدعني، وأوهمني إنه بيحبني، جه وقال لي تحملي نتيجة غلطتك لوحدك، وطلب مني إني أسقط الطفل، وإننا نكمل حياتنا مع بعض عادي، ولما ملقيتش منه أي أمل إنه يتجوزني، أوهمته أنا بقا إني سمعت كلامه، فقمت مسقطة الولد، وسيبت فترة كويسة تعدي، يقدر من خلالها ينسى اللي حصل، ويفتكرني أنا كمان نسيت، وقمت مقررة إني أنفذ النهارده، ومحدش فيه يوم سجن، بس معرفش اللي اسمه فارس ده طلع لي منين، ده قال كل حاجة حصلت بالضبط، زي ما يكون كان معايا".

سار فارس نحو نورهان ببطءٍ شديد، وكأنه والسلحفاة كانا قريبين، وعندما وقف أمامها، أخذ في التحدث: "كل اللي أنا مستغرب منه، وعلى الرغم طبعًا من إننا عارفين إن المكان ده قليل اللي بيجوه، إلا إنك محطتيش احتمال ولو واحد في المليون، إن ممكن حد يشوفك وأنت بترتكبي الجريمة، أو حتى يشوفك وأنت بتجري على الحمام وهدومك كلها دم، واكتفيتي باعتمادك على الحظ".. كاد الحزن يفتك بقلب نورهان، والتي ابتسمت ابتسامة حزينة، ثم أجابت: "مش قلت لكم، مدحت مسبليش خيار تاني، مدحت خلاني زي المجنونة اللي مش عايشة غير علشان تخلص منه، وأنا يا فارس لو ذكية زيك كده، وبحط احتمال لكل حاجة، كنتو أكيد مش هتعرفوا إني الجاني الحقيقي.. للأسف، أنا مجرم غبي زي ما أنت لسه قايل قبل شوية".. ثم أخذت نورهان في البكاء بصوت مرتفع شديد، حتى ذهب إليها أصدقاؤها لمواساتها، وحينذاك، أمر الرائد سليمان بعض أفراد الشرطة بالقبض على نورهان، وأخْذ باقي الأصدقاء أيضًا لاستكمال التحقيق في مركز الشرطة.

توجه الرائد نحو فارس، ووجهه مرسوم بابتسامة إعجاب، ثم أخذ يتحدث إلى فارس ويقول: "أنت هتبقا محامي شاطر قوي يا فارس".. ليبتسم فارس هو الآخر في وجه الرائد، شاكرًا له كلامه الطيب، ليعود الرائد مرة أخرى ويتحدث ضاحكًا يقول: "يبني بتشكرني على إيه، ده أنا المفروض اللي أشكرك، ده أنت لو مكنتش لسه طالب كنت خدتك معايا وقدمتلك في الشرطة، وتشتغل مساعد للرائد سليمان".. ضحك فارس والرائد كلاهما، وأعلنت هذه الضحكات عن ولادة الألفة التي شعر به كلاهما تجاه الآخر.. مما دفع بالرائد ليسأل فارسًا عن عمل والده، ليجيبه فارس بشيءٍ من الحزن قد ظهر عليه، بأنَّ والده قد توفي منذ عشر سنواتٍ، فيتأسف الرائد على سؤاله وعلى سماعه ذلك، وقام الرائد بإخراج محفظته، وأخرج

منها بطاقة ورقية وقام بإعطائها إلى فارس، قائلًا له: "ده الكرت بتاعي يا فارس، لو احتجت أي حاجة، في أي وقت، متترددش إنك تتصل وتطلب".. شكره فارس على حسن معاملته وعلى تحمله له أثناء تطفله في التحقيق، وقاما بتوديع بعضهما البعض، وأخذ الرائد سليمان في الرحيل رفقة سائر أفراد الشرطة.

رحل جميع الحاضرين أيضًا مع رحيل الشرطة، وأذهانهم مليئة بشيئين لا ثالث لهما، أما الأول، فحزنهم الشديد على موت ذلك الفتى، وعلى مصير الفتاة المسكينة التي قد أردت به، وأما الثاني، فكان إعجابهم الشديد بذلك الفتى الذي قد ساعد أفراد الشرطة في التحقيق، والذي من خلاله استطاعت قوات الشرطة أن تقبض على المجرم الحقيقي، وحينها علم الجميع أنَّ لفارسٍ مقدرة عجيبة على تحليل الأمور واستنتاجها.

سار فارس صوب أصدقائه قائلًا: "يلَّه يا شباب نروَّح.. شغلنا خلص هنا".. لتصيح في وجهه هند قائلة: "إيه الهدوء اللي فيك ده يخربيتك، ولا كأنك لسه خاطف عقول كل اللي كانوا واقفين"، ثم بادرت نور هي الأخرى بالتحدُّث قائلة: "آسفة يا فارس على اللي أنا قلته قبل شوية".. لينظر إليها فارس نظرة، بدا من خلالها تقبله لذلك الأسف، ثم قال مخاطبًا إياها: "خلاص يا نور محصلش حاجة.. المهم الساعة بقت أربعة دلوقتي.. واليوم الجامعي خلص، يلَّه علشان نروح كلنا".

ودَّع الأصدقاء بعضهم البعض، وسار كل منهم نحو منزله، وقام فارس بركوب سيارته، وقام بالتوجه عائدًا تَعِبًا نحو المنزل بعد يوم شاق.. وحين وصوله إلى منزله، كانت حينها الساعة لم تتجاوز الخامسة بعد، فقام بالنزول من سيارته وفتْح بوابة المنزل، ثم عاد مرة أخرى إلى السيارة وقام بإدخالها وإقفال البوابة مرة أخرى.. ثم صعد درجات السلالم نحو المنزل، ليقوم بفتح الباب، فيجد كل شيءٍ كما تركه، وأنَّ

الأنوار والمصابيح مطفأة كما تركها، فقال محدثًا نفسه بصوتٍ استطاعت أذناه أن تسمعه: "معقول كل ده ماما مجاتش!".. ثم صعد درجات السلَّم نحو الطابق الثاني، تحديدًا نحو غرفته، ولمَّا همَّ بالولوجِ إلى غرفته، فوجئ بأنَّ غرفةَ أمه مفتوحة، على الرغم من أنه يتذكر جيدًا بأنه قد أغلقها من خلفه.. حينها قصد غرفة أمه، وظلَّ واقفًا بالخارج ينادي أمه، إلا أنَّ أحدًا لم يجب، مما دفعه إلى الدخول، ليصعق صعقة لم يصعق قطُّ مثلها، وذلك عندما رأى المنظر الآتي.. رأى أمه على سريرها، والدماء محيطة بها، وفي جبينها ثقبٌ قد تسببت به رصاصة قد استقرت في ذلك الجبين، ورأى أيضًا مسدَّسًا كان على الأرض؛ فما كان من فارس إلا أن سار نحو أمه والدموع تملأ عينيه، ثم اقترب منها متحسسًا نبضها، على الرغم من معرفته مما رآه بموتها، إلا أنه كان يتمنى أن يجده لم يتوقف بعد، ولكنَّه صاح بعلو صوته، وذلك عندما أدرك يقينًا أنها فارقت الحياة منذ فترة.. فأخذ فارس في البكاء على صدر أمه قائلًا: "ماما، لأ متسيبينيش دلوقتي، متموتيش وتسيبيني لوحدي في الدنيا الوحشة قوي دي، ماما.. فوقي، فوقي، أنت ممتيش صح! ماما!!!!!!".

*****

الفصل الثاني

ما كان من فارس إلا أن صُدِمَ مما قد حدث، فأخذت الصدمة منه ما كان يمتاز به، ألا وهو، سرعة بديهته، وحسن تصرفه وتدبيره للأمور، فلم يكن يعي ما يفعل، ولم يدرِ ما سيصنع، وكان بكاؤه سببًا في ذلك؛ ولكن سرعان ما تدارك فارس الأمر، وأيقن أنَّ ما حصل قد حصل، وأنَّه لن يستطيع أن يغير ما قد حدث بالفعل، وأنَّه لزامٌ عليه أن يعلم ما الذي يجري.. فها هو ذا قد قام من جلسته، واعتدل واقفًا، وأخرج هاتفه من جيبه، وأخرج أيضًا البطاقة التي أعطاها إياه الرائد سليمان، وقام بالاتصال بالرائد وشرح ما حدث له، وأخبره عن عنوان المنزل، وأخبره الرائد سليمان أنَّ الطريق سيستغرق منه نصف ساعة، حتى يتمكن من الوصول؛ أغلق فارس الهاتف، وفي أثناء انتظاره وصول أفراد الشرطة، قرر أن يحاول استكشاف ما قد حدث بنفسه، فقام بالبحث في طابقي المنزل كليهما، ودخل غرفة غرفة، ودخل دورات المياه الأربعة، التي كانت في المنزل الشاسع، فلم يترك فارس مكانًا يُدخل، إلا وقد دخله، ولكن دون جدوى، فلم يجد ما يثير الريبة، أو قد يساعد في معرفة ما حدث، فلم يجد شيئًا قد تحرك من مكانه، ولم يجد أيَّ أثرٍ يدل على العنف، أو على أنَّ والدته كانت تشتبك مع أحد في المنزل.. فسار فارس نحو أريكة الطابق الأول، ثم ألقى بنفسه عليها، منتظرًا قدوم الرائد سليمان.

في الواحدة ظهرًا، وقبل وصول فارس إلى منزله بأربع ساعات، كانت هناك سيارة بيضاء اللون، زجاجها معتم، لا يرى من بخارجها داخلَها، وكانت من نوع "مرسيدس".. كانت هذه السيارة واقفة أمام منزل فارس، وكان بداخلها شخصٌ جالسٌ في كرسي السائق، والذي بدوره قد فتح قفل السيارة، ليتمكن صديقه الذي

لتوه قد خرج من منزل فارس، من الركوب في الكرسي المجاور له.. ومع ركوبه أدار ذلك الشخص محرك السيارة، ورحل من أمام المنزل، وفي طريقهما، بدأ الشخص الذي كان يقود السيارة الكلام قائلًا: "ها يا مايو، خلَّصت؟".. ليجيبه ذلك الشخص على الفور: "وده سؤال يتسأل لمايو برده! طبعًا خلَّصت".. فيعاود السائق مرة أخرى: "عصْلجِت معاك؟".. لينظر الأخير نحوه نظرة، جعلته يندم على سؤاله، وبعد فترة من الصمت طالت، أخذ في قوله: "إيه يا رجب! مالك! ده أنا مايو".

رنَّ هاتف فارس، وكان المتصل هو الرائد سليمان، مخبرًا إياه أنه قد وصل أمام المنزل، طالبًا منه فتح البوابة له، وعندما دخل جميع أفراد الشرطة إلى المنزل، قام فارس بإخبارهم عن مكان غرفة أمه بالطابق الثاني، ليصعد فريق البحث الجنائي مسرعين تجاه تلك الغرفة، وفي هذه الأثناء كان الرائد سليمان رفقة فارس في الطابق الأول، وبينما كانا يصعدان السلم، أخذ الرائد في سؤال فارس: "إيه اللي حصل بالضبط، أنا مفهمتش منك غير إنك قلت إن والدتك مقتولة.. فإيه اللي حصل بالضبط؟".. كانت الصدمة لازالت بادية على ملامح فارس، إلا أنه كان واعيًا لما يقول وما يفعل، فأجاب عن سؤال الرائد بكل هدوء: "أنا بعد ما وصلت البيت، كنت طالع الأوضة بتاعتي، فلقيت أوضة ماما مفتوحة، وأنا كنت سايبها ورايا مقفولة الصبح، وأمي أصلًا مكنتش في البيت الصبح لما أنا نزلت، ومكنش فيه أي علامة تدل على إنها رجعت البيت لما أنا جيت، فعلشان كده استغربت لما لقيت أوضتها مفتوحة، ولما دخلت أشوف هل هي رجعت ولا لأ، تفاجأت بأنها مقتولة في سريرها".

– طيب ممكن يكون انتحار يا فارس؟

– مستحيل سعادتك، لأن لما حضرتك هتطلع الأوضة، هتلاقي الرصاصة في جبهتها مش في راسها من اليمين، طبعًا المنتحر هينتحر بإيده اللي بياكل بيها، فهيا لو كانت انتحرت، مكنش الرصاصة هتبقا قدام في الجبين، زائد سعادتك المسدس اللي أعتقد إنه استُخدم في الجريمة، كان مرمي على الأرض، فلو كانت هي انتحرت فعلًا، فمين بعد ما هي ماتت اللي رمى المسدس على الأرض، بعيد عن السرير اللي هي ميتة عليه.. والأهم من ده كله، أمي متعملش كده سعادتك..

وفي هذه اللحظات كان الرائد وفارس قد وصلا إلى غرفة أم فارس، وعندما دخلا إليها كان أفراد فريق البحث الجنائي منهمكين في التحقيق والعمل، فترك الرائد فارسًا وذهب صوب جثة أمه، وقام بالتحديق فيها بعض اللحظات، ثم أخذ يقلب النظر في الغرفة، ثم عاد مرة أخرى إلى فارس والذي كان لا يزال واقفًا أمام باب الغرفة ولم يدخل.

بدأ الرائد سليمان تحدثه مرة أخرى إلى فارس: "طيب يا فارس، تفتكر اللي عمل كده حرامي كان بيسرق، ووالدتك شافته قام قاتلها؟".. استنشق فارس بعض الهواء، وكانت عيناه مليئة بالحزن، وقلبه موجعٌ بالفقد، ثم أخذ يجيب الرائد: "أولًا: حضرتك مفيش أي أثر على اقتحام الفيلا، سواء إزاز مكسور، أو كالون مخدوش، أو حتى مشادّة حصلت بين أمي والحرامي، ثانيًا: مفيش أي مفقودات من الفيلا، حتى الفلوس في الخزنة زي ما هي، والخزنة محدش جه جنبها، ثالثًا بقا: حضرتك جريمة القتل واضح قوي من كمية الدم اللي على السرير، إنها حصلت في أوضة أمي، يعني محصلتش برة وقام القاتل شايل أمي وحاططها على السرير، وأكيد القاتل لو حرامي، مش هيكفل نفسه عناء إنه يشيلها يحطها على سريرها وبعدين يبين إن الجريمة حصلت في الأوضة، هو هيستفيد إيه من كل ده، ثم هو هيعرف ازاي إن دي

تحديدًا أوضة أمي، فواضح جدًّا حضرتك إن القاتل شخص جاي متعمد يقتل أمي، وده غرضه الوحيد من مجيئه للفيلا".

فوجئ الرائد سليمان من قدرة فارس العجيبة على تحليل الأمور على الرغم مما يمر به من ظروف وموقف عصيب، ومع ذلك لم يمنعه ذلك التفكيرَ بعقلانية وهدوء ورزينة؛ واصل الرائد أسئلته مرة أخرى: "تمام يا فارس، والدتك شغالة إيه طيب؟".

– حضرتك والدتي ربة منزل، مش شغالة.

– طيب أنتم عندكم أعداء؟

– أعداء؟! لأ طبعًا، إحنا في حالنا معندناش عداوة مع حد.

– طيب مفيش حاجة غريبة حصلت، أو تصرف مش طبيعي والدتك عملته قريب، سواء امبارح أو أول امبارح؟

– صراحة فيه حاجة لحد دلوقتي محيراني، أنا والدتي متعودة تصحيني ديمًا للجامعة، بس الغريب إن النهارده دي أول مرة متصحينيش فيها، وكمان أصحى ملقيهاش في البيت، على الرغم من إن كل حاجة كانت طبيعية امبارح.

– اممم طيب عندكم قرايب يا فارس؟

– أنا والدي الله يرحمه كان وحيد، مكنش عنده اخوات، ولا كنت أعرف له ولاد عم أو ولاد خال، ووالدتي معندهاش غير أخت واحدة –خالتي سامية– حتى خالتي نفسها مش متجوزة ولا مخلفة، يعني تقريبًا كده، إحنا زي المقطوعين من شجرة.

قاطع أحد أفراد البحث الجنائي حديث الرائد مع فارس، إذ قال: "سعادتك زمن الوفاة الفعلي كان من الساعة اتناشر ونص لواحدة ونص، وفعلًا زي ما توقعنا، الرصاصة اللي خرجناها من جسد الضحية، نفس نوع رصاص المسدس اللي على الأرض، فهو فعلًا المسدس اللي الضحية اتقتلت بيه، ومع الأسف ملقيناش أي

بصمات عليه، ومفيش سعادتك أي أثر على جسم المجني عليها يدل على مقاومتها للقاتل أو خلافه". نظر الرائد سليمان إلى فارس، فلم يجده مستغربًا، وكأنه كان متوقعًا لكل تلك التحقيقات.. وهنا شكر الرائد عضو فريق البحث الجنائي على معلوماته، وطلب منه العودة ومواصلة التحقيق، ومن ثَمَّ عاود كلامه مع فارس مرة أخرى: "يعني ماتت وإحنا كنا في جامعتك يا فارس بنحقق في قضية مدحت".. غضب فارس بعض الشيء، وكان غضبه هذا دافعًا له ليقول: "اتقتلت.. اسمها اتقتلت حضرتك، مش ماتت، لأنها تفرق كتير".. وضع الرائد سليمان يده على كتف فارس مواسٍ له، واعدًا إياه بأنه سيفعل كل ما يستطيع حتى يجد الفاعل، وسيسعى قدر الإمكان حتى ينال ذلك الفاعل عقوبته على فعلته الشنعاء.

طلب الرائد سليمان من فارس أن يتصل بخالته التي قد ذكرها آنفًا، وأن يسألها عما إذا كانت قد رأت والدته اليوم أم لا، وأن يخبرها أيضًا بما حدث، حتى تأتي ويتم التحقيق معها. فعل فارس ما أمر به الرائد، وأخذ في الاتصال بخالته التي تدعى سامية، وها هي تجيب على الهاتف، ليبدأ فارس كلامه: "ازيك يا خالتي، أخبارك إيه؟".

– الحمد لله يا حبيب خالتك، ازيك أنت يا حبيبي، وازيّ أمال؟

– يعني حضرتك مشفتيش ماما النهارده خالص؟

– أنا بقالي أسبوعين يا فارس مشفتكش، ولا أنت، ولا أمال، من ساعة ما كنتوا عندي هنا.

– طيب بصي حضرتك، أنا مش عايز أخضك بس لازم تيجي عندنا حالًا.

– خير يا فارس فيه إيه؟ أمال جرى لها حاجة؟

– اتقتلت يا خالتي.. ماما اتقتلت.

- بتقول إيه! اتقتلت! إيه الجنون اللي أنت بتقوله ده!

- يلَّه يا خالتي أنا هقفل ومستنيكي، وحتى الشرطة كمان هنا، وبتحقق في الجريمة أهه، سلام يا خالتي.

- استنى يا فا....

أغلق فارس هاتفه، وقام بإخبار الرائد بأن خالته قادمة، وأن أمامها قرابة الساعة، حتى تتمكن من الوصول، وفي أثناء هذه الساعة ظلَّ الرائد وفارس يتجولان في جميع أنحاء المنزل، باحثين على ما قد يساعد في مجريات التحقيق، أو عن دليل قد يقود إلى الجاني، لكن دون جدوى، فقد ذهب بحثهم هباءً.

وصلت خالة فارس أخيرًا إلى منزله، ومعها كل تلك الحيرة والدهشة التي كانت عليها، فهي لم تفهم شيئًا من فارس، ومع وصولها ولقائها بفارس والرائد وأفراد الشرطة، أخذت تتيقن أنَّ ما قاله فارس هو عين الحقيقة، وأنَّ أمه بالفعل قد قتلت، وأنها للتو قد فقدت الأخت الوحيدة لها.

بعد أن رأت خالة فارس أختها قتيلة على سريرها، ورأت فريق البحث الجنائي منهمكًا في التحقيق في الغرفة وفي سائر أنحاء المنزل، عادت تهرول نحو فارس والذي كان رفقة الرائد في الطابق الأول، وأخذت تصرخ باكية تقول: "فارس.. مين اللي عمل كده يا فارس.. مين اللي عمل كده!"، حينها أخذ فارس في تهدئتها، ولكن دون جدوى، فصراخها كان أعلى من أن تستمع إلى فارس، فحينها تدخل الرائد قائلًا بصوت حازم صارم: "يا أستاذة وحدي الله، مش كده، مفروض مين فيكم اللي يهدي مين، معقول الشاب الصغير اللي لسه فاقد أمه هو اللي بيواسيكي، وأنت

اللي مش عارفة تتمالكي أعصابك، أنا طبعًا مقدر الظرف اللي أنتِ فيه، بس لازم تحاولي تتماسكي شوية".

بالفعل تماسكت خالة فارس، وحاولت تهدئة نفسها، بشرب بعض قطرات الماء المثلج، ومع هدوئها، انهال عليها الرائد سليمان سائلًا: "عايز أعرف حضرتك كنتِ فين من الساعة اتناشر ونص، للساعة واحدة ونص".. لتتفاجأ خالة فارس من سؤال الضابط لها، فتنظر إثر ذلك إلى فارس، والذي بدوره أوحى لها أن تتجاوب مع الرائد، حيث إنَّ ذلك أجراءٌ طبيعي وروتيني.. فتنظر سامية إلى الرائد ثم تأخذ في سؤاله مستفهمة: "هو حضرتك بتشك فيا؟!".

– حضرتك ده سؤال طبيعي، وأنا مقصدش بيه أي حاجة، لاحظي حضرتك، إن أقرب جار للفيلا هنا على بعد نص كيلو، وده اللي عرفته من فارس، وعلى كلام فارس برده، مفيش قرايب ليهم غير حضرتك، يعني لازم حضرتك تتفهمي إني مقداميش غيرك دلوقتي أسأله وأستفهم منه.

هدأت سامية مرة أخرى، وقامت بالتقاط أنفاسها، وأخذت تجيب: "أنا كنت وقتها في السوق بشتري طلبات للبيت".

– حضرتك عندك دليل على كده؟

– أنا كان معايا جيهان صاحبتي، تقدر تسألها.

– طيب ما تطلبيها لنا كده.

أخرجت سامية هاتفها وقامت بالاتصال بصديقتها، وطلب الرائد منها أن تعطيه الهاتف، ولما قام بأخذه، قام بتفعيل خاصية مكبر الصوت، وأخذ ينتظر ردَّ صديقة سامية عليه.. أجابت جيهان على المكالمة بادئة التحية: "ازيك يا سمسم، خير يا حبيبتي!".

– مع حضرتك الرائد سليمان إبراهيم، مباحث، كنت حابب أعرف من حضرتك هل أنتِ فعلًا كنتِ مع صاحبتك سامية في السوق، في الفترة من اتناشر ونص لواحدة ونص؟

– إيه ده! هو إيه اللي بيحصل بالضبط؟

– حضرتك فيه جريمة قتل هنا، أرجوكِ جاوبي على سؤالي.

– جريمة قتل! فيه إيه! مين اللي اتقتل؟ سامية كويسة؟

– يا أستاذة الأبلة سامية بخير متقلقيش، أرجوكِ ردِّ على سؤالي.

– آه فعلًا، أنا وسامية كنا في السوق من اتناشر كده تقريبًا، لحد الساعة اتنين، أو اتنين ونص، مش فاكرة قوي.

– تمام شكرًا لحضرتك، أستاذة سامية معاكِ أهه، هتفهمك هي اللي حصل.

أعطى الرائد الهاتف إلى صاحبته، وقامت بإغلاق وضع مكبر الصوت، وسارت بعض الخطوات، مبتعدة عن فارس والرائد، وأخذت في التحدث إلى صديقتها؛ وبدأ الرائد في التحدث إلى فارس: "كده تأكدنا نوعًا ما إن خالتك بريئة يا فارس، إلا إذا كانت متفقة مع صاحبتها دي إنهم يقولوا كده"، فيجيبه فارس بشيءٍ من الحزن وكسرة القلب: "حضرتك أنا مبشكش في خالتي أصلًا، عمري ما أتصور إن خالتي سامية ممكن تعمل حاجة زي كده في أمي، دول كانوا بيعشقوا بعض، فاطَّمّن حضرتك، مستحيل تكون هي، أصلًا مفيش دافع يخليها تعمل كده، ثم هي هتكون عارفة كويس، إنها لو عملت حاجة زي كده، إن أنا هقدر بمنتهى السهولة أعرف وأكشفها".

تفاجأ الرائد من ثقة فارس الشديدة التي كان يتحدث بها، ولكن لم يبدِ أيَّ ردٍّ، وفي هذه الأثناء كانت خالة فارس قد أنهت مكالمتها مع صديقتها، بعد أن أفهمتها

ما قد حدث بالضبط، وسارت نحو فارس والرائد مرة أخرى، وأخذت في سؤال الرائد: "يعني إيه! مش هنعرف نوصل للجاني ولا إيه؟"، فيقوم الرائد بتهدئتها، قائلًا: "حضرتك هو آه مفيش أي بصمات على المسدس، وأكيد المسدس ده مش مترخص، والمجرم مسبش وراه أي أثر، أو طرف خيط ممكن يقودنا إليه، بس إحنا هنعمل المستحيل علشان نجيبه، ونعاقبه على عملته دي، تأكدي من ده يا أفندم".

مر من الوقت ما كان كافيًا أن يجعل الجميع يائسًا من أن يصل إلى أي شيء، وها هو ذا الرائد سليمان يتحدث إلى فارس ويقول: "بص يا فارس يا ابني، إحنا وجودنا هنا كل الوقت ده مخلناش نقدر نوصل لأي نتيجة، فإحنا خلاص وجودنا هنا معدش له أي لازمة، إحنا هنمشي دلوقتي، والتحقيق هيفضل زي ما هو شغال، وأنا علشان عزيتك وحبيتك، مش هاخدك معايا دلوقتي القسم ونفتح محضر وناخد أقوالك وكده، لأ، هسيب لك والدتك تدفنها، وتخلص إجراءات الدفن والغُسْل، وبعد الدفن إن شاء الله، هجيلك لحد عندك، وأجيبك معايا للقسم نعمل المحضر، وبعد كده هروحك بنفسي"، شكر فارس الرائد على مجهوداته، ومراعاته للظروف التي يمر بها، وأخبره أنه سيكون بانتظاره بعد ظهر الغد، أي بعد الدفن.

رحل جميع الحاضرين في منزل فارس، تاركين فارسًا وخالته، رفقة القتيلة المسكينة، والتي قد تجمد جسدها على سريرها، ملفوفة بغطاءٍ رقيق، تاركة أثرًا في قلب ولدها، سيعيش معه إلى أن يشاء الله؛ فها هو ومع رحيل الشرطة، توجه صوب خالته والتي قد أخبرته بأنها ستبيت معه تلك الليلة العصيبة، وأخذ في التحدث إليها قائلًا بصوت أوشك أن يقطع قلب خالته: "أنا هروح أنام في أوضتها، هنام جنبها على الأرض يا خالتي.. والصبح إن شاء الله، هسيب لك أمور الغسل وتصريح

الدفن وكل الحاجات دي". صعد فارس الطابق الثاني صوب غرفة أمه، تاركًا وراءه خالته، والتي لم تجد كلامًا تواسي به ابن أختها، فهي لم تكن تدري، أتواسي نفسها، أم فارسًا الذي لتوه قد فقد السند الوحيد له في هذه الحياة، فبعد والده الذي مات منذ عشر سنوات، لم يبقَ له غير أمه، والتي بدورها قد رحلت وتركته وحيدًا.

كانت ليلة مأساوية على فارس، فلم يغمض له جفن، ولم يهدأ له بال، ظلّ طوال الليل يفكر في أمه القتيلة بجانبه على السرير، وأخذ يستعيد ذكرياته السعيدة معها، ويتذكر كيف كانت تحبه وتحنو عليه، خاصة بعد رحيل والده عن الدنيا، وتذكر يوم مولده في العام السابق، عندما اشترت له والدته سيارته التي يقودها الآن، بمناسبة عيد ميلاده، وتذكر أيضًا كيف كانت تأتي إليه بجميع طلباته التي يريدها، فهي لم تكن تحرمه من شيءٍ قطُّ.

مرَّ الليل ولم يدرِ فارس كيف مر، وجاءته خالته لتوقظه، زعمًا منها أنه نائم، إلا أنها رأته ما زال مستيقظًا، فلم ترد أن تكثر عليه، فطلبت منه الخروج من الغرفة حتى تتمكن من إنهاء أمر الغسل. خرج فارس تاركًا خالته تتصرف كيف تشاء، فهو لم يستطع أن يرى أمه وهي تُغسَّل، فسوف يكون ذلك صعبًا عليه؛ أخبر فارس أصدقاءه بما حدث عن طريق الهاتف، ووقع عليهم الخبر وقوع الصاعقة، فلم يصدق أحد منهم ما حدث، وأخبرهم فارس أيضًا بميعاد الدفن ومكان المقابر، حتى يتمكنوا من المجيء.

مرت خمس ساعاتٍ مُذ أخرجت خالة فارسٍ فارسًا من الغرفة، وها هم قد أنهوا كل شيءٍ، وأصبح كل شيءٍ جاهزًا لدفن والدة فارس. وصل فارس وأصدقاؤه وخالته إلى المقابر، وذلك بعد أن انتهوا من الصلاة على المتوفاة، ولم يكن الحضور

كُثرًا، فلم يأتِ إلا أصدقاء فارس الخمس، وخالته، وبعض الغرباء الذين كانوا في المسجد وعلموا بوجود جنازة، فأرادوا نيل ثوابها.

انتهى الجميع من الدفن، وجلس فارسٌ عند قبر أمه، وأخذت دموعه تسقط رويدًا رويدًا، فالتزمه كل من طارق وشادي، وقاما باحتضانه، قائلين له بأن حق أمه سيرجع لا محالة، وأنه سيهدأ باله عند مكوث قاتل أمه في السجن، وأنَّ عليه مواصلة الحياة وكأنَّ شيئًا لم يكن، حتى لا يتسبب له الحزن بأمراض خطيرة، أو أوبئة لعينة.

خرج الجميع من المقابر، وتوجهت خالة فارس نحوه قائلة: "فارس يا حبيبي، أنت مينفعش تفضل لوحدك الفترة اللي جاية دي، لازم تشوف حل، حد من صحابك يفضل معاك مثلًا، لحد ما الأزمة دي تعدي".. تحدث طارق مؤيدًا لقولها: "فعلًا يا فارس، لازم أفضل معاك أنا وشادي، على الأقل لحد ما نطمن عليك وتبقا كويس".. وقالت هند هي الأخرى: "أيوة يا فارس كلامهم صح، إحنا هنفضل قلقانين عليك كلنا لو كنت لوحدك، لازم طارق وشادي يكونوا جنبك الأيام دي، وأي أكل أو تنضيف أو كده، هنبقا نييجي نساعدكم أنا ونور وغادة".. انتظروا جميعًا إجابة فارس، والذي نظر إلى السماء، ثم ابتسم ابتسامة مصطنعة رسمها على وجهه، حتى لا يقلق عليه أحد، ثم نظر في وجوههم وقال: "أنا شاكر لكم جميعًا وقفتكم جنبي، وخوفكم عليا، بس متقلقوش أنا بخير، بس محتاج أكون لوحدي الفترة دي، وكمان الرائد سليمان هييجي على البيت كمان حبة علشان ياخدني معاه القسم ونكمل التحقيق، وياخد أقوالي بصورة رسمية، ومفيش داعي إنكم تكونوا قلقانين، أنا همارس حياتي عادي".

استمر فارس في محاولة إقناعهم برغبته في البقاء وحيدًا، إلى أن يئسوا منه، وعلموا أنه فاعلٌ ما أراده لا محالة.. وها هنا قد افترقوا جميعًا، واتجه فارس صوب منزله، والذي مع وصوله إليه، وجد الرائد منتظرًا في سيارته الشخصية أمام بوابة المنزل، ليركب برفقته ويذهبا معًا إلى قسم الشرطة –حيث يعمل الرائد سليمان– وظلّ الرائد يسأل فارسًا أسئلة روتينية، اعتقادًا منه أنها ستفيد في مجريات التحقيق، وما كان من فارس إلا أن أجاب عن أسئلة الرائد جميعها، حتى انتهى الرائد أخيرًا من أسئلته، ومع انتهائه قال فارس: "حضرتك أنا حققت في الموضوع بنفسي، مفيش أي دليل أو طرف خيط صغير حتى المجرم سايبه في البيت، مفيش أي أثر يدلنا عليه، وزي ما أنا لسه قايل لسعادتك دلوقتي، مفيش حد معين أنا بشك فيه، والدتي حتى مكنش ليها صحاب، مكنتش بتختلط مع حد نهائي"؛ وضع الرائد سليمان أصابع يده اليمنى على اليسرى، وأسند ظهره وأراحه على كرسيه الذي كان جالسًا عليه، وأخذ يتحدث: "بص يا فارس، تأكد إن مفيش مجرم في الدنيا دي كلها، مهما كان ذكاؤه، يقدر يفلت من قبضة القانون، تأكد إن مفيش مجرم مهما كان ذكاؤه، مبيسيبش أثر وراه في مسرح الجريمة، تأكد إن مفيش مجرم مهما كان ذكاؤه، يقدر يفلت من قبضة الرائد سليمان يا فارس".

أخذ فارس بإبهامه وسبابته يدعك كلتا عينيه، وبدأ في التثاؤب، ثم أردف يقول: "سعادتك مسألتش نفسك.. هو ليه أمي اتقتلت في البيت تحديدًا! طيب ليه اتقتلت في أوضتها وعلى سريرها بالذات! مش ده معناه إن أمي كانت مستسلمة خالص للقاتل؟ أو إنها كانت نايمة في سريرها ساعت قتلها، وده هيرجعنا لنقطة، إن ازاي القاتل عرف إن أمي هتكون نايمة دلوقتي، أو حتى إني مش في البيت دلوقتي، هل معقول اعتمد على الحظ؟ والسؤال اللي أهم من ده كله، هو إن ليه المجرم ساب

المسدس في مسرح الجريمة، هو آه المسدس مفدناش بحاجة، بس ازاي جات له الجرأة يسيب المسدس في مسرح الجريمة؟! كل دي أسئلة وأكتر بتدور في ذهني سعادتك، ومش لاقي لها إجابات".

– أنا عايزك تروح دلوقتي يا فارس، تريح جسمك، وتناملك شوية، وتأكد إن التحقيق ماشي زي ما هو، ولو حصل أي جديد هرن عليك على طول أعرفك، وأنت كذلك، أي جديد يحصل من طرفك، يا ريت تبلغني فورًا.

– أكيد سعادتك ده اللي هيحصل.

ودع فارس الرائد، والذي أوصله إلى منزله بسيارته، ثم رحل إلى قسم الشرطة مجدَّدًا، حتى يستكمل أعماله ومشاغله؛ دخل فارس من باب المنزل، وقام بإغلاقه من ورائه، وأخذ في تأمل المنظر الذي أمامه، وفي جدران المنزل وفي أثاثه، ولما رأى أنه قد اختلى بنفسه، أخذت دموعه في الانهمار، وأخذ لسانه يتحرك قائلًا: "أول مرة أحس إن البيت على الرغم من وسعه، إلا إنه ضيق قوي".. ثم أكمل يقول: "البيت هيكون وحش قوي من غيرك يا ماما".

مرت أربعة أيامٍ مُذ ودَّعَ فارسُ أمَّه، وكانت أيامًا عصيبة، لم يخرج فارس خلالها من منزله، حتى عندما طلب منه أصدقاؤه المجيء إلى الجامعة، وحتى عندما طلبت منه نور أن يأتي ويتناول معها وجبة الغداء في منزلها، كما كان يفعل سابقًا، ولم يختلف الحال عندما طلبت غادة منه أن يخرج جميعهم ليلًا، قاصدين أحد صالات العرض السنيمائي؛ فظلَّ فارس تلك الأيام المعدودة في منزله، لا يفعل شيئًا غير أنه يتواصل مع الرائد سليمان، سائلًا إياه عما إذا كانت هناك أنباءٌ جديدة أم لا، ولم يختلف ردُّ الرائد كثيرًا عن كل مرة، فهو لم يزد على أن يقول: "التحقيق شغال، ومفيش جديد لحد دلوقتي".

بينما كان فارس مستلقيًا على سريره، واضعًا يسراه على يمناه خلف رأسه، مُريحًا بذلك جسده، رنَّت عليه خالته، مخبرة إياه بأنها تريده في منزلها على أسرع وجه، وعندما قام بسؤالها عن السبب، امتنعت عن الإجابة، وقالت بأنه سيفهم عندما يأتي؛ قام فارس من فراشه، وبعد أن استبدل ملابسه، استقل سيارته وتوجه إلى منزل خالته، لا يدري سبب استدعائها له.. ومع وصوله وطرقه للباب، فتحت الخالة الباب وقامت بإدخاله، وأخذت تتلفت يمنة ويسرة، قبل إغلاقها الباب، بدا فارس مستغربًا لأفعالها، مما دفعه إلى السؤال: "في إيه يا خالتي بالضبط؟!".. لتجيبه الأخيرة: "أقعد بس يا فارس دلوقتي وهفهمك كل حاجة".. توجه فارس ناحية الأريكة التي كانت في صالة المنزل، ومع جلوسه جلست إلى جانبه خالته، وقامت بإمساك يديه وأخذت تقول: "فارس يا حبيبي، مش عايزاك تتخض من اللي هقوله ده".. لم يفهم فارس شيئًا مما يسمع، فبدأ في الاستفهام من خالته عن مرادها، فتجيبه الخالة: "فارس، أنا عرفت مين اللي قتل أمال".

صُعق فارس من حديثها، واتسعت حدقتا عينيه، وازدادت ضربات قلبه، واحمرَّ وجهه، ثم صرخ في وجهها يقول: "بتقولي إيه! عرفتيه! مين هو؟! وعرفتيه ازاي؟!".

– إهدى يا فارس يا حبيبي، إهدى علشان أفهمك كل حاجة.

– أنا هادي أهه يا خالتي، فهميني بقا، فهميني بسرعة.

أخذت خالة فارس تلتقط أنفاسها، ثم أردفت تقول: "بص يا فارس، عايزاك تركز في اللي هقوله ده كويس قوي، أولًا: اللي قتل أمال مستحيل أنت على الرغم من ذكائك ده، أو حتى الشرطة نفسها، تقدر توصل له، اللي قتل مامتك يا فارس، كيان كبير قوي، أكبر من إن الشرطة تعرف تتعامل معاهم، اللي قتل مامتك يا

فارس ناس بتستخدم أسماء شهور السنة كأسماء وهمية ليهم، ورئيس الكيان ده لحد دلوقتي مش معروف هو مي...."؛ قاطع فارس خالته حيث قال: "وأنتِ بقا بقالك قد إيه شغالة مع الكيان ده يا خالتي؟".. فوجئت خالة فارس من سؤاله، وأبدت دهشتها وذلك عندما سألته: "عرفت ازاي يا فارس؟!".

– أنا لما أنت معرضتيش عليا إنك تيجي تباتي معايا في البيت، أو إني آجي أنا أبات معاكِ هنا، وبدلًا من ده، عرضتي عليا إن حد من صحابي يفضل معايا هو، استغربت، قلت يا ترى هي مش عايزاني أكون معاها ليه.. دلوقتي بس عرفت ليه، علشان تعرفي تواصلي أعمالك مع الكيان اللي بتقولي عليه ده، من غير ما حد يكون معاكِ في البيت، وده برده يفسر لنا أنتِ ليه لحد دلوقتي متجوزتيش، وكنتِ بترفضي كل العرسان اللي بيتقدموا لك.. ومن خلال معرفتك لكل المعلومات عن الكيان اللي بتقولي عليه ده، ومعرفتك بأنهم هما اللي قتلوا ماما، ده أثبت لي إنك واحدة منهم.. فهميني بقا الناس دي قتلوا أمي ليه، الناس دي عايزة إيه بالضبط؟! إيه هيا الأعمال اللي أنتم بتمارسوها، والنشاطات اللي بتنفذوها؟ عايز أعرف كل حاجة منك.. عايز أعرف ازاي توافقي على إن أختك تتقتل؟

– ذكاؤك كل يوم بيزيد عن اليوم اللي قبله يا فارس، مع شوية ملاحظات صغيرة زي دي، قدرت تعرف إني واحدة منهم، عمومًا يا فارس، على الرغم من شدة ذكائك دي، إلا أنك مش هتعرف تعمل حاجة مع النا...

– مش هعرف أعمل حاجة إيه! ده أنا هحبسكم كلكم يا كلاب، مش هسيب حد فيكم برة السجن، أنتم وكبيركم اللي معندكمش فكرة هو مين لحد دلوقتي ده.

– بص يا فارس أنا عذراك، وصدقني أنا حزينة على موت أمال زيي زيك، سبني بس أفهمك اللي حصل، وأفهمك أنا عرفت ازاي، وأفهمك أنا وظيفتي إيه مع

العصابة دي.. بص يا فارس العصابة دي عبارة عن رئيس وهمي، محدش يعرفه لحد دلوقتي، حتى أكبر الأعضاء في العصابة، وأنا صراحة معرفش التواصل بين الرئيس واللي تحت منه بيتم ازاي، لأني أقل درجة في الكيان ده؛ والدرجة اللي أعلى مني، هي الأعضاء المهمين، وهم دول بقا اللي ليهم أسماء وهمية زي ما قلت لك، وبيستخدموا أسماء شهور السنة كأسماء وهمية؛ أما أنا بقا والأعضاء اللي زيي، ملناش أي أهمية عندهم، إحنا أقل من العسكري اللي في رقعة الشطرنج، ده إحنا حتى منعرفش شكل أي عضو من الأعضاء المهمين لحد دلوقتي، عمري ما شفت حد منهم، يعني مثلًا كل الدور اللي أنا بقوم بيه، إن بيجيلي اتصال كل تلات أو أربع أيام، مبيتأخرش عن كده، وكل مرة من رقم مختلف، يعرفني إن هما برة البيت عندي، فبقوم خارجة ليهم، ألاقي عربية بيضاء، إزازها مش مبين اللي جواها، ولا أعرف حتى مين اللي كان بيكلمني ده، كل اللي بعمله بقا، إني بلاقي شنطة العربية دي مفتوحة، فباخد الطلب اللي فيها، وأقفل شنطة العربية وأدخل البيت تاني، والعربية تمشي، والطلب اللي باخده ده، بيكون مكتوب عليه أوصله فين، حتى مبعرفش الطلب ده إيه، أو رايح لمين، كل وظيفتي إني مرسال وبس، لو فكرت في مرة أفتح الطلب، أو أحاول أعرف مين اللي جاب لي الطلب ده، أو حتى مين اللي الطلب بيروح له، مش هيطلع عليا نهار تاني، ده الكلام اللي اتقال لي منهم عن طريق مكالمة من رقم غريب، زي ما فهمتك قبل شوية؛ نيجي بقا لنقطة أنا عرفت ازاي إن هما اللي قتلوا أمال، امبارح لما اتصلوا بيا، كنت جاهزة علشان إني أخرج لهم زي كل مرة، فقالوا لي إن مفيش النهارده طلب يتوصل، فاستغربت اتصلوا ليه مدام مفيش طلب يتوصل، وفجأة لقيت اللي بيكلمني بيقول لي أخبار أختك أمال إيه، فاتخضيت وقلت له أنتم ليكم علاقة باللي حصل مع أمال أختي! لقيته بيقول لي أنا

عايزك تعتبري أختك عبرة ليكي، علشان لو فكرتي تخونينا في أي يوم، واستني مننا اتصال بكرة أو بعده بالكتير، علشان توصلي الطلب اللي عليه الدور؛ وبعدين قفل السكة في وشي، وصدقني يا فارس أنا من امبارح مش عارفة أعمل إيه، وعمالة أفكر أعمل إيه، وخايفة آخد أي خطوة علشان خايفة عليك والله يا حبيبي.

صمتت الخالة بعد كل ذلك الحديث الطويل، جاعلة الحيرة تصيب فارس، الذي كان مندهشًا من حديثها، فظل صامتًا برهة من الزمن لا يدري ما يقول؛ وضع كفيه على وجهه ماسحًا بهما وجهه، بادئًا من جبهته، منتهيًا بذقنه التي لم تنبت بعد، وبعد أن وصل إلى ذقنه، وضع كفه الأيمن على كفه الأيسر، وأسند ذقنه على أصابعه، وبدأ يقول: "يعني أفهم من كلامك، إنك متعرفيش سبب قتل أمي! أصل مش معقول إن هما قتلوها لمجرد إنهم يخلوها عبرة ليكي زي ما قالوا لك، زائد أنت انضممتِ للناس دي ازاي وأنت بتقولي إنك مشفتيش حد منهم قبل كده".

– بص يا فارس، أنا فعلًا معرفش قتلوا أمال ليه، وطبعًا أيوة مش علشان تبقا عبرة ليا ولا حاجة، أصل لو علشان تبقا عبرة ليا، كانوا قتلوها من زمان، منا بقالي أربع سنين شغالة مع الناس دي، وعمرهم ما شكُّوا فيا.. وعمري ما كنت استجري أخونهم، وبالنسبة بقا لانضمامي ليهم، هم بيختاروا الناس اللي مش مهمة زيي، ويجندوهم لمصلحتهم، وأهو لو اتقبض عليا في مرة وأنا بوصل الحاجات اللي بوصلها دي، واللي أكيد حاجات تخليني أفضل في السجن للباقي من عمري، لو فكرت أقول أي حاجة عنهم، هقول إيه، هقول رقم غريب بيتصل بيا كل مرة! هقول عربية إزازها متفيم والنمر بتاعتها بتتغير كل مرة! هقول ناس معرفش عنهم أي معلومة غير أسمائهم الوهمية، واللي عرفتها من خلال إنهم هما اللي قالوها ليا، وقالوا لي إنهم ميعرفوش رئيسهم، فمفيش داعي هي تحاول تعرف هم مين.. فمن أربع سنين

يا فارس جالي اتصال غريب، طلب مني الاتصال ده إني أنضم لكيان مجهول، محدش يعرف عنه حاجة، وإن الوظيفة اللي هتطلب مني هتكون سهلة خالص، كل اللي هعمله إني هوصل طلب للمكان اللي مكتوب على الطلب، ومع كل توصيلة هلاقي على الطلب اللي باخده من العربية ده، مبلغ ألف دولار.. ولما قلت لهم لو رفضت إيه اللي هيحصل، لقيت طلقة داخلة عليا من برة البيت، وكسرت إزاز الشباك، وعدِّت من جنبي بمفيش كام سنتي، ولقيت اللي في التيليفون بيقول لي، عرفتي إيه اللي هيحصل لك، خفت واضطريت إني أوافق، وبقالي أربع سنين شغالة معاهم نفس الشغلانة.

– أنا هحبسكم كلكم يا كلاب.

– يا فارس يا حبيبي بلاش تحفر قبرك بإيديك، أنا خايفة عليك يا فارس، أنت ابني اللي كان نفسي أخلف واحد زيه.

– ابنك! وعلشان أنا ابنك تقومي مساعدة في قتل أمي؟! اللي هي أختك!

– علشان أثبت لك يا فارس إني فعلًا مليش ذنب، وفعلًا مش راضية عن اللي حصل ده، أمسك يا فارس.. أخرجت خالة فارس من جيبها ورقة وقامت بإعطائها إلى فارس، ثم قالت: "بص يا فارس، ده اسم البنك اللي أنا بتعامل معاه، وده رقم الحساب بتاعي، تقدر تسحب كل الفلوس اللي أنت محتاجها، أنا حسابي داخل دلوقتي على نص مليون دولار". أمسك فارس الورقة التي أعطتها إياه خالته، وبينما كان يطالع بها، إذ به يجد خالته تقع عليه، وذلك بعد أن أخرجت من أسفل الأريكة مسدَّسًا وقامت بإطلاق النار على رأسها وطاحت قتيلة بين أحضان فارس؛ أمسك فارس بها بكل هدوء، وقام بإرجاعها إلى الخلف، مريحًا ظهرها على الأريكة، وقام بتمزيق الورقة التي أعطتها إياه، ثم ألقاها على جسدها الميت، ثم قال محدثًا جثتها

الهامدة: "عايزاني آخد دية في أمي! أنا ديتي إن مصير كل كلب فيكم يبقا زي مصيرك ده".

قام فارس بالاتصال بالرائد سليمان طالبًا منه المجيء على وجه السرعة، واصفًا له عنوان منزل خالته، ومع وصول الرائد سليمان والذي لم يستغرق النصف ساعة، كان فارس بانتظاره، وقام بإخباره كل شيء حدث، أخبره بما قالت خالته عن الكيان المجهول، وعن الأسماء الوهمية، وعن السيارة التي تأتي، وعن أنهم هم من قتلوا أمه، وعن انتحار خالته أمامه أيضًا، وقام بسؤال الرائد عما إذا كان لديه أي فكرة عن كيانٍ مثل هذا أم لا، فنفى الرائد سابق معرفته عن عصابة مثل تلك التي يتحدث عنها فارس. بدأ فارس التحدث إلى الرائد سليمان: "بص سعادتك أنا مش عايز أساعد في أي حاجة بتتعلق بدفن خالتي، أنا لا هساعد في تغسيل، ولا في تصريح دفن، ولا حتى في دفن.. أنا هطلب من سعادتك مشكورًا تتكفل أنت بكل حاجة، بس تخلي موضوع موتها ده سر الكام يوم اللي جايين دول، علشان نعرف نستغله أحسن استغلال، وأنا حتى مش هجيب سيرة لأصحابي عن انتحار خالتي، أو عن العصابة دي أو عن أي حاجة حصلت".

– بص يا فارس أنا لولا إني واثق فيك، وعارف إن إنسان محب للتحقيق، وللحق، مستحيل إيده تتلوث بالدم، كنت شكيت فيك في قتل خالتك، ومحاولة جعل الموضوع يبان إنه انتحار، بس متقلقش يا فارس أنا واثق فيك.. بس حابب أعرف إيه الخطة اللي جت في دماغك، وعايز تستغل انتحار خالتك فيها؟

– أشكر سعادتك على ثقتك الشديدة دي فيا، وأتمنى من معاليك تتكفل بكل حاجة دلوقتي، وأنا هبقا أفهم حضرتك أنا ناوي على إيه.

– بص يا فارس، أنا علشان محترم عقليتك، هقول لك ماشي، ومش هدقق في حاجة دلوقتي.

اتصل الرائد بالإسعاف حتى تساعده على نقل الجثة، واتصل بباقي أفراد طاقمه لمساعدته أيضًا، وبمرور ساعتين، كان كل شيءٍ قد انتهى، ورحل الجميع من منزل سامية، وها هو ذا فارس، يغلق الباب خلفه ويركب سيارته ويذهب صوب منزله.. يلقي فارس بنفسه على سريره ممسكًا بالجنيه الخاص به، لافًّا إياه بين أصابعه، منهمكًا في التفكير في الخطة التي يريد تنفيذها.

******

الفصل الثالث

رنَّ هاتف فارس في صباح اليوم التالي في السادسة والنصف صباحًا، إذ كان المتصل هو نور، والتي كانت تريد أن تعرف ما إذا كان سيأتي إلى الجامعة اليوم أم لا، وكان في اعتقادها أنه سيرفض كما كان يفعل طيلة الأيام القليلة الفائتة، إلا أنه فاجأها عندما أخبرها أنه سيأتي، ويشعر الآن بأنه يستطيع ممارسة حياته بشكل طبيعي، فرحت نور بسماعها ذلك، وأخبرته بأنها ستكون مع الأصدقاء في انتظاره؛ وبعد انتهاء المكالمة، أخذ فارس في الاستيقاظ والقيام من سريره.

وبعد انتهائه من تبديل ملابسه، خرج من المنزل وركب سيارته وتحرك نحو الجامعة، وأخذ يتحدث إلى نفسه بصوتٍ مسموع يقول: "بص يا فارس، صحابك ملهمش أي ذنب إنهم يتورطوا مع العصابة اللي خالتك قالت عليها دي، أنت لازم متعرفهمش أي حاجة حصلت، لا إن خالتك انتحرت، ولا إن اللي قتل مامتك هما حيوانات محدش يعرف عنهم حاجة، وبيستعملوا أسماء وهمية لنفسهم، سيبهم فاكرين إن القضية هتتسجل ضد مجهول، وده لمصلحتهم؛ أما بقا الكيان اللي فاكر نفسه ده محدش قادر له، يشوفوا هعمل فيهم إيه، هكرَّس كل ذرة تفكير في دماغي لتدمير الكيان ده، من أكبر رأس فيهم، لأصغر كلب".

وصل فارس إلى الجامعة وصعد سلالم كليته ودخل قاعة المحاضرات وجلس إلى جانب صديقيه طارق وشادي، ومع انتهاء المحاضرة، جاءت الفتيات نحوهم، وأخذن يسألن عن حاله، فبدأت هند الحديث قائلة: "إيه يا فارس، عامل إيه دلوقتي؟".

– الحمد لله يا هند، أنا بخير.

– فيه جديد بخصوص القضية؟ عرفتوا مين اللي عمل كده يعني؟

– لسه يا هند، الشرطة لسه بتحقق.

– أنا معرفش مين الحيوان اللي عمل كده ده، ده طنط مكنش فيه أطيب منها.

تأثر فارس من كلامها، وأخذ ينظر إلى الأرض نظرة حزن، تذكر خالها والدته، مما دفع غادة أن تستخدم كوعها لتضرب هند ضربة خفيفة في جنبها، قائلة لها بصوت لم يستطع فارس سماعه: "أنت عبيطة، إحنا عايزين ننسيه، تقومي أنت مفكراه"، لترتبك هند وتشعر أنها قد أصابت فارس بالحزن، فلم تدرِ ما تقول.

تداركت نور الموقف وقامت بالتكلم إلى فارس: "متقلقش يا فارس.. بخصوص محاضرات الأيام اللي أنت غبتها، أنا كتبتها كلها، وهديك الكشكول تنقلها براحتك"؛ رفع فارس رأسه ضاحكًا ضحكة خفيفة طمأنت الجميع على أنه بخير، وأخذ يقول: "شكرًا يا نور، هبقا اخدهم منك في أي وقت بعدين".. ثم تحدث فارس إلى نفسه دون إصدار أي صوت: "متنساش عهدك مع نفسك إنك متقلقهمش عليك، أو تعرفهم حاجة بخصوص اللي حصل".. وهنا تدخل طارق في الحديث، وذلك عندما قام بالتصفيق بيديه صائحًا: "يلا نغير جو".. "فكرة كويسة خالص، بس هنروح فين مثلًا؟"، قالها شادي والذي كان سعيدًا بفكرة طارق؛ فأجابت هند عن سؤال شادي: "المطعم اللي اتغدينا فيه الشهر اللي فات، مطعم كويس وهادي، والفيو هناك تحفة".. وضعت غادة يدها اليمنى على كتف هند قائلة: "فكرة كويسة يا به، مكان كويس فعلًا.. إيه رأيك يا فارس؟".

ابتسم فارس في وجوههم جميعًا، وأبدى موافقته، فهو لم يرد أن يصيبهم بالحزن عليه، فهو كان يعلم جيدًا أنهم يفعلون كل ذلك لأجله، ويعلم أيضًا أنهم يريدون أن يخرجوه من حالة الحزن التي كان عليها؛ وها هم قد ركبوا جميعًا سيارة فارس، بعد أن انتهى يومهم الدراسي في تمام الواحدة ظهرًا؛ وكان فارس هو السائق، وطارق إلى جانبه، وباقي الأصدقاء في الخلف. مع بدء التحرك، قال فارس: "بصوا يا جماعة

مبدئيًا كده أنا اللي عازمكم، فمحدش فيكم هيدفع حاجة، ثانيًا بقا، أنا كويس والله، فمش عايز حد منكم يشيل همي أو يقلق عليا خالص، أو يخلي باله من كلامه معايا، عايزكم على طبيعتكم خالص، لأني أنا كمان على طبيعتي"؛ نظر جميع الأصدقاء في وجوه بعضهم البعض، وبدأ طارق يحدث فارسًا: "بس يا صاحبي مفروض إحنا اللي نعزمك".

– شوف لسه مخلصتش كلامي، وأنتم مش على طبيعتكم أهه.. ليه يا أستاذ طارق مفروض أنتم اللي تعزموني! مش أنا ديمًا اللي بعزمكم، إيه اللي تغير، مش عايز كلام في موضوع العزومة ده تاني، أنا اللي هعزمكم وانتهى الكلام.

– خلاص يا فارس براحتك، أنا مقصدش حاجة يا صاحبي.

– المهم، عايزين تعملوا حاجة بعد المطعم؟ عايزين تروحوا حتة تانية؟..

ردَّ شادي مجيبًا: "سنيما.. فيه فيلم جديد نازل نفسي أسمعه"؛ أخذت نور في سؤاله: "فيلم إيه ده يا شادي؟".

– فيلم أجنبي، اسمه ممرات الظلام، فيلم رعب.

– الله شكله حلو قوي، اسمه عجبني، وأنا بحب أفلام الرعب قوي"..

ضحك فارس والذي كان ينظر إلى نور وشادي من المرآة، ثم قال: "خلاص يبقا سنيما.. هنتغدى في المطعم ونفضل شوية، وبعد كده نروح السنيما".. فرح الجميع، ليس لأنهم سيذهبون لتناول الغداء سوية وبعدها إلى صالة العرض السينمائي فقط، بل لأنهم ظنوا أنَّ فارسًا بدأ في الاعتياد على فقد أمه، ولم يعلموا أنها خطة فارس في عدم إخبارهم، أو جعلهم يقلقون بشأنه.

وصلوا أخيرًا إلى ذلك المطعم المشهور بأكله الشهي اللذيذ، وأخذوا في الجلوس سوية، وقام النادل بسؤالهم عن طلباتهم، فطلب كل منهم ما يريد، ومرت ربع ساعة

ظلوا خلالها يتأملون في منظر المياه التي كانت أمامهم، ويستمتعون بالطبيعة الخلابة التي أسرت أعينهم، إلى أن أتى إليهم الطعام الذي طلبوه، وبدأوا في تناوله، وأخذوا في التحدث مع بعضهم البعض.

ولكنَّ فارسًا كان شاردَ الذهن، فكان في عالم آخر، إذ كان يفكر ويقول في نفسه: "وبعدين.. إيه العصابة دي بالضبط! وهل يا ترى الخطة اللي أنا حاططها دي، هتساعدني أوصل لهم فعلًا، وإيه حوار شهور السنة ده، وهل فعلًا الناس دي متعرفش مين هو زعيمهم! أمال بياخدوا منه الأوامر ازاي؟ ويا ترى إيه هي طبيعة الأعمال اللي بيقوموا بيها، وإيه السبب اللي خلاهم يقتلوا أمي، إيه اللي أمي عملته بالضبط خلاهم مضطرين يقتلوها كده؟! اااااخخخ دماغي وجعتني من التفكير ومش عارف أوصل لحاجة".. قاطع شرود فارس، صوت غادة التي كانت تحدثه وتقول: "إيه يا فارس مش عارف تحلها ولا إيه!".. ليتفاجأ فارس من سؤالها، ويجيب عن سؤالها بسؤال: "هي إيه دي اللي أنا مش عارف أحلها يا غادة؟".

ظنَّ فارس حينها أنَّ غادة قد علمت بما يفكر به، ولكنَّه كان مخطئًا، إذ قالت غادة: "لا ده أنت مش معانا خالص، بص يا سيدي أنا لسه قايلة فزورة دلوقتي، ومحدش فيهم عرف يوصل لحلها".. فيطمئن قلب فارس عندما علم أنَّ أحدًا لم يفهم ما يشغله، وعندها أخرج زفيرًا طويلًا، وقام بسؤال غادة: "فزورة! طيب وإيه هيا الفزورة دي يا ستي؟". ردت غادة، وعلى وجهها ابتسامة عريضة، يملأها التفاؤل: "بص يا سيدي، فيه سواق تاكسي اتفق مع زبون على أنه يوديه مكان يبعد مسافة سبعة كم على إن الأجرة تكون سبيكة ذهب طولها سبعة سم، بشرط إن الزبون يدي سواق التاكسي واحد سم من السبيكة كل واحد كم، والزبون معاه مقص، والمقص ده ميقدرش يستخدمه غير مرتين بس، ازاي بقا يقدر الزبون إنه يدفع الأجرة؟".. ثم

وبعد أن انتهت غادة من حديثها ضحك فارس على لغزها، ضحكة سخرية وقال: "هيا دي الفزورة اللي محدش فيهم عرف يحلها؟! دي فزورة أي طفل في ابتدائي يقدر يحلها، بصي يا ستي، الزبون هيقطع من السبيكة واحد سم، وبعديها يقطع اتنين سم، وبكده هيفضل معاه أربعة سم متماسكين، لما يوصل الكيلو الأول، يدي له الواحد سم اللي قطعه، ولما يوصل الكيلو التاني، ياخد منه الواحد سم، ويدي له الاتنين سم اللي كان قاطعهم، ولما يوصل الكيلو التالت، يدي له الواحد سم تاني، وبكده السواق هيكون معاه تلاتة سم خلال تلاتة كم، ولما يوصل الكيلو الرابع، ياخد من السواق التلاتة سم، ويدي له الاربعة سم اللي كانوا فاضلين من القطع، ولما يوصل الكيلو الخامس، يدي له الواحد سم تاني، ولما يوصل الكيلو السادس، ياخد الواحد سم، ويدي له الاتنين سم، ولما يوصل الكيلو السابع، يدي له الواحد سم الأخير، وبكده يكون السواق أخد أجرته كاملة".

انتهى فارس من حله للغز، وتغيرت ملامح السعادة التي كانت على وجه غادة، لأنها كانت تظنّ أنَّ أحدًا لن يستطيع حلَّ لغزها، ثم أخذت تتحدث إلى فارس: "فعلًا هو ده الحل الصح للفزورة دي"؛ فقال شادي ممازحًا الجميع: "نفس اللي كنت عايز أقوله بالضبط".. فضحكوا عليه وعلى كلامه، ثم أضافت هند: "لأ بس الفزورة بعد ما فارس شرحها، تبان إنها سهلة".. ليجيبها فارس: "وده لأنها سهلة فعلًا"؛ وبعد أن مرَّ وقت جلوسهم في المطعم سريعًا، وبعد أن حاسب فارس على الطعام، همُّوا بأن يقفوا ذاهبين إلى صالة العرض السينمائي كما أرادوا، ولكنَّ هاتف فارس قد رنَّ، وكان المتصل هو الرائد سليمان، ولما أجابه فارس كانت المكالمة الآتية..

- فارس: "آلو.."
- الرائد: "آلو.. أيوة يا فارس.. بقلك إيه، تعرف تقابلني دلوقتي؟".
- تمام حضرتك عايزني آجي لك على فين؟".
- لأ خليك مكانك، وأنا هاجي لك بالعربية على المكان اللي أنت فيه.
- حضرتك أنا في مطعم النزهة أنا وأصحابي.
- اه عارفه، طيب أنا قدامي نص ساعة بالكتير قوي، وأكون عندك.
- تمام في انتظار سعادتك، سلام.
- مع السلامة يا فارس.

وحين انتهاء المكالمة، نظر فارس في وجوه الجميع ليجدها قد تحولت، مائة وثمانين درجة، فحاول مواساتهم قائلًا: "معلش يا شباب، السنيما هتتعوض يوم تاني، بس الرائد سليمان كلمني وعايزني، شكل فيه جديد بخصوص قضية ماما، فالموضوع مش بإيدي صدقوني".. عندما سمع الأصدقاء سيرة أم فارس، علموا يقينًا أنهم ليس لهم حقٌّ في الاعتراض على رغبة فارس بمقابلة الرائد، لأنهم يعلموا جيدًا أنَّ فارسًا سيحاول قدر استطاعته معرفة مرتكب تلك الجريمة.. فقامت نور بالتحدث إلى فارس قائلة: "متقلقش يا فارس، إحنا متفهمين كل ده، قابل أنت الرائد، ولو فيه جديد، أو احتجت لنا في حاجة، رن علينا على طول".

شكر فارس لهم تفهمهم، وأخذ في التحدث إلى طارق وقال: "بص يا طارق، خد مفتاح عربيتي أهه، يبقا وصل البنات وشادي، وروح العربية البيت عندي، وبعديها روح أنت مواصلات، معلش يا طارق هتعبك معايا"؛ فأجابه طارق: "لا يا عم ولا تعب ولا حاجة، خلاص ماشي بعد ما أوصلهم، هودي العربية وأجرّشها وبعدين هروح".

بعد مرور نصف ساعة على رحيلهم عن فارس، وتوديعهم إياه، وتركهم له في المطعم وحيدًا، وصل الرائد سليمان بسيارته، وحينها ذهب فارس معه في السيارة، وقام الرائد بالتحدث إليه وقال: "بص يا فارس، إحنا دفنا خالتك خلاص، وقعدنا ندور في السجلات عندنا عن أي معلومة ولو صغيرة عن العصابة دي، لكن مفيش فايدة، الظاهر إن مفيش أي نشاط ليهم متسجل عندنا، باين عليهم مبيسيبوش ولا غلطة وراهم، المهم بقا، أنا عايز أعرف بالضبط، خطة إيه اللي أنت كنت ناوي عليها، وقلت لي إنك هتعرفني بعدين؟".

همَّ فارس أن يجيب ولكنَّ هاتف الرائد منعه من ذلك، حيث رنَّ هاتفُه، فأجاب واضعًا المكالمة في وضع مكبر الصوت، وقاموا بإخباره أنَّ هناك جريمة قتل قد وقعت، وأنَّ عليه التوجه في أسرع وقت، إلى مكان الحادث، وحينها طلب الرائد من فارس بأن ينزل من السيارة، وأن يكملا حديثهما في وقت لاحق، ولكنَّ فارسًا طلب منه الذهاب معه إلى تلك الواقعة، لعله يساعد في أمر ما، ولعلها قد تكون مرتبطة بشكلٍ أو بآخر بالعصابة؛ فوافق الرائد بعد إصرارٍ من فارس، فلم يكن يريد أن يصيب فارسًا بالحزن والإحباط، خاصة بعد ما مر به من أحداث جسيمة.

ومع وصولهما إلى موقع الحادث، وجدا أمامهما منزلًا كبيرًا ذا طابقين، وهذا المنزل منعزل تمامًا عن باقي منازل الجيران، إذ كان أقرب منزل منه يبعد كيلومترًا كاملًا عنه، وكانت قوات الشرطة قد سبقتهما إلى هناك؛ نزل كلٌ من الرائد وفارس من السيارة، وكان في انتظارهما فرد من أمناء الشرطة، والذي مع وصول الرائد سليمان، أخذ يوجه الرائد إلى مكان وقوع الجريمة، ومع دخولهم المنزل، تصيبهم الدهشة لرؤيتهم كل شيء في المنزل في حالة فوضى، فقد كان يوجد ملابس على

الأرض هنا وهناك، وأغراض أيضا كثيرة ملقية ومبعثرة في كل مكان، وعلى عجالة من أمرهم، صعد الرائد برفقة أمين الشرطة وفارس السلالم التي تقود إلى الطابق الثاني، والذي هو موقع الجريمة.

دخلوا الغرفة التي أشار إليها أمين الشرطة، فكان حالها لا يختلف كثيرًا عن حال باقي المنزل، فكانت هي الأخرى في حالة يرثى لها؛ ومع دخولهم وجدوا أمامهم سائر أفراد التحقيق، من أطباء شرعيين وفريق البحث الجنائي، إذ كانوا جميعًا واقفين في ذهول ناظرين نحو السقف، والذي كان يتدلى منه حبلان، معلقٌ في كليهما جثتان، إحداهما لرجلٍ يبلغ من العمر خمسين عامًا، والجثة الأخرى لفتًى يبلغ من العمر عشرَ سنين، وهو ابن ذلك الرجل المعلق إلى جواره، وكانا يعيشان مع بعضهما البعض، في هذا المنزل الكبير، وكانت حينها الساعة الرابعة عصرًا، فأخذ الرائد سليمان في سؤال الأشخاص الواقفين: "مين دول بالضبط؟ ومين أول واحد اكتشف جثتهم، وهل هو نفسه الشخص اللي بلغ؟".

كان هناك رجلٌ إلى جوار فريق التحقيق، منهمكًا في البكاء، والذي أخذ في الإجابة على أسئلة الرائد سليمان: "حضرتك أنا اللي لقيتهم متعلقين كده، وأنا اللي بلغت الشرطة على طول، ده أخويا شريف، وده ابنه الوحيد سامر، وأنا اسمي عمار".

– طيب تقدر يا أستاذ عمار تحكي لنا اللي حصل بالضبط.

– حضرتك أنا كان بقالي أكتر من شهر، مزورتش أخويا شريف في بيته، وهو كان زعلان مني بسبب كده، فأنا النهارده، قررت آجي أزوره، ولما وصلت، فتحت البوابة ودخلت ركنت عربيتي في الحوش، ورروحت عند الباب، فتفاجأت لما لقيته مفتوح، المهم دخلت لقيت البيت متكركب وكل حاجة متبهدلة زي ما سعادتك

شايف كده بالضبط، ولما قعدت أنادي على أخويا وعلى سامر، محدش رد عليا، ومكنش فيه أي صوت في البيت خالص، فوقتها طلعت أدور في الدور التاني، ولما دخلت الأوضة بتاعت أخويا شريف، واللي إحنا فيها دي، لقيته زي ما سعادتك شايف كده، هو وابنه سامر متعلقين من رقبتهم، فوقتها ارتبكت ومعرفتش أعمل إيه، وبسرعة استجمعت تركيزي تاني، وطلعت تليفوني واتصلت بالشرطة، لحد ما أنتم جيتم بعديها بمفيش تلت ساعة.

مع انتهاء عمار من الكلام، أخذ الرائد سليمان في سؤال الطبيب الشرعي عما قد اكتشفه، فأجابه الطبيب: "سعادتك إحنا مرضناش ننزل الجثتين من التعليقة دي، غير لما سعادتك تيجي وتشوفهم بنفسك، فأستأذن سعادتك الأول إننا ننزلهم، بعد كده هجاوب سعادتك".. فيعطي الرائد سليمان الإذن لإنزال الضحيتين، فيتوجه فورًا بعض الأشخاص ناحية الجثتين، وبحرص يقومون بإنزالهما ووضعهما على الأرض؛ ثم يعود الطبيب الشرعي إلى التحدث مع الرائد سليمان مرة أخرى، ويكمل ويقول: "سعادتك زمن وفاة الاتنين، يتراوح ما بين الساعة تسعة ل الساعة عشرة الصبح، وسبب الوفاة هو فعلًا الشنق حتى الموت، وفريق البحث الجنائي قبل ما سعادتك تيجي، حاولوا يكتشفوا البصمات اللي على الحبل، فملقوش أي بصمات عليه خالص، وفيه حاجة غريبة لفتت انتباهي سعادتك، فيه علامات غريبة على ايد سامر، معرفش إيه مصدرها بالضبط".

مع انتهاء الطبيب من التحدث، سار الرائد سليمان نحو جثة الفتى سامر، وألقى إليها نظرة، أطال إثرها الوقوف، ليجد أنَّ كلام الطبيب كان صحيحًا، فهناك أثر على يد سامر يبدو غريبًا بعض الشيء؛ عاد الرائد مرة أخرى بالقرب من عمار، وقام بالتحدث إليه سائلًا: "هل القتيل له قرايب غيرك؟".

– لأ حضرتك، أنا أخوه الوحيد.. وولاد عمنا كلهم مسافرين برة مصر.. وقرايبنا التانيين منهم اللي مات، ومنهم اللي منعرفش عنه حاجة من أكتر من خمسة وعشرين سنة.. فيعتبر أنا قريبه الوحيد سعادتك.

– وأنت شغال إيه بقا يا أستاذ عمار؟

– أنا شغال في شركة مواسير المياه.

– طيب ممكن حضرتك تقول لي، كنت فين من الساعة تسعة لحد الساعة عشرة؟

– أنا كنت في الشغل حضرتك في الوقت ده، أنا رحت الشغل الساعة تمانية، وخرجت منه الساعة واحدة.

– عندك شهود على كلامك يا أستاذ عمار؟

– آه طبعا، كل زملائي في الشغل يشهدوا إني كنت في الشغل من تمانية لحد واحدة.

– طيب اتصل بشخصين منهم على الأقل، وخليهم ييجوا هنا، علشان ناخد إفادتهم.

أخذ عمار في الاتصال بياسر ومحسن صديقيه في العمل، واللذَيْن استغرقا نصف ساعة لكي يصلا إلى منزل الأستاذ شريف، وذلك بعد أن طلب منهما الرائد المجيء في أسرع وقت، حتى تؤخذ أقوالهما، ومع وصولهما، أخذ الرائد في سؤالهما عن مكان تواجد عمار بين الساعة الثامنة والواحدة، فأكّدا عند سؤال الرائد لهما، صدقَ وجود عمار في العمل من الساعة الثامنة صباحًا إلى الساعة الواحدة ظهرًا، وعند سماع الضابط كلامهما، أخذ يقول: "كده الرؤية بدأت توضح، أنا أعتقد إن اللي عمل كده حرامي عشوائي مكنش يقصد يقتلهم، الحرامي ده جه يسرق البيت، وده يفسر لنا ليه البيت متكركب كده، وأثناء قيامه بالسرقة، حد شافه سواء الأب أو

الابن فزعق، فلو كان الأب هو اللي شافه، فالابن جه على زعيق الأب للحرامي، والعكس صحيح، ف ساعتها الحرامي اضطر إنه يقتلهم، ومسبش وراه أي دليل يقودنا ليه".

وفي هذه الأثناء كان فارس مشغولًا بالنظر إلى الجثتين، ممسكًا في يديه الجنيه، حيث كان يلفه بسرعة كبيرة، وكان يعاين هذه الجثة تارة، ويعاين الأخرى تارة، ثم بعدها أخذ يجول في أرجاء الغرفة، دون أن يلفت إليه نظر أحد من الحاضرين، بما فيهم الرائد نفسه، إلى أن وصل إلى شرفة الغرفة، وأخذ في معاينتها، وبعد فترة من الزمن، ابتسم ابتسامة خبيثة، تحدث بعدها إلى نفسه قائلًا: "إيه الجريمة الغريبة قوي دي! بحب النوع ده من الجرايم".

توجه الرائد سليمان بالحديث إلى عمار مرة أخرى: "طيب يا أستاذ عمار، حضرتك لما وصلت البيت هنا بعد الشغل، وصلت الساعة كام بالضبط؟".. فأجابه عمار والذي كان لا يزال متأثرًا بما حدث لأخيه وابنه: "أنا زي ما قلت لسعادتك، طلعت من الشغل الساعة واحدة، وروحت بعديها البيت كلتلي لقمة، وبعدين نزلت من البيت الساعة اتنين كده، ووصلت هنا الساعة تلاتة، وبلغت الشرطة الساعة تلاتة وربع مثلًا، وده على ما فوقت من صدمتي، والشرطة كانت هنا على الساعة أربعة إلا ربع كده، وسعادتك كنت هنا الساعة أربعة".

– ياه! ده أنت واخد بالك من الوقت كويس خالص.

– آه سعادتك، أنا في موضوع الوقت ده دقيق قوي.

– أنت متجوز يا أستاذ عمار؟

– محصلش نصيب لسه سعادتك.

– ليه أنت عندك كام سنة؟

– تلاتين سعادتك.

– طيب أنت إيه رأيك في استنتاجي بتاع إن حرامي هو اللي ممكن يكون عمل كده؟

– والله أنا رأيي من رأي سعادتك، أصل البيت هنا كبير، وفي منأى عن الناس، وأخويا كمان كان غني جدًا، وده مطمع كويس لأي حرامي، وغير كده الكركبة اللي في البيت برده ملهاش تفسير تاني.

– إمممم يعني أخوك مكنش له أعداء أو كارهين يا أستاذ عمار؟

– أخويا كان في حاله يا بيه، مكنش بيأذي حد ولا بيضر حد، من البيت للشغل، ومن الشغل للبيت.

– هو كان شغال إيه صحيح؟

– أخويا كان مدرس في مدرسة التفوق الثانوية بنين.

– طيب تفتكر ممكن حد من زمايله في الشغل يكون عمل فيه كده؟

– معرفش والله سعادتك، بس ليه لأ.

وفي أثناء تواجد فارس في شرفة الغرفة، أخذ في التحدث إلى نفسه بصوت منخفض لم يتمكن أحد من سماعه: "أنا كده عرفت الخدعة اللي ارتكبها القاتل، وعرفت شخصيته كمان، بس لسه ناقص الدليل، أكيد القاتل هو عمار، بس للأسف ممعيش دليل على كده". ثم وأثناء حديثه مع نفسه لفت نظره شيء ما على أرضية الشرفة، حينها قام بالإسراع تجاه صديقي عمار، وقام بسؤالهما عن شيء ما، فأجاباه بالإثبات قائلين: "آه فعلًا". ضحك فارس حينها ضحكة هادئة وقال في داخله: "يقتل القتيل ويبكي عليه".

طلب الرائد سليمان من أحد أفراد التحقيق التوجه إلى مدرسة التفوق الثانوية، وأن يأتي بجميع المدرسين والعمال في تلك المدرسة، حتى يأخذ أقوالهم ويحقق معهم في أمر مقتل شريف وسامر ابنه، وطلب منه أن يسأل العامل بالمدرسة عن أرقام المدرسين إن لم يجدهم في المدرسة؛ همَّ الشخص الذي طلب منه الرائد سليمان بالذهاب، إلا أنَّ فارسًا أوقفه، وذلك عندما تحدث إلى الرائد قائلًا: "مفيش داعي حضرتك تبعت حد للمدرسة دي دلوقتي".. تفاجأ الرائد والآخرين أيضًا من كلامه، مما دفع الرائد إلى سؤاله عن مقصده، فيجيبه فارس بكل هدوء: "أنا بقول حضرتك إحنا نصب تفكيرنا وتركيزنا في الأوضة هنا، واللي لغز القضية مهيخرجش براها، ومين عارف، ممكن القاتل يكون أقرب لنا مما إحنا متصورين"، قال فارس تلك الكلمات وهو ينظر في عيني عمار بكل خبث ومكر، مما أصاب عمار بالدهشة والقلق بعض الشيء؛ عاود الرائد سؤال فارس مرة أخرى: "أنت وصلت لحاجة معينة يا فارس وعايز تقولها؟".

– آه سعادتك، وصلت لكل حاجة، وصلت للقاتل، ووصلت للخدعة اللي عملها كمان.

– وصلت للقاتل! ومين هو، وإيه هي الخدعة اللي بتقول عليها دي؟

– هقول لسعادتك كل حاجة أهه.

– مستني أسمع تحليلك يا فارس.

قام فارس بأخذ نفس عميق وبدأ إثره التحدث: "أنا لفت انتباهي كذا حاجة كده، منهم إن مفيش أثر خدوش على رقبة الأب، فيه على رقبة سامر بس، والخدوش دي مفروض إنها حاجة طبيعية بتنتج عن غريزة البقاء، ومقاومة اللي بيتخنق للخنق ده، لأننا مفروض نلاقي أثر خربشة الضحية لنفسها على الرقبة،

والخربشة دي بتبقا زي ما أنا لسه قايل، ناتجة عن المقاومة للخنق، أكيد وأي حد بيخنقك، هتحاول تقاوم، وبكده هتخربش نفسك، زي بالضبط ما لقينا خربشة كده على سامر، فليه بقا ملقيناش على الأستاذ شريف كمان، وخصوصًا إن الأستاذ شريف كان ضوافره طويلة، فعدم وجود خربشة على رقبته لفت انتباهي وخلاني أعرف إن فيه سر في الموضوع؛ ثم اللي خلاني أشك تاني في استنتاج سعادتك، غير موضوع الخربشة ده، إن لو كان فعلًا اللي عمل كده حرامي، ليه استخدم طريقة القتل دي، ما كان استخدم سكينة وريح نفسه، ليه تعب نفسه وشنقهم، ليه مكتفاش بالخنق بس مثلًا، أو أي طريقة تانية تريحه، غير أنه يشيل الضحيتين ويعلقهم في السقف؛ واللي حقيقي لفت انتباهي وخلاني أقدر أوصل للخدعة اللي استخدمها القاتل، هو الأثر الغريب اللي على إيد سامر".

صمت فارس قليلًا لالتقاط بعض الأنفاس، مما دفع الرائد أن يطلب منه أن يكمل حديثه، فيكمل فارس ويقول: "سعادتك أنا بعد ما دخلت البلكونة، عرفت سبب الأثر ده، وعرفت كمان مين هو القاتل.. حضرتك القاتل اللي عمل كده هو عمار". حينها صاح عمار في وجه فارس بعلو صوته وقال: "أنت مين أنت علشان تتهمني! وبعدين مسمعتنيش وأنا بقول لحضرة الضابط على إني كنت في الشغل من الساعة تمانية لحد الساعة واحدة، والطب الشرعي قال إن زمن الوفاة كان من تسعة لعشرة، تقدر تقول لي بقا أنا قتلته ازاي وأنا في الشغل كده".

حينها قال الرائد سليمان لفارس: "الراجل معاه حجة غياب، وده دليل براءة قوي يا فارس"؛ فرد فارس وقال: "أنا هقول لكم على الخدعة اللي هو عملها، واللي من خلالها قدر يخلي الضحيتين هما اللي يقتلوا بعض، واللي عرفتها لما دخلت البلكونة وبصيت على السور بتاعها.. أولًا: هو وصل البيت هنا الساعة ستة أو

ستة ونص الصبح كده، وبعديها أخوه فتحله أو ابن أخوه أيًّا يكن مش مهم، المهم إن ده بيفسر لنا عدم وجود أي أثر اقتحام زي خدش في كالون الباب أو كسر في الزجاج، يعني أقصد إن الباب مفتوح بإرادة سكان البيت، وده مش هيحصل إلا لما يكون على الباب شخص أهل البيت عارفينه كويس، فازاي بقا الأب هيفتح الباب لشخص ميعرفوش الساعة ستة الصبح، إلا إذا كان الشخص ده أخوه، أو معرفة مثلًا؛ ثانيًا بقا وبعد ما قعد شوية مع أخوه وتلاقيهم اتكلموا في أي موضوع، طلب من أخوه يروحوا البلكونة علشان عايزه في موضوع مهم بعيد عن سامر، أو علشان يشم هواء، أو أيًّا يكن الطريقة اللي خلَّى بيها أخوه يطاوعه ويروح معاه للبلكونة، المهم، لو تلاحظوا كلكم إن سور البلكونة دي عبارة عن سور وفيه عمدان حديد نازلة منه من فوق لتحت، وفيه فراغ بين كل عمود والتاني، وأثناء بقا ما هما قاعدين هو وأخوه، طلع الحبل اللي كان مجهزه معاه من المكان اللي هو مخبيه فيه، لأنه أكيد مش هيكون داخل بالحبل معاه صريح كده، لأنه لو كان عمل كده، كان أخوه أكيد هيستغرب وجود حبل معاه.. المهم قام رابط أخوه على الكرسي ولزقه في سور البلكونة، بحيث يكون ذراعه من عند الكراسيع تحديدًا، مربوط في الكرسي، وبرده في الفراغ اللي بين العمدان؛ يعني لزق أخوه في السور، وقام لافف الحبل حوالين الكرسي، ومرر الحبل من خلال الفراغ اللي بين العمدان، وخلَّى الحبل يمر من على كراسيعه كده، بحيث يحكم دراعه ويخليه ميعرفش يتحرك نهائي، وخلَّى إيد أخوه وراء ظهره، وخلاها تمر من الفراغ، وطبعًا ربط رجليه برده في الكرسي، وأكيد هو كان معاه كذا حبل مش حبل واحد بس، وأكيد وهو بيعمل كل ده، كان الأستاذ شريف الله يرحمه بقا عمال بيزعق، وأكيد سامر جه على صوت الزعيق، ولما وصل سامر، قام عمار ماسك سامر بالجامد وربط حبل حوالين رقبته، وقام راميه من فوق السور،

لكن مش وقع على الأرض طبعا، لأ، خلّى أخوه الأستاذ شريف يمسكه بإيده اللي كانت في الفراغ اللي بين العمدان بتاعت السور، وراح عمار جايب الطرف التاني بتاع الحبل اللي ربطه في رقبة سامر، وربطه في رقبة أخوه الأستاذ شريف، والحبل ده أكيد كان طوله كافي للخطة دي، وبعديها سابهم على الوضعية دي، وفهّم أخوه إنه لو ساب ابنه يقع، هيموتوا هما الاتنين، لأنهم كده هيخنقوا بعض، لكن لو فضل مستحمل نص ساعة ولا ساعة شايل ابنه، ممكن توصل لهم مساعدة مثلًا أو حد ينقذهم، وطبعًا عمار كان واثق إن سامر غير إن هو عنده عشر سنين، فهو زي ما إحنا شايفين كده كان تخين، يعني عمار كان متأكد إن سامر مش هيقدر يتسلق سور البلكونة مهما حاول؛ وبرده مكنش فيه فايدة من زعيق الأستاذ شريف، لأنهم يعتبر منعزلين عن الناس، وأصلًا البلكونة بتطل على الحوش بتاع فلتهم، مش على الشارع، فده يمنع أي حد من إنه يشوفهم؛ وبعد عمار ما خلص مهمته مسح طبعًا البصمات من على الحبل، لأنه أكيد مكنش لابس جوانتي، لأنه لو كان لابس جوانتي كان أخوه هيشك فيه ويسأله أنت لابس جوانتي ليه، وبعد ما مسح البصمات، وبعد ما أخد مفتاح البيت من أخوه علشان يعرف يفتح البيت لما ييجي، راح الشغل عادي، وكان وصوله للشغل زي ما زملاؤه قالوا، الساعة تمانية الصبح، وللأسف الأب مقدرش يستحمل يفضل شايل ابنه أكتر من ساعتين وهما على الوضعية دي، فخارت قواه واضطر يسيب ابنه، واللي بعد ما سابه، راح الحبل الواصل بين رقبة كل واحد منهم والتاني اتشد، وبكده خنقوا بعض، وزمن الوفاة كان فعلًا يتراوح بين الساعة تسعة والساعة عشرة الصبح، وطبعًا بعد ما عمار طلع من الشغل الساعة واحدة، جه على هنا فورًا، أو حتى راح على بيته زي ما هو قال، مش مهم، المهم أنه لما وصل هنا، لقى كل حاجة زي ما هو كان عايز بالضبط،

لقاهم قتلوا بعض، فراح فاكك كل حاجة، وشال سامر ونزله على أرض البلكونة، وقطع الحبل الواصل بين سامر وأبوه، وقام معلقهم هما الاتنين زي ما إحنا لقيناهم بالضبط، على أساس يبان أنه شنق عادي، وده يفسر إحنا ليه ملقيناش أثر خربشة على رقبة الأب، ولقيناها على رقبة سامر بس، وده طبعًا لأن بعد ما خارت قوى الأب، وساب ابنه، فقام الحبل الواصل بين رقبتهم مشدود وخانقهم هما الاتنين، كان ساعتها إيد الأب مربوطة، فمعرفش يفك نفسه، أو يفك الحبل عن رقبته، وبالتالي معرفش يقاوم الخنق، أما سامر فإيده اتحررت من مسكة أبوه، فهو اللي حاول يقاوم الخنق، علشان كده ضوافره خربشت رقبته؛ وأكيد سعادتك فهمت دلوقتي إن سبب الأثر الغريب اللي على إيد سامر، هو علامة مسك أبوه ليه، واللي أكيد لما فضل ماسكه أكتر من ساعة ونص أو ساعتين، ده ساب أثر في إيده مش هيروح بسهولة؛ المهم بقا عمار بعد ما علقهم وشنقهم وخلص، قام مكركب البيت على أساس إنها تبان جريمة بغرض السرقة، وبعدها قام متصل بالشرطة وبلغ عادي كأنه لسه جاي، والاستنتاج ده بيجاوب على أسئلة كتير، أهمها، واللي كان محيرني صراحة، هو إن ليه عمار لما جه وشاف أخوه وابن أخوه متعلقين، محاولش إنه ينزلهم، أي حد في مكانه كان أول حاجة هيعملها أنه هيجري ينزلهم هما الاتنين، أو على الأقل الولد الصغير المسكين ده، ازاي هيجيلوا قلب يشوف أخوه وابن أخوه متعلقين قدامه كده وميعملش حاجة، لكن عمار طبعًا سابهم لأنه عايز الشرطة تيجي تشوفهم على الوضع ده، علشان ميجيش في بالهم نهائي موضوع البلكونة، وعلشان يعتقدوا إنها جريمة شنق عادية، وبالتالي خطته في خلق دليل براءة لنفسه وحجة غياب، تنجح زي ما هو عايز".

صُدم كل الواقفين، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة، وظلَّ الرائد سليمان ينظر إلى فارس في صمت تام، ويقول محدثًا نفسه بصوت لم يسمعه أحد: "إيه الإنسان ده!".. وكان عمار هو أول المتحدثين، والذي ترك ما كان به من ذهول ودهشة، وأخذ يقول: "ده أنت خيالك واسع خالص.. إيه اللي أنت بتقوله ده، أنا هقتل أخويا وابن أخويا؟!"

– خيالي واسع! طيب إيه رأيك إن معايا دليل على كلامي.

– دليل! دليل إيه ده؟

– أنت بتقول إنك بقالك شهر مبتجيش هنا، صح؟

– آه.

– وطبعًا مدخلتش البلكونة خالص النهارده؟

– لأ مدخلتش ومعرفش حاجة عن الخدعة اللي بتقول عليها دي، أنا جيت البيت لقيت الباب مفتوح، ولما طلعت وشوفت أخويا وابن أخويا كده، اتصلت بالشرطة على طول، ونزلت استنيتهم تحت، والسبب اللي خلاني منزلهمش من تعليقتهم دي، إني عارف إن الشرطة عايزة مسرح الجريمة زي ما هو، أنا قاري روايات بوليسية كتير، وعارف إني لو نزلتهم، يبقا كده أنا غيرت في مسرح الجريمة.

– عظيم.. يعني أنت بتقول إنك مدخلتش البلكونة نهائي، وأنا بقول إن محدش هيستفيد إنه يعمل الخدعة دي غير واحد عايز يلاقي لنفسه دليل برآءة وحجة غياب، إيه رأيك بقا إني لقيت في البلكونة ورقة دوار الشمس، واللي سألت صحابك من شوية إذا كان فيه عند شركتكم بتاعت مواسير المياه، زهور دوار

الشمس، فأكدولي إنه فيه فعلًا، أنا متأكد إنك لو وريتنا جزمتك من تحت هنلاقي أثر لبقايا ورقة دوار الشمس لزقت في رجلك، واللي بالصدفة وقعت في البلكونة، علشان تبقا دليل على حقارتك وندالتك وخيانتك لأخوك وابنه، اللي خلاني أقول كده إن مفيش في الحوش تحت أي زهور دوار شمس نهائي، وأنت كنت جاي من الشغل، أو حتى من بيتكم، فصحابك لو كانوا نفوا وجود زهور دوار الشمس عند الشركة، كنت برده هسألهم هل هي موجودة عند بيتك ولا لأ.. يعني زهور دوار الشمس لازم تكون في جنينة شركتم مثلًا، أو في بيتكم، لأنك جاي من الشركة أو البيت.

رفع عمار حذاءه وقام بالنظر إليه، ومن حوله الجميع يراقب منظر الحذاء، ليتفاجأ من وجود ما يدَّعي فارس وجوده، فكان يوجد على حذائه بقايا من زهرة دوار الشمس، وكان يوجد أيضًا مثلها في شرفة الغرفة.. فارتبك عمار والذي كان ينظر الجميع إليه، وأخذ يتهته ويقول: "أنا ممكن أكون دخلت البلكونة، ونسيت من الربكة اللي حصلت لي لما شفت شريف أخويا وسامر ابنه، أكيد بعد ما شفتهم متعلقين كده، طبيعي أطلع البلكونة من الربكة علشان أشوف حد أستغيث بيه".. ضحك فارس من كلام عمار ضحكة سخرية واستهزاء، جعلت عمار يستشيط غضبًا، وأخذ يسأل عن سبب ضحك فارس، فيجيبه فارس: "يعني تفتكر واحد بيقول إنه شاف أخوه وابن أخوه متعلقين من رقبتهم قدام عينه، فسابهم علشان ميغيرش في مسرح الجريمة، ده واحد ممكن يكون مرتبك؟! ده واحد ممكن يكون دخل البلكونة ونسي فعلًا! بص مش هناخد في الاعتبار الصدفة اللي حصلت، وهي إنك بقالك أكتر من شهر مزورتش أخوك، وأخوك وابنه يموتوا في اليوم اللي تزورهم فيه، وبرده مش هناخد في الاعتبار إنك منزلتش أخوك وابنه من التعليقة

اللي هما متعلقينها، وبرده مش هناخد في الاعتبار الفترة الزمنية الكبيرة بين وصولك هنا وتبليغك الشرطة، وبرده مش هناخد في الاعتبار زهرة دوار الشمس اللي هيا دليل كافي على إدانتك، خد بقا يا سيدي عندك، الدليل اللي مش هتعرف تنكره خالص.. ترد بإيه على الشخص اللي شافك وأنت بتعمل كده؟".

– ازاي! ده أنا متأكد إن محدش شافني ساع...

– ههههه وقعت بلسانك يا شاطر، محدش شافك ساعتها صح! ساعة إيه بقا؟ ساعة ما كنت بتجهز خطتك علشان تقتل أخوك وابنه، مصعبش عليك العيل الصغير اللي ملهوش ذنب في أي حاجة حصلت بينك وبين أخوك، مصعبتش عليك نفسك إنك تكون قاتل! مخفتش من ربنا بسبب عملتك السودة دي!

لمعت عينا عمار، ثم صمت قليلًا، ثم أخرج زفيرًا طويلًا معلنًا به استسلامه، ثم قال: "أخويا كان طماع قوي وجشع، جيت له كذا مرة أطلب منه فلوس سلف أعمل بيهم مشروع، ولما المشروع ينجح هسددهم، لكن بسبب جشعه رفض، وأنا مرتبي مبيكفنيش أنا لوحدي، فازاي هقدر أتجوز بقا وأجيب واحدة وأصرف عليها، فمش كان قدامي إلا إني أقتله هو وابنه علشان أورثه، فعملت الخدعة اللي أنت لسه قايل عليها بالضبط، وأنا صراحة متفاجئ من قدرتك على الاستنتاج والتحليل، ومقدرتك إنك تعرف كل حاجة حصلت بالضبط، وكأنك كنت معايا وأنا بنفذ خطتي".

أخذ الرائد سليمان يعنفه ويوبخه قائلًا: "وذنبه إيه ولد بريء مكملش سن البلوغ لسه، إنه يتقتل على إيد واحد زيك، مفكرتش في الشعور اللي حسوا بيه هما الاتنين

وأنت بتعذبهم قبل ما يموتوا، أنت الإعدام قليل على اللي زيك.. خدوا الحيوان ده من قدامي، مش عايز أشوف شكله العكر.. يلَّه خدوه من هنا".

سار أفراد الأمن نحو عمار، حتى ينفذوا أوامر الرائد سليمان، وإذ بعمار ينهار أرضًا باكيًا بكاءً شديدًا، وعلا صوته بالصراخ، وما زال صوت صراخه يسمعه الرائد وفارس، إلى أن ابتعد الصوت، وذلك عندما ركب سيارة الشرطة وسار خارج المنزل تمامًا.. حينها توجه الرائد إلى فارس وقال له: "ما شاء الله عليك يبني، ده أنت داهية، إيه العقل اللي عندك ده، هو أنت ازاي بقيت كده؟". فيبتسم فارس من كلام الرائد ولا يبدي تعليقًا على كلامه؛ فيعود الرائد إلى التحدث مرة أخرى ويقول: "تعالَ علشان أوصلك يلَّه، ونكمل كلامنا وإحنا في الطريق".

أخذ الرائد وفارس في مغادرة ذلك المنزل الكبير، والذي سيصبح مصيره مجهولًا الآن، فسوف تنظر الشرطة إلى مصيره لاحقًا؛ وأثناء ذهابهما إلى منزل فارس في سيارة الرائد سليمان، أخذ الرائد في سؤال فارس: "كنت بتقول إيه هي الخطة اللي أنت عايز تنفذها بقا يا فارس؟ أصل أنا شايف إنه صعب نوصل للناس دي".

– هو أكيد صعب سعادتك، بس مش مستحيل يعني.

– طيب وأنت ناوي على إيه بالضبط؟

– أنا بفكر في حاجة كده، ياريت إنها تنفع بس، بص سعادتك أنا...

وبعد أن انتهى فارس والضابط من حديثهم صمت كلاهما، وأخذ فارس يفكر في الخطة التي وضعها ويدرسها جيدًا، إلى أن وصل فارس إلى منزلهم وكانت حينها الساعة الثامنة ليلًا، وقام بتوديع الرائد سليمان؛ ومع دخوله إلى المنزل، وجد أنَّ طارقًا قد قام بإيصال سيارته، وأنه قد خبّأ مفتاح السيارة كما هو معتاد، في المزهرية،

وقام فارس بأخذ المفتاح، وصعد إلى المنزل وانتظر فجر يوم جديد عسى أن يصحب ذلك الفجر الأمل.

*****

الفصل الرابع

ومع إشراقة صباح يومٍ جديد، قام فارس بالاستيقاظ على صوت منبه هاتفه، والذي كان قد أعده لكي يوقظه في تمام السادسة والنصف صباحًا، وبعد أن استفاق من نومه، قام بإعداد إفطاره وحيدًا، فمن كان يجهز له فطوره، لم يعد الآن موجودًا، ومع قليل من الدموعِ التي تساقطت على وجهه، تذكُّرًا لوالدته، أنهى إعداد وتناول الإفطار، ثم قام بارتداء ملابسه، ونزل إلى فناء المنزل لكي يخرج سيارته كما العادة، ولكنَّه حينما ركب السيارة وحاول تشغيلها لم تعمل معه، وذلك بسبب عطل ما في محركها، حينها أخذ بالتأفف قائلًا: "اليوم باين من أوله، يا ترى هي باظت من طارق امبارح ولا إيه، مفيش قدامي غير المواصلات بقا، ولما أرجع هبقا أجيب ميكانيكي ولا حاجة".

قام فارس بغلق بوابة المنزل من ورائه، ثم سار قرابة السبعمائة متر، حتى يتمكن من ركوب المواصلات التي ستقوده إلى الجامعة، فركب أول حافلة وقعت عيناه عليها، وكانت الحافلة مزدحمة ومكتظة بالناس، وكانت المقاعد جميعها مشغولة، غير مقعدين في مؤخرة الحافلة، فبعد أن دفع فارس ثمن المقعد، سار إليهما وقام بالجلوس ناحية الزجاج، وأخذ في تأمل الطريق، وبعد مرور ما يقرب من عشر دقائق، يصرخ أحد الركاب في منتصف الحافلة في وجه الراكب الجالس إلى جواره، مما لفت انتباه جميع من بالحافلة، حيث كان ذلك الشخص يصرخ ويقول: "المحفظة يا حرامي.. فين محفظتي!".. فيجيبه الشخص الآخر: "محفظة إيه يا عم أنت، نزل إيدك عني بس، أنا معرفش محافظ".

أوقف السائق الحافلة على جانب الطريق، وقام بإغلاق الباب، وذلك بعد أن وجد أنَّ الأمر قد تطور، وأنَّ الشخص الذي يقول بأن محفظته قد سرقت، كان يبكي ويقول: "المحفظة فيها المرتب لسه قابضه.. المحفظة كان فيها ست آلاف جنيه، هو مفيش غيرك اللي خدها، أنت اللي كنت قاعد جنبي"، وقام ذلك الشخص بالتشاجر مع الجالس إلى جواره، وكاد يقتله ضربًا لولا تدخل القريبين منه، فأتى الجميع لكي يفضوا ذلك الشجار العنيف، بما فيهم السائق نفسه، والذي مع وصوله أخذ في إمساك الشخص الذي فقد محفظته، ثم قال مهدئًا إياه: "إهدى بس حضرتك.. دلوقتي أنا قفلت باب الأتوبيس، ومحدش هيقدر ينزل من هنا، غير لما كله يتفتش".

صاح الجميع في وجه السائق بعدما أنهى حديثه، وكان من ضمن ما قالوه أنَّ لديهم أعمالهم، وأنهم هكذا سيتأخرون عليها، وأيضًا لا يصح له أن يقوم بتفتيش الجميع، فهذا يعتبر إهانة لهم، وأنَّ هذا سيستغرق وقتًا طويلًا منه، حتى يفتش جميع الرَّكاب، ولكنَّ السائق قال بأنه لا يملك خيارًا آخر ليتخذه؛ هدأ الجميع وعاد كلٌّ منهم إلى مكانه، غير أنَّ فارسًا لم يحرك ساكنًا منذ البداية، فهو جالس في مكانه يراقب المشهد من بعيد.. استعد الجميع إلى عملية التفتيش، ولكن الشخص الذي فقد محفظته، تحدث إلى السائق وقال: "مفيش داعي يسطى تفتش كله، كفاية تفتش الراجل اللي جنبي ده، أنا متأكد إنها هتكون معاه هو".. فصاح الشخص الجالس إلى جواره في وجهه قائلًا: "احترم نفسك يا أستاذ أنت، أنا مش حرامي قدامك، ثم تعالَ يا اسطى فتشني، مش هتلاقي حاجة معايا".

خرج ذلك الرجل من مكانه، ووقف في منتصف الممر الطويل للحافلة، وقبل أن يبدأ السائق في تفتيشه، سأل السائق الشخص الذي سُرِق، عن شكل محفظته

ومحتوياتها، فوصفها له، ووصف محتوياتها أيضًا.. وبدأ السائق التفتيش، ليخرِج من جيب سترته الأيمن، مفاتيحَ وعلبةَ سجائرٍ وقداحة، ومحفظة لم يكن وصفها كما وصف ذلك الشخص قبل قليل، وعندما أخرج السائق تلك المحفظة، تكلم الشخص الذي كان يتم تفتيشه وقال: "دي محفظتي أنا يا اسطى"، ليؤكد الشخص الذي سُرق كلامه ويقول: "أيوة دي مش محفظتي أنا يا اسطى".. فيكمل السائق التفتيش، ويخرِج من جيب السترة الأيسر، علبة مناديل وهاتفًا خلويًا ومحفظة أخرى، والتي عندما أُخرجت، وقف الشخص الذي سُرق وأمسكها مسرعًا وقال: "أيوة يا اسطى، هيا دي محفظتي".. وقام بسرعة بفتحها والتأكد من محتوياتها، إذ أخرج ما بها من مال وقام بالعد.. وفي هذه الأثناء بدأ الشخص الذي كان السائق يفتشه بالتكلم والقول: "والله ما أعرف المحفظة دي جات جيبي ازاي، أنا معرفش عنها حاجة والله.. صدقني يا اسطى.. صدقوني كلكم".

أنهى الشخص الذي كان قد فقد محفظته عد الأموال التي كانت بها، ليطمئن قلبه ويرتاح باله ويقول: "الحمد لله الفلوس زي ما هي".. ثم توجه للشخص الذي عُثر على المحفظة بحوزته بالكلام وقال: "ليه! ليه يا أستاذ تعملوا كده؟! ليه أنتم مبتراعوش إن الناس اللي هتسرقوهم دي تعبوا في الفلوس، أو محتاجينها يجيبوا دواء أو علاج، أو يعملوا بيها حاجة مصيرية، ليه بمنتهى السهولة تاخدوا مجهود وتعب الناس على مدار الشهر كامل، تاخدوه في لحظات كده، يعني أنا لولا إني اكتشفت إن المحفظة مش معايا، كان زمانها خلاص كده".. ثم نظر إلى السائق وأكمل كلامه وقال: "اطلع بينا يا اسطى على القسم نسلم الحرامي ده".. ليبكي ذلك الشخص ويقول: "قسم إيه يا أستاذ! والله العظيم ما أعرف المحفظة بتاعتك جات معايا ازاي".

– لازم تتحبس، علشان تحرم تعمل كده تاني، وعلشان تبقا عبرة لمن يعتبر.
– كلامك يبقا صح لو أنا فعلًا اللي سرقتك.
– وتفسر بإيه وجود محفظتي في جيبك؟ هه! تفسر بإيه؟
– والله ما أعرف يا أخي جات جيبي ازاي.. صدقني بقا.
– طارت! تكونش طارت ودخلت جيبك لوحدها؟!

هنا تدخل السائق وقال محدثًا الشخص الذي يدعي البرآءة ويدعي أنه لم يسرق المحفظة: "بص يا أستاذ مدام حضرتك واثق قوي كده إنك بريء، فمفروض متكونش خايف إنك تروح القسم معانا، إحنا بعد ما أخلص المشوار ده، هتفضل حضرتك وحضرته معايا في الأتوبيس، ونروح للقسم سوى إحنا التلاتة، وأنا هشهد باللي حصل، وأنت قول اللي عندك في القسم بقا.. إيه رأيك!".. فيلقي ذلك الرجل بجسده على المقعد لا يدري ما يفعل أو يقول، وكأنه غلب على أمره، ثم نظر في عيني السائق نظرة حزينة، أبدى بها موافقته على الذهاب معهما إلى قسم الشرطة، على الرغم من أنه كان يعلم أنَّ أحدًا لن يصدقه.. فجلس ذلك الشخص معتدلًا في مكانه، وجلس إلى جواره الشخص الذي قد سُرق.. وأخذ السائق يعود إلى كرسيه هو الآخر، وأخذ الوضع في الهدوء نوعًا ما.

في هذه اللحظة وقف فارس من مقعده أخيرًا، وكان هدفه الوصول إلى منتصف الحافلة، إلى حيث يجلس ذانك الشخصان، وفي طريقه قام بإخراج زجاجة العطر الخاصة به من جيبه، وعندما وصل إلى منتصف الحافلة، كان السائق قد بدأ في التحرك، ولكنَّه سرعان ما توقف مرة أخرى، وذلك لأنَّ فارسًا قد فاجأ الجميع، وذلك لأنه قد رمى زجاجة العطر بأقصى قوة ممكنة في طرقة الحافلة، مصدرًا بذلك

صوتًا مرتفعًا، لم يدرِ أحدٌ سببَ فعله ذلك.. فأخذ السائق في النظر إليه من مرآة الحافلة، وقام بعدها بالالتفات وأخذ في سؤاله: "إيه اللي أنت عملته ده يبني!".

لم يجبه فارس ولم يعره اهتمامًا، ثم قام بيده اليمنى وأمسك شخصًا ما كان يجلس خلف الشخصين اللذين دار بينهما الشجار؛ ومستعينًا بقوته قام بإيقافه وسحبه إلى منتصف الممر، وتوجه بالحديث إلى السائق وقال: "هو ده يسطى اللي مفروض تاخده معاك للقسم، مش الراجل الغلبان اللي أنتم اتهمتوه ظلم ده".

وقف السائق من مكانه وعاود الرجوع إلى منتصف الحافلة مرة أخرى، حيث كان الشخص الذي أمسك به فارس يقول: "أنت بتقول إيه يله أنت، وبعدين أنت ماسكني كده ليه؟!".. ليدحرج به فارس يمنة ويسرة، طالبًا منه السكوت وعدم التكلم، رامقًا إياه بعينيه، مما أصاب ذلك الشخص بالتوتر؛ وصل السائق إلى حيث يقف فارس وذلك الرجل، ومع وصوله، أخذ في سؤال فارس عن سبب ادعائه ذلك.

فبدأ فارس التكلم وهو لا يزال ممسكًا بذلك الشخص، وكان يقول: "من المنطقي أن لما حد يتسرق، إن أول واحد نفكر فيه كحرامي، هو أقرب حد كان جنبه، وده اللي أنتم عملتوه فعلًا. فلما لقيت الشخص اللي أنتم لقيتم المحفظة في جيبه، لسه مصمم إنه بريء، قلت مش هخسر حاجة لما أجرب الحركة اللي أنا عملتها دي، أنا قمت فجأة من مكاني، ومن غير ما حد يحس من اللي كانوا محيطين بالشخصين دول، قمت رامي أزازة الريحة بقوة كبيرة، كانت كافية أنها تخض أي واحد يسمعها، وفي نفس الوقت راقبت ردة فعل الستة اللي ليهم علاقة بالموضوع،

الاتنين اللي اتخانقوا مع بعض، والأربعة اللي كانوا بيحوشوا، فلقيت إن واحد بس منهم هو اللي متخضش، وطبيعي إن واحد عنده جرأة يسرق في أتوبيس، جهارًا نهارًا كده، وكمان لما عرف إن فيه تفتيش هيحصل، قانم مستغل الخناقة اللي حصلت ويعمل إنه بيحوش، وفي اللحظة دي قام حاطط المحفظة اللي هو سرقها في جيب الشخص اللي اتهمتوه ظلم، فطبيعي بقا إن شخص زي ده، عنده قلب من حديد، قلب ميخفش ولا يتخض من مجرد أزازة وقعت على الأرض".

نظر كل من في الحافلة إلى فارس نظرة ذهول، فلا يدرون من هذا الماثل أمامهم، وما تلك الثقة التي يتحدث بها، ولم يفتح أحدهم فمه، فكانوا جميعًا يفكرون فيما قاله فارس؛ ولكنَّ الرجل الذي كان فارس لا يزال ممسكًا به، بدأ في التكلم وقال: "مينفعش تتهمني كده من غير دليل، على الأقل الراجل اللي مسكوه بالمحفظة في جيبه ده، وجود المحفظة في جيبه، أكبر دليل على إدانته".. غضب فارس وأخذ في رفع صوته موبخًا ذلك الشخص: "دليل! عايز دليل صح! الدليل ده الشرطة اللي هتقولهولك لما يرفعوا البصمات من على المحفظة، وميلقوش عليها غير بصماتك أنت وصاحبها والسواق، يعني بصمات الأستاذ اللي لقينا المحفظة معاه، مش هتكون عليها أصلًا، تقدر بقا سعادتك تقولنا ازاي المحفظة دخلت جيبه من غير ما يكون بصماته عليها؟! طيب يا سيدي هنفرض إنه استخدم منديل ولا حاجة، تقدر بقا تقولي بصماتك ازاي بقت على المحفظة!".

نظر الجميع إلى الشخص الذي كان فارس ممسكًا به، منتظرين ما سيقوله، ولم يجدوا منه أي رد، وبسرعة كبيرة قام ذلك الرجل بإخراج سلاح كان يخبأه في جنبه بأسفل الملابس، وبدأت النساء الّاتي كنَّ موجودات بالصراخ، وهمَّ ذلك الرجل أن

يطعن فارسًا في صدره، إلا أنَّ فارسًا تدارك ذلك في أسرع وقت، حيث قام بسحبه إلى الخلف بيده التي كان يمسكه بها، وبركله في نفس اللحظة بقدمه اليمنى في قدميه، مما أوقعه أرضًا على رأسه، فاقدًا إثر ذلك الوعي.. وبينما كان على وجوه الجميع دهشة واستغراب كبيرين، بدأ فارس بالتحدث إلى السائق قائلًا: "هو هيفضل فاقد وعيه كده لحد ما توصلوا للقسم متقلقش، المهم سيب المطوة جنبه كده، ولما تدخل القسم، امسكها بأي منديل ولا قماشة، علشان ميقدرش ينكر إنها بتاعته، وبصماته تبقا عليها.. المهم إنك هتحكي للشرطة اللي حصل بالضبط، تحكي لهم لقيتوا المحفظة فين، وتحكي لهم عن الشخص اللي كان عايز يضربني بالمطوة ده، وهما هيقوموا بالواجب".. أنهى فارس حديثه مع السائق ثم توجه بالحديث إلى الشخص الذي كان قد اتُّهم ظلمًا، قائلًا له: "متخفش يا أستاذ، الشرطة هترفع البصمات من على المحفظة، وهتتأكد إن بصماتك مش عليها، وهيتم تبريأك.. لكن المهم هو لما الشرطة تخلص تحقيق مع الحيوان ده، لازم تسأله إيه هي طبيعة العداوة اللي بيكنَّها تجاهك، لأنه كان بكل بساطة يقدر، وهو بيحوش بينك وبين الأستاذ اللي اتسرق، يحط المحفظة في جيب صاحبها وخلاص.. وساعتها الشخص ده كان هيلاقيها في جيبه، وممكن يقول أنا محدتش بالي أو دورت غلط، ومحدش كان هيصر على الروحة للقسم.. لكن مع ذلك هو أصر يحطها في جيبك أنت، وده معناه إنه عايز يأذيك، فمتنساش تسأله عن سبب عمله كده".

حرك الرجل الذي كان يخاطبه فارس رأسه إيجابًا، فقد منعه الذهول من التحدث؛ ثم طلب فارس من السائق أن يكمل الطريق، لأنه قد تأخر عن الجامعة، فيذهب السائق دون نقاش ويجلس في مقعده ويكمل طريقه، وقبل أن ينزل فارس من الحافلة، ذهب إلى الشخص الذي قد سُرق، وأخبره أنه يجب عليه الاعتذار من

الشخص الجالس إلى جواره، لأنه كان بريئًا وقد اتهمه ظلمًا، وسبه بأبشع الألفاظ.. ثم نزل فارس من الحافلة، وسار نحو خمس دقائق، وكانت تلك الدقائق المعدودة كافية للوصول إلى الجامعة، وبالتالي صعود السلالم ودخول القاعة، ليتفاجأ أنَّ الدكتور لم يأتِ اليوم، وأنَّ أصدقاءه بانتظاره في منتصف قاعة المحاضرة، جالسين برفقة بعضهم البعض.

ومع رؤيته يدخل قاعة المحاضرة، بدأ شادي في مناداته، فذهب إليهم وعلم منهم أنَّ الدكتور قد اتصل بعضو اتحاد الطلاب، وأخبره أنه مريض ولن يستطيع القدوم اليوم، وظلَّ الأصدقاء الستة يتحدثون سويًا، منتظرين المحاضرة الأخيرة والتي ستأتي بعد ساعة ونصف من الآن، فهي تبدأ في تمام الحادية عشرة، مرَّ الوقت سريعًا إلى أن أتى ميعاد المحاضرة، ودخل الدكتور وبدأ شرحه.

وبعد انتهاء المحاضرة، خرجوا من القاعة، وقاموا بالتحدث حول أمور عدة وكان منها أنَّ هندًا قد قالت: "إن شاء الله فرح ابن خالي هيكون كمان أسبوع كده تقريبًا، وأنتم كلكم معزومين، والفرح هيبقا في الزقازيق في محافظة الشرقية". ثم وبعد أن سمع شادي ما قالته هند قال: "أخيرًا حاجة هتطلعنا من الملل اللي إحنا فيه ده، يبقا هنسافر الفرح بعربيتك بقا يا فارس".. ابتسم فارس ابتسامة سخرية وقال: "عربيتي! العربية يا سيدي صحيت الصبح لقيتها عطلانة محتاجة تصليح، بس عمومًا على أول الأسبوع الجاي إن شاء الله تبقا اتصلحت".. أضافت نور: "يا جماعة أنا عايزة اتمشى شوية، مين يتمشى معايا دلوقتي؟". اعتذر الجميع منها لأنَّ لديهم ما يقومون به إلا فارسًا قد قال: "أنا هتمشى معاكي، كده كده لازم أتمشى أصلًا لحد ما أوصل للموقف وأركب مواصلات".

انصرف الجميع وذهب فارس مع نور، وقاما بالمشي في أرجاء المدينة، وبينما كانا يسيران، بدأ فارس بالتحدث إليها سائلًا: "أخبار طنط نرمين وعمو إسلام إيه، ومحمد ورغدة عاملين إيه؟"

– كويسين كلهم الحمد لله.

– عايز أبقا آجي أسلم على والدك أصله واحشني قوي، يبقا سلمي لي عليه لحد ما أبقا أقابله.

– تعالَ بكرة إن شاء الله معايا البيت بعد الجامعة، منها نتغدى سوى، ومنها تشوف بابي وتسلم عليه.

– خلاص يا ستي تمام، أنا معزوم عندكم بكرة على الغداء.

– قدرتوا توصلوا لحاجة بخصوص اللي عمل كده في طنط؟

– أبدًا، الحادثة لسه مكتوبة ضد مجهول، معرفناش لحد دلوقتي مين اللي عمل كده في ماما.

– طيب أكلم بابي يساعدك في حاجة.

– مفيش داعي نتعب سيادة اللواء.

– طيب وأخبار طنط سامية خالتك إيه؟

لم يرد فارس أن يجيب نورًا عن سؤالها، فهو لم يكن يريد أن يخبرها بأنَّ خالته قد انتحرت أمام عينيه، لأنها ستسأل عن السبب، وفي نفس الوقت هو لم يرد أن يكذب عليها؛ وفي هذه الأثناء وبينما كان فارس يفكر فيما سيخبره لنور، كانت سيارات الشرطة آتية من بعيد، وكان صوت السيارات مرتفعًا، ثم وبعد أن وقفت تلك السيارات بجوار المنزل الذي كان فارس ونور يسيران حينها أمامه، نزل من السيارة الأولى الرائد سليمان وبعض أفراد الأمن المساعدين له.

ذهب فارس صوب الرائد سليمان مسرعًا وبدأ في التحدث إليه: "يا حضرة الرائد سليمان، خير فيه حاجة حصلت؟".. ليتفاجأ الرائد من وجود فارس في ذلك المكان، فيقوم بسؤاله: "إيه ده! فارس! بتعمل إيه هنا!"

– أنا كنت بتمشى مع صاحبتي، وعدينا من هنا صدفة، خير إيه اللي حصل؟

– جالنا بلاغ يا سيدي عن وقوع جريمة قتل في البيت ده.

– جريمة قتل! ثم التفت كلاهما على صوت تلك الفتاة التي فتحت باب المنزل وقالت في توتر وربكة: "شادية يا حضرة الضابط، شادية مقتولة جوه".

أسرع بعدها الرائد سليمان ومن معه بالدخول إلى المنزل المكون من طابق واحد، ومدخله على الشارع، ودخل من ورائهم فارس، والذي طلب من نور أن تذهب هي إلى المنزل، وحينها أصرت نور على البقاء، ولكنه رفض ذلك، فعندها رحلت وهي قلقة على فارس، خائفة من أن يحدث له شيء ما.. وبعد أن دخل فارس وجد فتاة عشرينية ملقاة على بطنها، وكان إصبع تلك الفتاة وهو السبابة تحديدًا، قد كتب كلمة مستخدمًا دماء تلك الفتاة، وقد كتب كلمة مصطفى، وكانت هناك سكينٌ حادة مرمية على الأرض، وكان الضابط سليمان يحقق مع تلك الفتاة التي صاحت منذ قليل، وكان يقول لها: "أنتِ اللي بلغتي صح؟".. فأجابت الفتاة: "أيوة حضرتك، أنا اللي بلغت".

– اسمك إيه بقا؟ واحكي لي اللي حصل بالضبط.

– حضرتك أنا إسراء، أنا ساكنة مع شادية في الشقة دي، إحنا الاتنين في سنة رابعة تجارة، ودي آخر سنة لينا في الكلية وكنا هنتخرج، أنا كنت بشتري طلبات للبيت، ورجعت على الساعة اتنين وتلت كده، لقيت مصطفى صاحبنا طالع بيجري من البيت وبيرزع الباب وراه، ولما قلت له ازيك يا مصطفى مردش عليا، كأنه

مسمعنيش أصلًا، وفضل يجري يجري لحد ما اختفى من قدام مني، ولما جيت أطلَّع مفتاح الشقة من الشنطة، اكتشفت إني نسيت الشنطة بتاعتي في السوق، فرجعت تاني بسرعة للسوق، واللي بيبعد عن البيت نص ساعة مشي، المهم روحت السوق ولقيت الشنطة الحمد لله، البياع كان لقاها وعانها لحد ما صاحبها ييجي، المهم جبت الشنطة ورجعت، والطريق خد مني ساعة رايح جاي، لما رجعت طلعت مفتاح الشقة وفتحت البيت، ودخلت وقفلت الباب ورايا، ولما دخلت الصالة، لقيت شادية مرمية على الأرض، والدم كان في كل حتة، والمكتبة كل الكتب اللي فيها على الأرض، والأوراق هنا وهناك والمكان متبهدل خالص، ساعتها فضلت أنادي على شادية من بعيد من غير ما أقرب منها، لأني خفت صراحة، ولما ملقيتش استجابة منها، قررت اتصل بالشرطة، وفضلت قاعدة مصدومة مكاني وبعيط لحد ما أنتم جيتوا، ولما سمعت صوت عربياتكم، طلعت فتحت على طول.

ثم وبعد أن أنهت إسراء حديثها، سألها الرائد سليمان عن منزل المدعو مصطفى هذا، وطلب منها أن ترافق عسكريين لكي يأتوا به، وأثناء انتظارهم قدوم مصطفى، كان فارس يراقب المكان والوضع في صمت تام، كان يذهب يمنة ويسرة دون إصدار أي صوت، ثم جاء إليه الرائد سليمان، وبدأ يهمس في أذنه: "تلاقي اللي اسمه مصطفى ده قتلها علشان طلب منها الجواز وهي رفضت، ولما ضربها بالسكينة خاف وجري، وهي استجمعت كل القوة اللي فضلالها وكتبت اسمه قبل ما تموت، وبكده سابت لنا رسالة قبل الموت، جريمة سهلة ومحلولة لوحدها، فاضل بس نجيب اللي اسمه مصطفى ده، ونقرره بكل حاجة"، ابتسم فارس في وجه الرائد سليمان، ثم قال: "هنشوف لسه سعادتك".

ظلَّ الطب الشرعي والتحقيق الجنائي يواصلون أعمالهم، بينما كان الرائد سليمان وفارس يجوبون أرجاء المنزل، والذي لم يكن كبيرًا؛ مرت نصف ساعة، وعلى إثرها أتى أحد أفراد التحقيق الجنائي قائلين للرائد سليمان: "سعادتك الضحية ماتت بسبب طعنة في أعلى ظهرها بين عظمتي لوح الكتف، والسكينة اللي لقيناها على الأرض هي المستخدمة في الجريمة، ولحسن الحظ سعادتك، لقينا بصمات على السكينة دي".. ابتسم الرائد سليمان وذلك بعد أن شعر أنه يواجه جريمة سهلة.. حتى وصل المدعو مصطفى ومن كان برفقته، ومع وصوله ودخوله إلى المنزل، توجه إليه الرائد سليمان وبدأ في سؤاله: "أنت مصطفى صح؟".. فأجابه: "أيوة أنا مصطفى".

– أنت كنت بتعمل إيه بقا مع شادية من ساعتين كده.

– مفيش، أنا وشادية صحاب عادي، يعني كنت معاها في البيت هنا زي ما إحنا متعودين كل مرة، قاعدين وبنتكلم.

– طيب ممكن بصماتك، علشان نقارنها بالبصمات اللي التحقيق لقاها على السكينة.

– أه طبعًا خدوا بصماتي أهه.

وبعد أن قاموا بأخذ بصمات مصطفى، قام فريق البحث الجنائي بمطابقة بصماته، مع البصمات التي عثروا عليها على سلاح الجريمة، فكانت الصدمة، إذ كانت البصمات متطابقة تمامًا، حينها ضحك الرائد سليمان وقال لمصطفى: "ها يا درش، قتلتها ليه بقا؟".. فصرخ مصطفى، وكاد صوت صريخه يشق الجدار: "أنا مقتلتهاش والله"

– طيب تفسر بإيه بصماتك اللي على السكينة، واسمك اللي التحقيق أثبت إن الضحية هي اللي كتباه بإيديها، كأنها بتقول لنا اللي قتلني هو ده، وفوق ده كله، إسراء اللي لقتك طالع من البيت بتجري على الساعة اتنين وتلت كده، والطب الجنائي بيأكد إن الضحية ماتت ما بين اتنين إلى تلاتة.

– معرفش والله بصماتي ازاي وصلت للسكينة، ومعرفش برده هي ليه كتبت اسمي، بس أنا كنت طالع بجري من البيت علشان الماتش كان بدأ، فطلعت أجري علشان ألحق حتى الشوط التاني منه.

– ماتش! طيب قل لي كنتم بتعملوا إيه أنت والضحية، قبل ما أنت تجري على الماتش يا أستاذ مصطفى؟

– بص حضرتك، أنا هحكي لك كل اللي حصل بالضبط، بعد ما طلعنا من الجامعة أنا وهي وإسراء، إسراء قالت لنا أنا هروح السوق أشتري شوية طلبات للبيت، وأنا جيت مع شادية علشان أوصلها، لأنها طلبت مني كده، وبعد ما وصلتها قالت لي ادخل فاعتذرت منها، علشان كنت عارف إني لو دخلت ممكن أطول فالماتش يضيع عليا، لكن هي أصرت إني أخش معاها فدخلت، وبعديها جابت لي حلويات وعصير، وفضلنا نتكلم شوية لحد ما الوقت سرقنا، فاكتشفت إن الماتش زمانه بدأ، فقلت لها أنا هروَّح بقا، وفعلًا طلعت جري من عندها لحد البيت علشان ألحق الماتش، وبعدين لقيت إسراء جاية ومعاها اتنين عساكر بيجرجروني لحد هنا تاني.

سكت مصطفى وأنهى حديثه، وهمَّ الرائد أن يسأله سؤالًا آخر، ولكن منعته إسراء، وذلك عندما بكت وقالت محدثة مصطفى: "أنا مش مصدقة إنك قتلت شادية يا مصطفى، دي كانت بتحبك موت".. فأعلى مصطفى صوته مرة أخرى:

"والله ما قتلت حد يا ناس، أنا أقتل! ده أنا معرفش أدبح فرخة".. فأخذ الرائد سليمان في سؤاله: "طيب، ممكن أسألك كنتم بتتكلموا في إيه بالضبط؟".

– أمور شخصية معرفش أحكيها.

– طيب ما إحنا لازم نعرف إيه هي الأمور الشخصية دي، لأنها ممكن تفيدنا في التحقيق.

– كنا بنتكلم في كذا موضوع، الأول تكلمنا في الدراسة، وبعد كده اشتكت لي من إسراء وإن في مشاكل بينهم، وبعد كده فتحت معايا موضوع المفروض إننا كنا قافلينه من زمان.

– وإيه هو الموضوع ده بقا؟

– بص حضرتك هو موضوع شخصي ومينفعش أقوله، بس هقوله لأن زي ما حضرتك قلت، ممكن يفيد في التحقيق.. هي زمان كانت معترفالي بحبها ليا، وطلبت مني إني أتجوزها، لكن أنا اعتذرت لها وقلت لها إن في واحدة تانية في حياتي، وإني شايفها أختي، ومش هشوفها غير كده.. فهي زعلت مني جدًّا ساعتها وقفلنا الموضوع على كده، بس هي رجعت فتحت الموضوع معايا تاني النهارده، وأنا برده صممت على موقفي، فزعقت لي وطلبت مني إني أمشي، فبصيت في الساعة وعرفت إني تأخرت على الماتش فروّحت جري، وقلت يوم تاني أراضيها بقا.

صمت الرائد سليمان برهة من الزمن يفكر فيما قاله مصطفى، ثم سأله مرة أخرى: "أنت بتقول إن فيه مشاكل بينها وبين إسراء؟".

– ده اللي هي قالتهولي.

فالتفت الرائد سليمان ناحية إسراء وأخذ في سؤالها: "صحيح الكلام ده يا إسراء".. فأجابته إسراء وقالت: "آه، إحنا بقالنا فترة متخانقين بسبب إنها لبست

الفستان الجديد بتاعي وخرجت بيه، ومن ساعتها وأنا بتكسف ألبسه علشان الناس متقولش إني بلبس لبسها".. قاطع مصطفى حديث الضابط مع إسراء حيث صاح بعلو صوته قائلًا: "أيوة افتكرت، من أسبوع كده في حفلة عيد ميلادي اللي كنا عاملينها هنا في الشقة دي، وصحابنا كلهم كانوا هنا، أنا قطعت الجاتوه بالسكينة دي، علشان كده يمكن بصماتي لسه عليها".

صمت الجميع بعد كلام مصطفى وكأنهم يفكرون فيه، ثم شقَّ الرائد السكون ذاك إذ قال محدثًا إسراء: "هي لبست الفستان بتاعك إمتى يا إسراء".

– من عشر أيام تقريبًا.

– يبقا أنت استغليتي بصمات مصطفى اللي على السكينة، وبمعرفتك السابقة لإنها طلبته للجواز وهو رفض، وبسبب كرهك ليها، قمتي قتلتيها، وعايزة تلبسيها لمصطفى وتخليه هو اللي يشيل الليلة، مش كده؟

– إيه! إيه الكلام ده! لأ طبعًا، ثم واسم مصطفى اللي شادية كاتباه بإيديها ده كان إيه؟

– بسيطة خالص، بعد ما أنت قتلتيها، قمتي مستخدمة صباعها وكتبتِ اسم مصطفى، واستغليتي إنه جري علشان يلحق الماتش، وقلتي إنك شوفتيه طالع بيجري من البيت، بصي يا ستي هحكي لك اللي حصل بالضبط، أنتِ بعد ما حفلة عيد ميلاد مصطفى اللي كانت من أسبوع خلصت، خبيتي السكينة اللي قطع هو بيها الجاتوه، وجهزتي إنك تقومي بالعملية دي في أقرب فرصة مصطفى ييجي فيها البيت عندكم، وكان النهارده هو أول يوم ييجي فيه هنا من ساعة حفلة العيد ميلاد بتاعته، أنت استنتيه يطلع، وبعد كده عملتي نفسك إنك رجعتي من السوق، ولحسن حظك إنه كان طالع بيجري من عندكم، فكان دي حاجة حلوة تساعدك في

التحقيق لما نيجي ونحقق معاكي فتقولي لنا إنك شفتيه طالع بيجري من عند شادية، ثم دخلتي قتلتي شادية بالسكينة اللي أنت خبيتيها وكان عليها بصمات مصطفى، وبعد ما هي ماتت كتبتي اسم مصطفى بصابع شادية، ولما جينا وسألناكي، ادَّعيتي إنك بعد ما جيتي من السوق، كنت نسيتي شنطتك فرجعتي تجيبيها، لكن الحقيقة إنك مكنتيش نسيتيها ولا حاجة، لأ، أنت كنتِ في الوقت ده بتقتلي شادية، وبتجهزي كل حاجة علشان يبان إن مصطفى هو اللي عمل كده، إيه رأيك في استنتاجي بقا؟ هل فيه حاجة غلط.

كانت إسراء وبينما كان الرائد يدلي بدلوه، في حالة تعجب ودهشة مما يقوله، وبعد انتهائه من كلامه، أخذت تجيبه عن سؤاله: " لأ استنتاج حضرتك مفهوش حاجة غلط، ده كل حاجة فيه غلط.. ثم إن حضرتك معاك دليل على إني اللي عملت كده؟ أنا بقا معايا دليل على كلامي، صاحب المحل اللي يشهد إني نسيت شنطتي وكانت ضايعة مني، وأنا رحت جبتها منه، ولو سألتوه هيقول لكم إني رجعت بعد نسياني للشنطة بنص ساعة، وده دليل على صدقي".

– طيب يا إسراء، أنت ليه طلبتي الشرطة بس، مطلبتيش الإسعاف ليه؟ أقصد أقول أنتِ تأكدتي منين إنها ماتت! مش بتقولي إنك مقربتيش منها؟!

– لأني زي ما قلت لحضرتك، ناديت عليها ومردِّتش عليا، وبعدين كمية الدم اللي كانت في المكان كانت بتؤكد إنها خلاص ماتت، يعني مكنش فيه داعي للإسعاف، ها سعادتك معاك دليل مادي على إن أنا اللي قتلتها؟

صمت حينها الرائد سليمان، والذي كان لا يملك دليلًا دامغًا –غير الاستنتاج والتخمين– على ما قاله؛ وبعفوية قام بالنظر إلى فارس، والذي اعتاد منه الرائد على التكلم في مثل تلك اللحظات الشائكة.. وكأنه يطلب من فارس أن يساعده على

إيجاد الدليل، ففهم فارس مراد الرائد، فبدأ في التحرك نحو الضابط، وقال له هامسًا بصوت حزين لم يسمعه أحد:"للأسف يا حضرة الضابط، الضحية هي اللي انتحرت، دي مش جريمة قتل".

صمت الرائد لحظات، إذ كان لما قاله فارس، تأثيره الكبير على الرائد.. حيث دُهش الرائد سليمان مما قد سمعه، ثم أخذ يقول بصوت مرتفع سمعه كل الحاضرين: "انتحار! انتحار ازاي يا فارس؟! أنت ناسي إن السكينة طعنتها في ظهرها من فوق بين عظمتي لوحِ الكتف، والتحقيق قال إن الطعنة مستقيمة، يعني السكينة دخلت بشكل مستقيم في ظهرها، يعني مستحيل أصلًا حد يقدر يطعن نفسه في المكان ده، فانتحار ازاي بقا؟".. تعجب الجميع عندما علموا أن ما قاله فارس للرائد، هو أن الضحية قامت بقتل نفسها، ولكن سرعان ما أنصتوا جيدًا، وذلك عندما نادى فارس على إسراء، لتأتيه على الفور سائلة إياه عن مراده، فيقول: "مش الهدوم اللي على مصطفى دلوقتي، هي هياها الهدوم اللي أنتِ شفتيها عليه لما كان طالع بيجري من هنا؟".

– آه هيا.

– طيب أنتِ لما شفتيه، كان على هدومه أي نقطة دم؟

– لأ أبدًا، أكيد لو كان فيه دم أو حاجة زي كده، كنت هاخد بالي.

حرك فارس رأسه مجددًا نحو الضابط سليمان وقال: "يعني سعادتك، ده في حد ذاته دليل برآءة كافي لمصطفى، لأنه لو كان فعلًا ارتكب جريمة القتل، كان زمان هدومه اتغرقت بالدم فاضطر إنه يغيرها، أو حتى يغسلها، وكان ساعتها مهتلحقش تنشف".. فتكلم الرائد سليمان قائلًا: "طيب ما ممكن يكون عامل حسابه قبل

كده، وشاري طقمين زي بعض، ولما الطقم الأول اتغرق دم، لبس الطقم التاني وطلع، ف إسراء شافته مش عليه دم".

– تفتكر سعادتك واحد ساب بصماته على سلاح الجريمة، وساب الضحية فيها النفس وكتبت اسمه، هيكون عامل حسابه في طقمين علشان لما الأول يتبهدل بالدم، يلبس التاني؟ ثم إن على كلام مصطفى واللي إسراء مأنكرتهوش، هما كانوا جايين من الجامعة على هنا على طول، فأكيد لو كان معاه طقم تاني كانوا هياخدوا بالهم من حاجة زي كده، وهيستغربوا وجود طقم تاني معاه نفس اللي هو لابسه.

– ماشي يا عم فارس، ده دليل برآءة مصطفى، إيه بقا دليل برآءة إسراء، مهي ممكن تكون مدبرة الليلة دي كلها، علشان مصطفى اللي يقع فيها..

حرك فارس رأسه بالنفي، ثم أكمل سرده وقال: "لو كانت فعلًا إسراء هي اللي عملت كده، مكنتش هتتعمد تخلي مصطفى يشوفها النهارده قبل الجريمة، لأن مصطفى ساعتها هيشوف اللبس اللي عليها، وبالتالي طبيعي إن لبسها ده هيكون اتغرق دم، فلما مصطفى ييجي تاني هنا ويشوفها مغيرة هدومها، هيقول على طول أنت لقيتي وقت منين يا إسراء تغيري فيه هدومك، مش مفروض إنك بتقولي إنك بعد ما جيتي من السوق، دخلتي البيت ولقيتي جثة شادية فاتصلتي بالشرطة على طول، ازاي بقا لحقتي تغيري هدومك، فأنا متأكد إن دي الهدوم اللي كانت عليها لما كانوا جايين من الجامعة، مش كده يا مصطفى؟..

أجاب مصطفى عن سؤال فارس: "آه هي فعلًا الهدوم اللي كانت هي لبساها النهارده طول اليوم".

قال حينها الرائد سليمان: "طيب ما ممكن يكون معاها طقمين وبدلت اللي اتغرق بالدم ولبست النضيف".. حرك فارس رأسه بالنفي مجددًا، ثم قال: "مكنتش

هتقدر تعمل حاجة زي كده، لأنها لو اشترت طقمين زي بعض، كانت شادية صاحبتها واللي ساكنة معاها في نفس الشقة، هتبقا أول العارفين، وهتشك فيها وهتستغرب فعلتها دي، ثم لو كان فعلًا هي معاها طقمين، كانت مش هتقدر ترمي اللي متغرق دم في الشارع، لأنها هتخاف إن أي حد يشوفها، حتى لو كان الحد ده هيشوفها وهي ماسكة كيسة سودة وبترميها كأنها زبالة عادي، كانت برده هتكون خايفة لما الشرطة تيجي وتحقق، والناس تعرف إن فيه جريمة قتل حصلت في البيت ده، واحد من اللي شافوها يقول إن هي رمت كيس زبالة في الوقت اللي مفروض إنه حصلت فيه الجريمة، فساعتها الشرطة هتعرف عملتها؛ فبالتالي هي هتضطر إنها تخبيه في البيت، ومع ذلك العساكر فتشوا وملقوش أي لبس عليه دم أو حتى مغسول وعليه المية لسه، أو حتى نفس اللبس اللي هي لبساه دلوقتي".

صمت فارس لالتقاط بعض الأنفاس ثم أكمل حديثه وقال: "والدليل التاني على برآءة إسراء، إن لو كانت فعلًا إسراء هي اللي عملت كده، ف المفروض إنها استنت شادية تموت، وبعدين مسكت صباعها وكتبت بيه مصطفى، فمعنى كده إن المكان كان كله دم ساعتها، لكن في نفس الوقت إحنا ملقيناش أي أثر لخطوات دم ناتجة عن مشي أي حد فوق الدم، أقصد يعني لو كانت إسراء كتبت اسم مصطفى بإيد الضحية، كانت هتضطر تدوس على الدم برجلها، لكن إحنا ملقيناش أي أثر لكده، وده يؤيد كلام إسراء اللي قالته في الأول، لما قالت إنها فضلت تنادي على شادية من بعيد وخافت تقرب لها، وبكده مش هيبقا قدامنا غير الاحتمال الأخير، وهو إن تكون الضحية هي نفسها الجاني، لأن مستحيل حرامي مثلًا يكون دخل البيت وقتلها وكتب مصطفى، لأن الحرامي هيعرف منين اسم صاحبها، وغير كده هيستفيد إيه لما يورطه في الجريمة.. وبرده نستبعد فكرة إن صاحب ليهم تاني خالص،

غير مصطفى وإسراء، يكون جه قتلها وعايز يورط مصطفى، لأن غير إن دليل برآءة إسراء واللي هو عدم وجود خطوات على بقع الدم المحيطة بالضحية، هيفضل قائم معانا، ويؤكد عدم اقتراب حد من شادية بعد ما ماتت علشان يكتب كلمة مصطفى، إلا أن برده فيه دليل تاني على عدم وجود شخص تالت في الموضوع غير مصطفى وإسراء، وهو إن الشخص ده هيلاقي وقت منين إنه ييجي ويقتل الضحية بعد ما مصطفى مشي، لأنه كان هيضمن منين إن إسراء بعد ما ترجع في نفس اللحظة اللي مصطفى مشي فيها، هتكتشف إنها نسيت الشنطة، فتضطر تمشي تاني، سايبة ليه فترة كويسة يقتل فيها شادية، إلا إذا كان هيعتمد على الحظ بقا، فده موضوع تاني".

سكت فارس برهة، وأخذ يقلب النظر في وجوه الجميع، ليجد على ملامحهم الدهشة الممزوجة بالعجب والإعجاب.. ثم أكمل حديثه وسرده وقال: "بالنسبة بقا لأهم دليل على إنها انتحار مش جريمة قتل، والدليل اللي لما شفته خلاني أعرف أصلًا إنها انتحار.. الدليل ده هو حيلة استخدمتها الضحية علشان تقدر تطعن نفسها في الجزئية اللي محدش يقدر يطعن نفسه فيها، أقصد يعني في أعلى الظهر بين عظمتي لوح الكتف، فأنا حقيقة مع حضرة الضابط في إن محدش يقدر يطعن نفسه في المنطقة دي، لكن زي ما قلت، الضحية استخدمت حيلة، عن طريقها قدرت تطعن نفسها؛ والحيلة دي باستخدام الكتب اللي متبعترة على الأرض دي، والكتب دي هي الدليل اللي قلت لكم عليه، واللي من خلاله عرفت إنها جريمة انتحار مش جريمة قتل.. والحيلة كالتالي، شادية وبعد ما مصطفى مشي من عندها جابت العشر كتب اللي مرميين على الأرض دول، وحطت خمس كتب فوق بعض على الأرض، ولزقتهم في الحيطة، وبعد كده جابت السكينة اللي كان عليها بصمات مصطفى،

واللي هيا كانت مخبياها بعد حفلة عيد ميلاده، علشان تستخدمها في توريط مصطفى في جريمة القتل، وبعدين حطتها على الخمس كتب، بحيث يكون مقبض السكينة بس هو اللي على الكتب ويكون ملامس للحيطة، والجزء الحديد من السكينة، هو اللي يكون بارز من برة الكتب، وبعدين حطت الخمس كتب الباقية فوق السكينة، وبكده السكينة هتكون متثبته بحاجتين، الكتب والحيطة، وبعد كده نامت على جنبها وقربت من الكتب، وبأقصى قوتها قامت دافعة نفسها تجاه السكينة، بحيث تخلي السكينة تطعنها بين عظمتي لوح الكتف، وبعد ما طعنتها السكينة، استجمعت كل ما بقي لها من قوة وعملت حاجتين، الأولى إنها تحرر نفسها من زنقة الكتب والسكينة، عن طريق إنها تنام على بطنها بقوة، فبكده هتكون تحررت من السكينة اللي كانت في ظهرها، وبعد كده بإيديها الشمال، تقوم مبعترة العشر كتب، فبالتالي السكينة هي كمان هتترمي على الأرض زي ما شوفناها كده بالضبط، وطبعًا هي عملت كده علشان محدش ياخد باله من فكرتها دي، والحاجة التانية بقا اللي هي عملتها، إن هي كتبت اسم مصطفى بدمها، علشان تورطه في الجريمة؛ ولو فرضنا إننا جينا ولقينا الكتب متبعترة كده، فهي أكيد افتكرت إننا هنفتكر الكتب مرمية كده لأن فيه صراع دار بينها وبين الجاني، واللي هو مصطفى، واللي خلاني آخد بالي من الحيلة اللي هي استخدمتها دي، إننا لو بصينا على الكتب، هنلاقي الجزء الجانبي من الكتب بس هو اللي عليه الدم، إنما الأجزاء اللي فوق واللي تحت، ف الدم موصلّهاش، وده بيدعم نظريتي، وطبعًا مفيش داعي أوضح إنها قررت تنتحر لأنها خسرت حب حياتها الوحيد واللي هو مصطفى، وقررت برده إنها تتهمه هو بكده، لأنه فضَّل بنت غيرها عليها".

انتهى فارس من تحليله واستنتاجه، وصاحب صمته، صمت جميع الحاضرين، والذين لم يصمتوا لأنهم دُهشوا من استنتاج فارس فقط، بل صمتوا أيضًا حزنًا على الفتاة المسكينة التي ذهبت ضحية الحب، مؤكدة صدق المقولة الشهيرة، ومن الحب ما قتل؛ ابتسم الرائد سليمان ونظر إلى فارس نظرة الإعجاب الشديد، ولم يبعد عينيه عن فارس إلا عندما سمع البكاء الشديد لمصطفى، حيث كان يقول باكيًا: "لو كنت أعرف إنها ممكن تعمل كده في نفسها بسبب حبها ليا، كنت وافقت عليها من أول مرة هي اعترفت لي فيها، أنا آسف يا شادية، آسف".

وبعد أن انتهى التحقيق، اتصل رجال الشرطة بالإسعاف حتى تنقل شادية، ومع رحيل الجميع، بما فيهم مصطفى وإسراء واللذيْن رافقا رجال الشرطة إلى القسم، لاستكمال التحقيق؛ توجه الضابط سليمان إلى فارس شاكرًا له مدَّ يد المساعدة، فقال له فارس: "مفيش شكر على واجب، ده واجبي سعادتك إني مسيبش بريء يتظلم، أو مجرم يهرب من العدالة، فأنا كنت ببين الحق علشان ميُتهمش بريء، ولا يُدان مسكين، صحيح! بقول لسعادتك إيه، إن شاء الله التنفيذ غالبًا هيكون بعد بكرة، فياريت حضرتك تكون جاهز وعامل حسابك".

– متقلقش يا فارس، أنا هكون جاهز في الميعاد وبيننا اتصال". انصرف فارس من هذا المنزل المشئوم، وكانت حينها الساعة الثامنة ليلًا، ثم رن هاتفه وكانت المتصلة نور، والتي كانت تريد أن تطمئن على فارس، فقام فارس بإخبارها أنه بخير، وعليها ألَّا تقلقَ بشأنه.. وحين أغلق الهاتف معها، تفاجأ بثلاثة شباب أمامه، وفي يد كل واحد منهم سكين، ويطلبون منه بأن يُخرج ما معه من نقود، وبأن يعطيهم الهاتف، وإلا سيقومون بقتله.

❋❋❋❋❋❋

الفصل الخامس

ابتسم فارس ابتسامة هادئة، وذلك بعد أن خرج عليه من يقطع عليه طريقه، وبعد أن قاموا بتهديده بواسطة الأسلحة التي كانت معهم، كان فارس حينها ناظرًا على الطريق لأسفل، وبهدوء شديد لما سمع مقولتهم، وبالابتسامة التي قد رسمها على وجهه، رفع عينيه تجاههم وقال: "هلعب معاكم لعبة، إيه رأيكم؟". نظر اللصوص إلى بعضهم البعض، وبدت الحيرة واضحة على ملامحهم، ليأخذ أوسطهم في النظر نحو فارس، وبدأ التكلم وقال: "لعبة إيه يبني، أنت اللي لو مجبتش اللي معاك، هنعملك لعبة هنا".

ضحك فارس بصوت مرتفع، مما أثار غضبهم، وما إن همَّ أحدهم بالتقدم نحوه، قال: "متخافوش، دي لعبة بسيطة خالص، كل الحكاية وما فيها، إن اللي هيقدر على التاني فينا، هياخد اللي معاه.. ومتقلقوش يا سيدي، أنتم التلاتة عليا أنا لوحدي".. تفاجأ اللصوص من ردة فعل فارس والذي كان هادئًا جدًّا، وغيرَ مبالٍ بما قد يفعلونه له؛ بدأوا جميعًا في مهاجمة فارس في آنٍ واحد، فقد بدأ الشخص الذي كان على يسارهم، مهاجمة فارس من اليمين، والشخص الذي كان على يمينهم، مهاجمة فارس من اليسار، والشخص الذي كان في المنتصف والذي تحدث قبل قليل، قد بدأ هجومه هو الآخر.

وفي لمح البصر كان الثلاثة واقعين على الأرض؛ مستعينًا بما قد تعلمه من فنون الدفاع عن النفس، عندما كان صغيرًا، قد تمكَّن فارس من إنهاء أمر ثلاثتهم في أسرع ما يمكن، حيث قام بضربهم في أماكن لا يستطيع أحدٌ قد تلقى الضرب فيها، الوقوفَ مجددًا، إلا بعد دقائق قد تطول.. أخذ فارس يقلب النظر في وجوههم دون

إبداء أي فعل، ثم بعد لحظات أخذ في التكلم: "بصوا احمدوا ربكم إن أنا مش رايق دلوقتي إني أبلغ الشرطة، وأستناها لحد ما تيجي تاخدكم، أو حتى أصوركم، وفي أي وقت أروح أعمل محضر بالصور دي؛ أنا هسيبكم، بس نصيحة مني، شوفولكم شغلانة تاكلوا منها غير إرهاب الناس دي، يا عالم، ممكن لو عملتوا كده تاني، يقع تحت إيديكم واحد ميرحمكمش، مهو مش كل مرة يعني، هتقابلوا واحد رحيم زيي كده". تحدَّث أحدهم وقال متألمًا: "رحيم مين! ده أنا مش حاسس بجسمي".

– مهو علشان تحرم، وتبطل بلطجة على الناس.

– أقسم لك بالله العظيم أنا ما راجع أعمل كده تاني.

نظر فارس إلى صديقي ذلك الرجل، ثم أخذ في سؤالهما: "طيب وأنتم؟".. فأجاب أحدهما: "وإن كان عليا أنا لو ربنا قدر لي إني أقوم من الخبطة اللي خبطتها لي دي، أنا مش عامل كده تاني، وهروح أشتغل مع أبويا في الفرن زي ما هو عايز".. وقال الآخر: "وأنا حرَّمت أنا كمان، وربنا يشهد على كلامي، أنا أصلًا جديد في السكة دي، والحوجة هي اللي رمتني لكده، بس خلاص، أوعدك معملش كده تاني".. ابتسم فارس في وجوههم، ثم وضع يده في جيبه، وقام بإخراج محفظته، وأخرج منها بعض النقود، ثم قام بوضعها جانبهم على الأرض، وقام بعدها بتخطيهم، وبعد أن أعطاهم ظهره، قال وهو يسير دون الالتفات نحوهم: "دول ألف جنيه، أهو تعويض عن اللي حصل فيكم".

تركهم فارس ينظرون إلى بعضهم البعض في تعجبٍ شديد، لا يدرون من هذا الفتى غريب الأطوار؛ وأخذ يحدث نفسه بأنه أصاب في عدم إبلاغ الشرطة، لأنه ليس هناك داعٍ لذلك، فهو يلتمس فيهم الخير؛ وأخذ يسير تجاه الطريق العام، وقام بإيقاف سيارة أجرة، وطلب من السائق أن يتوجه إلى منزله، وقام بإخباره عن

العنوان، وكان التعب قد تمكن منه، فبدأ يغشاه النعاس، فنام في السيارة، في مقعدها الخلفي، حتى استيقظ على صوت غليظ: "اصحى يا أستاذ وصلنا".

أدرك فارس حينها أنه قد وصل إلى المنزل، فقام بمحاسبة السائق، ثم قام بالدخول إلى المنزل، وكانت الساعة عندها أوشكت أن تصل إلى العاشرة مساءً؛ وبعد أن قام بتبديل ملابسه والاغتسال، وقبل أن يخلد إلى النوم، قام بالاتصال بصديقه طارق، وأخذ في سؤاله: "طارق.. بقلك إيه.. تعرف تيجي معايا بكرة؟".

– ماشي، بس فين؟

– أنا هروح أقابل عمو نُعمان، علشان آخد منه أرباح الشهر ده، وكنت عايزك تيجي معايا، ها قلت إيه؟

– خلاص تمام، هنروح إمتى طيب؟

– يعني على الساعة تسعة الصبح كده.

– طيب والجامعة؟

– هنغيب بكرة يا عم، مش مهم.

– آه ما أنت بتجيب امتيازات فمش فارق معاك، بتعرف تفهم نفسك، لكن أنا الغلبان هعمل إيه!

– هههههه يا سيدي لو اتشرح حاجة صعبة، هبقا أفهمها لك أنا.

– ماشي يا عم فارس، وأنا أقدر أقول لأخويا لأ يعني، خلاص جاي معاك بكرة.

– تمام يا صاحبي، مع السلامة.

– مع السلامة يا فارس، تصبح على خير.

وبعد أن أنهى فارس المكالمة خلد إلى النوم، وذلك بعد أن أعدَّ منبه هاتفه لكي يوقظه في الثامنة صباحًا، ثم أغمض عينيه وأخذ في النوم؛ وفي تمام الثامنة صباحًا

أيقظ فارس ذلك الصوت المزعج، وحينها قام بإغلاق المنبه، وهمَّ أن ينام مجددًا، إلا أنَّ نورًا قد حالت بينه وبين ما يشتهي، فقد قامت بالاتصال به، فحينها اعتدل في فراشه وأخذ يتثاءب مجيبًا بصوتٍ مليءٍ بالنوم: "ألو.. أيوة يا نور.. خير في حاجة؟".

– أبدًا يا فارس، أنا بس كنت بفكرك إنك معزوم عندنا على الغداء النهارده، ولما ملقيتكش جيت الجامعة، خفت يكون فيه حاجة، ده حتى طارق غاب هو كمان.

– لا متقلقيش مفيش حاجة، أنا بس كنت رايح الفرع الرئيسي للشركة بتاعتنا، وكنت واخد طارق معايا، فعلشان كده إحنا مجيناش الجامعة.

– ماشي يا فارس، بس متنساش العزومة.

– لا أنسى إيه، أكيد جاي.

– خلاص ماشي، مع السلامة يا فارس.

– سلام يا نور.

أنهى فارس مكالمته مع نور، وقام بعدها من سريره، وأخذ يغسل وجهه وأسنانه، وقام بالنزول من المنزل والتوجه إلى منزل طارق، مستخدمًا المواصلات العامة، حيث إنَّ سيارته لم يكن تم إصلاحها بعد؛ قام باصطحاب طارق وتوجها إلى شركة والده – إلى فرعها الرئيس تحديدًا– وقابل هناك الأستاذ نُعمان، مدير أعمال والده، وها هو ذا قد أخذ حقيبة الأموال الخاصة بهذا الشهر، والتي كانت مليئة بالمال الكافي لعيش معيشة رغدة حسنة. استغرق الأمر منهما ساعة واحدة ليس أكثر، حتى يفرغا أخيرًا مما جاءا من أجله.

بدأ فارس التحدث إلى طارق: "بقلك إيه، أنا عايز ميكانيكي علشان العربية لسه متصلحتش".

– خلاص يلّه بالمرة نجيب ميكانيكي، ونروح على بيتك بيه". ثم ذهبا إلى الميكانيكي الذي أخبر طارق فارسًا عنه، وقاما باصطحابه إلى منزل فارس، ولم يستغرق الأمر منه سوى لحظاتٍ، حتى تمكَّن من تصليح السيارة؛ ذهب فارس بسيارته لكي يوصل طارقًا، وقام بشكره على مجيئه معه، وبعد أن غادر فارس من عند منزل طارق، كانت الساعة الثانية عشرة ظهرًا، فقرر حينها الذهاب إلى الجامعة لكي يصطحب نورًا إلى منزلها؛ ذهب بالفعل إلى الجامعة، وهناك قابل الفتيات وشادي، وبعد أن رحَّب بهم، قام بأخذ نور معه في سيارته، وذهبا إلى منزلها.. وفي الطريق بدأت نور التحدث إلى فارس: "بابي ومامي هيفرحوا خالص لما يشوفوك يا فارس".

– صدقيني أنا اللي هفرح لما أشوفهم.

– أنت بقالك كده سبع شهور بالضبط مجتش عندنا.

– ياه أنتِ لسه فاكرة يا نور.

ابتسمت نور واحمرَّ وجهها خجلًا، وقالت: "ودي حاجة تتنسي يا فارس! أصل فيه حاجات كده بتفضل متخزنة في الذاكرة، لا يمكن تتنسي مهما مر من وقت". تغيرت ملامح فارس، إذ بدا عليه الحزن الشديد جرَّاء ما قالته نور.. فتعود نور سريعًا إلى الاعتذار: "آسفة والله، مقصدتش إني أفكرك". تنهد فارس طويلًا ثم قال: "مفيش داعي للاعتذار يا نور، عندك حق في كلامك، فيه حاجات مهما عدَّى عليها من وقت، لا يمكن إنها تتنسي، وماما كانت من الحاجات دي". صمتت نور بعدها ولم تجد ما تواسي به فارسًا، وظلَّ الصمت طوال طريقهما نحو بيت نور.

لم يمضِ الكثير من الوقت، حتى وصلا إلى ذلك المنزل الكبير والمكون من طابقين وفناء واسع، وحديقة مليئة بالأزهار والورود، وكانت هذه الحديقة تأسر قلوب كل

من يراها وتقع عيناه عليها؛ وبعد أن قامت نور بالنزول من السيارة، أخذت في فتح البوابة لفارس، حتى يتمكن من إدخال سيارته، وقام فارس بوضع سيارته في الفناء، ودخل مع نور إلى المنزل، وأجلسته نور في غرفة الضيوف، وأخذت تصعد الدرج متوجهة نحو غرفة والدها في الطابق الثاني، وأخبرت والديها بوصولهما هي وفارس.

ذهبت الأم بعدها إلى المطبخ لكي تعد الطعام، وتهيَّأَ أبوها ونزل لغرفة الضيوف، حيث وجد هناك فارسًا بانتظاره، فأخذ في شغفٍ ولهفةٍ يقول لفارس: "فارس حبيبي.. ازيك يا ابني عامل إيه؟". وقف فارس من مكانه، والابتسامة لم تفارقه، وأخذ يسلم عليه، وقال: "الحمد لله يا عمو، أخبار حضرتك إيه".

– بخير يبني والله، نحمد الله، آسف يا فارس إني مجتش الجنازة، بس أكيد نور قالت لك إني كنت مسافر، عمومًا البقاء لله يا حبيبي.

– ولا يهمك يا عمو، قالت لي آه إن حضرتك كنت مسافر.

– عندك أي فكرة مين اللي ممكن يكون عمل كده؟

قرر فارس عدم إخبار اللواء إسلام عن أيِّ شيءٍ، على الرغم من أنه يعلم بأنه سيساعده في التوصل إلى أي معلومة عن تلك العصابة، ولكنَّه آثر عدم إخباره، خوفًا عليه وعلى عائلة نور مما قد يحدث لهم، إذا قرر اللواءُ مواجهةَ تلك العصابة بنفسه؛ أخذ فارس يجيب عن سؤال اللواء: "أبدًا، أنا حتى متفاجئ، لأني يومها الصبح صحيت ملقيتش ماما في البيت، فمعنديش فكرة إيه اللي ممكن يكون حصل".

– أمممم، طيب يا فارس مين الضابط اللي ماسك القضية؟

– سيادة الرائد سليمان إبراهيم.

– آه، الرائد سليمان ضابط كفء وعنده خبرة كافية في الأمور دي.

– آه حضرتك، الرائد سليمان متعاون جدًّا.

قاطع حديثَهم ولدٌ يملك أحدَ عَشَرَ عامًا، جاءَ يركض من الخارِج، مسرعًا تجاه فارسٍ عندما رآه، ومع وصوله قام باحتضانه وقال: "ازيك يا فارس، واحشني قوي، مشفتكش من زمان". التزمه فارس هو الآخر وأخذ يداعبه في شعره ويقول: "ازيك أنت يا حمادة، عامل إيه يا حبيبي، وأنت كمان واحشني أكتر، ورغدة أخبارها إيه".

– كويسة الحمد لله، زمانها جاية من المدرسة دلوقتي.

– أنت في سنة كام دلوقتي يا حمادة.

– أنا في خمسة ابتدائي.

– ما شاء الله، كبرت يا حمادة أهه، طيب ورغدة؟

– في تالتة إعدادي.

نزلت نور من سلالم الطابق الثاني، وجاءت بعد أن كانت تبدل ملابسها في غرفتها، وأخذت تتحدَّث إلى أخيها الصغير وتقول: "اطلع غير هدومك يا محمد، واقلع الشوز بتاعتك، علشان مامي بتجهز في الأكل أهه". ذهب محمد ليفعل ما أملته عليه أخته، وفي هذه الأثناء بدأ اللواءُ في التحدث إلى فارس مجددًا، وذلك بعد أن جلس ثلاثتهم: "أنا هتواصل مع الرائد سليمان يا فارس، هعرف منه المعلومات اللي هو وصل لها، وهتابع مجريات التحقيق بنفسي". لم يجد فارس مناصًا من إخبار اللواء إسلام عن كل شيء، وذلك بعد أن وجده عازمًا على متابعة مجريات التحقيق، وبعد أن علم أيضًا أنَّ الرائد سليمان سيخبره لا محالة بكل شيء، وسيخبره عن العصابة وعن انتحار خالته.. فقرر فارس الانفراد باللواء وإخباره كل شيء؛ ابتسم فارس في وجه نور ابتسامة بريئة، وأخذ بصوتٍ كله عطف في التحدث إليها: "نور

بعد إذنك، ممكن تجيبي لي شاحنك، أصل تيليفوني قرب يفصل شحن".. قامت نور من مكانها فورًا بعد أن طلب منها فارس الإتيان بشاحن هاتفها.. فاستغلَّ فارس فترة غيابها وبدأ التحدثَّ إلى اللواء إسلام: "عمو.. الكلام اللي هقوله لحضرتك ده خطير جدًّا، ياريت حضرتك تسمعني بتركيز".

تفاجأ اللواء إسلام، وذلك بعد أن رأى ملامح فارس تحولت إلى الجدِّية، ثم هدأَ اللواء، وابتسم ابتسامة خفيفة وقال: "عارف يا فارس هتقول إيه". اندهش فارس من كلام اللواء ثم سأل مستنكرًا: "عارف؟! عارف ازاي؟!".. ابتسم اللواء مجددًا ثم أخذَ نفسًا عميقًا وقال: "قبل شوية لما أنا سألتك هل ممكن يكون عندك فكرة مين اللي عمل كده، وأنت أنكرت معرفتك، فجيت أنا بعديها قلت لك إني هسأل الرائد سليمان، فأنت بقا قررت ساعتها تقول لي؛ فعلشان كده أنت وزعت نور بنتي، وأنت ولا محتاج تشحن تيليفونك ولا حاجة، أصلًا أنت مطلعتش تيليفونك من جيبك، فعرفت ازاي إنه محتاج يتشحن؟! وكونك في الأول تكون خايف تقول لي، وبعد كده لما عرفت إني هعرف بطريقتي، فمرضتش تخليني أزعل منك لما أعرف بعدين إنك خبيت عليا، فده شيء فرحني، لأن ده معناه إنك بتحبني وخايف على زعلي؛ واللي حقيقي فرحني أكتر، إن كونك مرضتش تقول لي في الأول، فده معناه اللي عمل كده في والدتك، ناس خطيرة جدًّا، وأنت كنت خايف على عمك إسلام حبيبك، وعلى عيلته، اللي هي في نفس الوقت أنت بتعتبرها عيلتك؛ وده زي ما قلت لك فرحني، لأني عرفت قد إيه أنت بتحبنا وبتخاف علينا؛ لكن للأسف أنت تغاضيت عن كوني لواء في الداخلية يا فارس، يعني مهما كانت الناس دي خطيرة، كان لازم أعرف يا فارس".

ابتسم فارس ابتسامة هادئة، أعرب من خلالها عن عدم دهشته من استنتاج كل تلك الأمور في ذلك الوقت الوجيز، ثم أخذ يحدث اللواء قائلًا: "كالعادة يا عمو، حضرتك لماح، ومحدش يعرف يغلبك". سكت فارس لبرهة، ثم أكمل: "فعلًا زي ما حضرتك توقعت، اللي عمل كده منظمة خطيرة وغريبة، وكل المعلومات اللي عرفناها عنهم، إنهم بيستخدموا شهور السنة، كأسماء مستعارة ليهم، ولحد دلوقتي رئيسهم مجهول الهوية، وغالبًا مجهول الهوية عن أفراد المنظمة نفسهم برده، وسيادة الرائد سليمان قال إنه مسمعش حاجة عن ناس زي دول قبل كده.. فالوصول ليهم احتمال يبقا صعب يا عمو".

تفاجأ اللواء إسلام من كلام فارس، وبدت على ملامحه الدهشة، ثم قام من مكانه وذهب إلى جوار فارس، وبعد أن جلس إلى جواره، أخذ يقول: "أنا فعلًا يا فارس أول مرة أسمع عن ناس زي كده برده، بس اللي أنا مستغرب منه، إن ناس زي دي أكيد ناس خطيرة جدًا، وأكيد عندهم من الخطورة والذكاء ما يكفي إنه يخليكم متعرفوش توصلوا للي قتل والدتك، فازاي بقا قدرتم توصلوا أنت والرائد سليمان، لكل المعلومات دي عنهم؟!".

منعت نور فارسًا من الإجابة عن سؤال اللواء إسلام، وذلك عندما جاءت من بعيد وكانت تتحدُث بصوت مرتفع، حتى يتمكن فارس من سماعها: "أخيرًا لقيته يا فارس، عذبني علشان ألاقيه". همس اللواء إلى فارس طالبًا منه السكوت، بسبب قدوم ابنته، وأخبره بأنه سيكمل الحديث معه لاحقًا؛ بدأ فارس الحديث مع نور، والتي قد وصلت إلى حيث يجلس والدها مع فارس، إذ كان يقول: "شكرًا يا نور، معلش تعبتك معايا".

– شكرًا على إيه يبني، ده مجرد شاحن، بس هو بابي قرب منك كده ليه، أنتم كنتم بتتكلموا في حاجة ولا إيه؟

– لا يا بنتي ولا حاجة ولا بتاع، ده عمو كان جاي بيواسيني علشان ماما وكده.

وفي هذه الأثناء، وبعد أن أعطت نور شاحن هاتفها إلى فارس، أخذت أمها في مناداتها، حتى تساعدها في حمل الأطباق ووضعها على مائدة الطعام، وما إن رحلت نور، حتى أتى محمد، والذي بدوره قد ذهب إلى الجلوس إلى جوار فارس، مما دفع اللواء إلى التحدث مرة أخرى إلى فارس قائلًا: "طيب بص يا فارس يا ابني، مش وقته فعلًا الكلام دلوقتي، خلينا نروح على السفرة دلوقتي علشان الأكل جهز أهه".. سار فارس وإلى جواره محمد –محتضنًا إياه– رفقة اللواء نحو مائدة الطعام.. وبعد جلوس ثلاثتهم، وصلت نور وأمها وهما تحملان الطعام، وبعد أن قامتا بوضع صحون الطعام على المائدة، أخذت أم نور في الترحيب بفارس: "فارس يا حبيبي، أخبارك إيه، طمني عليك"، ليبادلها فارس هو الآخر التحية: "الحمد لله يا طنط بخير والله، أخبار حضرتك أنتِ إيه؟ شكرًا على العزومة دي، تعبتوا نفسكم والله".

– ولا تعب ولا حاجة يا حبيبي، ده أنت زي ابني بالضبط، البقاء لله يا حبيبي، ربنا يرحمها ويصبرك على فراقها.

– إن شاء الله يا طنط.. إن شاء الله.

انتهت الأم بمساعدة نور من تحضير الطعام وتجهيزه، وبعد أن جلس الجميع، واستعدوا لتناول الطعام، أخذ اللواء في التحدث: "معرفش رغدة تأخرت ليه لحد دلوقتي.. معقول كل ده لسه مجاتش من المدرسة؟!".. فأجابه فارس: "هي المفروض كانت بتيجي إمتى؟".

– هي بتيجي على طول من المدرسة على الساعة واحدة ونص كده، ودلوقتي الساعة اتنين، معرفش تأخرت ليه.

فأخذت والدة نور في طمأنة اللواء: "يا إسلام متقلقش، تلاقيها راحت مع صاحبتها مريم يشتروا أي حاجة، وعلشان كده تأخروا، كلوا أنتم بس ومتشغلوش بالكم، كل يا فارس أنت مبتكلش ليه، أنت مش ضيف يا حبيبي أنت صاحب بيت".

بدأوا جميعًا حينها في تناول الطعام، وكان يغلب على جوهم المرح، حيث كان يحاول اللواء إسعادهم بسرد عليهم بعض قصصه الطريفة مع المجرمين.. مر من الوقت ما كان كافيًا لأن ينتهوا من تناول الطعام، ثم قال اللواء إسلام: "البنت لسه مجاتش يا نرمين، وبتصل بيها تيليفونها مقفول، وبعدين؟! العمل إيه".. فأجابته والدة نور: "طيب أنا هتصل بمريم صاحبتها، وأشوف في إيه"

– لأ، اتصلي أنتِ، وهاتي أنا هكلمها، لأني مش مرتاح، وحاسس إن فيه حاجة.

فاتصلت والدة نور بمريم، وبعد أن أجابت، قامت بإعطاء الهاتف إلى اللواء إسلام، والذي بدوره بدأ في التحدث: "ألو.. أيوة يمريم، أنا عمو إسلام.. بابا رغدة".

– ألو.. أيوة يا عمو، ازيّ حضرتك.

– الحمد لله يا حبيبتي، بقول لك إيه يا مريم، أمال أنتِ فين.

– أنا في البيت ياعمو.

– طيب ورغدة فين؟

– إيه ده! هيا لسه مروحتش؟! ده أنا سايباها من بدري، والمفروض تكون روحت من زمان.

– يعني متعرفيش هي فين يا مريم؟

– أبدًا والله يا عمو، المفروض تكون في البيت.

– ماشي يا حبيبتي، سلام.

– مع السلامة يا عمو.

بعد أن أغلق اللواء إسلام الهاتف، أخذت والدة نور تتحدث إليه: "إيه! قالت لك إيه؟".. فيجيبها اللواء بشيءٍ من التوتر بدا على ملامحه: "متعرفش رغدة فين".

– يعني إيه! البنت مش متعودة تتأخر كده يا إسلام.

– معرفش بقا يا نرمين.. أنا زيي زيك مش مطمن.. بس هنصبر حبة ونشوف إيه اللي هيحصل.

وبعد مضي بعض الوقت، كان فارس واللواء ونور، ومحمد أيضًا، يجلسون جميعهم في غرفة الضيوف، وفزعوا جميعًا عندما سمعوا والدة نور تصرخ من بعيد قادمة، وفي يديها ورقة كانت ممسكة بها وتقول: "إلحق يا إسلام البنت اتخطفت، بنتنا اتخطفت يا إسلام". فبدأوا جميعًا تتقلب ملامحهم، وخاصة اللواء، والذي بدأ بصوتٍ عالٍ يقول: "إيه! أنتِ بتقولي إيه؟! اتخطفت؟! وعرفتي ازاي؟ من الورقة اللي في إيدك دي؟". فقامت والدة نور بالتكلم قائلة: "أنا لما قلقت على رغدة، طلعت علشان استناها برة البيت، فلقيت الورقة دي مرمية على الباب برة".. ثم أخذت نرمين في قراءة محتوى تلك الورقة بصوتٍ باكٍ سمعه الجميع: أحب نخبرك أننا عملنا دون وقوف كأننا من نزلاء عتمة شرق روسيا، سعيًا نحو يُتْم ناسك؛ سكتت والدة نور برهة، ثم أكملت: ولكننا لم نستطع الوصول إليك، فما كان منا إلا أن وصلنا إلى ابنتك، فإن أردت أن تفديها، فما عليك إلا أن تأتينا بمبلغ خمسة ملايين جنيه، على العنوان الذي سوف نخبرك به لاحقًا، وإياك وأن تتصل بالدعم.

ومع انتهاء والدة نور من القراءة.. وقف فارس ونور من مكانهما من صدمتهما لما سمعا.. وأخذت نور في الانهيار قائلة: "يعني إيه! أختي فين!"، ثم توجهت نحو أبيها وأخذت تحتضنه وتقول: "أختي فين يا بابي، هيعملوا في أختي إيه؟!"، ليقوم اللواء إسلام بتهدئتها، ومن ثَمَّ التوجه إلى نرمين، ومع وصوله لها، قام بأخذ الورقة منها، وبدأ في تفحصها، ومن على يساره فارس، والذي بدأ يتفحص الورقة بعينيه هو الآخر، بينما كان اللواء ممسكًا بها.. وفجأة بدأ فارس في التكلم قائلًا: "على فكرة يا عمو، اللي عمل كده يعرف حضرتك كويس، وكمان يعرف إن حضرتك شغال مع الشرطة".. فيجيبه اللواء إسلام على الفور: "مش كده وبس يا فارس، ده وكمان اللي عمل كده، مبيت شر جواه تجاهي من عشر سنين، يعني أكيد اللي عمل كده ده مجرم أنا كنت قبضت عليه من عشر سنين، وهو لسه طالع من الحبس قريب، فقرر ينتقم مني".

– بالضبط حضرتك، أنا برده أخدت بالي.

أخذت نرمين ونور يقلبون النظر في وجهي بعضهما البعض، وعلى وجه كل واحدة منهما علامة استفهام كبيرة، بسبب ما قالاه فارس واللواء إسلام، فأخذت نرمين في سؤالهما عن تفسير ما قد قالاه، فأجابها اللواء إسلام: "بصي يا نرمين، اللي خلَّى فارس يقول إن اللي عمل كده يعرفني، إن اللي كتب الرسالة دي، كاتب لي تحذير بيقول.. أوعى تطلب الدعم، يعني أوعى تعرف حد من زمايلك، مقلش مثلًا أوعى تبلغ الشرطة". صمت اللواء قليلًا، مما دفع فارس إلى أن يكمل هو ما قاله اللواء: "بالضبط يا طنط، زائد كمان إن سبب اللي خلانا نقول اللي قولناه أنا وعمو، إن الرسالة دي مش متصلة، لأ، دي عبارة عن فقرتين، الفقرة الأولى بتخلص عند كلمة ناسك، وبعديها سايب كام سطر، وبدأ يكتب كلمة ولكننا، لحد

آخر الرسالة".. قلبت نرمين النظر بين فارس واللواء، مشيرة لهما بأنها لم تفهم شيئًا، مما جعل اللواء إسلام يقول: "بصي يا نرمين اللي فارس عايز يقوله، إن ليه المجرم مكتبش الرسالة كاملة؟ ليه عملها فقرتين، فلما قرينا الرسالة كويس، ودققنا فيها، عرفنا إن الفقرة الأولى فيها رسالة خفية، وهي لو إحنا أخدنا أول حرف من كل كلمة في الفقرة دي، هنحصل على الجملة دي: أنا عدوك من عشر سنين. والفقرة التانية هي تكملة الرسالة ودي فقرة عادية".

أسرعت نرمين ومن ورائها نور، لتعيد قراءة الرسالة مرة أخرى، فتتأكد مما قد قيل، وبعد أن تأكدت، أخذت في البكاء، وبكت إثر بكائها نور؛ وما كان من محمد إلا أن بكى هو الآخر، وذلك بعد رؤيته لأمه وأخته تبكيان، ثم ذهب محمد إلى أبيه وقام باحتضانه وقال: "رغدة هتبقا كويسة يا بابا صح؟".. فنظر اللواء إلى نرمين وطلب منها أن تصطحب نورًا ومحمدًا إلى الخارج، ولكنها رفضت الخروج في بادئ الأمر، إلا أنَّ اللواء قد رمقها بعينيه، مما أصابها بالذعر، فعلمت حينها أنه غاضب، فقامت وهي لا تزال تبكي، بسحب نور ومحمد من يديهما، وخرجت بهما صاعدة السلالم، متجهة إلى الطابق الثاني.

مع خروجهم من غرفة الضيوف، بدأ اللواء التكلم مع فارس قائلًا: " دلوقتي يا فارس أنا مش هعرف أدبر المبلغ الضخم جدًّا ده، ده حتى لو سحبت كل رصيدي اللي في البنك، مش هجيب نص المبلغ، وبرده مش هغامر بحياة بنتي وأكلمهم في القسم وأعرفهم اللي حصل، إذ لربما يكونوا بيراقبونا ولا حاجة".

– كلام حضرتك منطقي جدًّا، لأن دلوقتي حضرتك أنت مينفعش تبلغ القوات، زي ما طلبوا، إذ لربما زي ما حضرتك قلت كده يبقوا مراقبين المكان، وبرده مفيش فايدة من تتبع تيليفون رغدة، لأنه كان مقفول، يعني هما أكيد عاملين حسابهم ولما

خطفوها رموا التيليفون، إحنا كل اللي هنعمله هنستناهم يتصلوا علشان يعرفونا معاد التسليم، مش رغدة حافظة رقم حضرتك برده؟

– أيوة حافظاه.

– خلاص هيسألوها عن رقم حضرتك، وهتقول لهم عليه، وبعدها هما هيتصلوا.

– كل مرة تثبتلي ذكاءك وهدوءك، أكتر من المرة اللي قبلها يا فارس، فعلًا عندك حق، إحنا نستنى ونشوف هيتصلوا يقولوا إيه.

وبعد مضي بعض الوقت، أصدر هاتف اللواء إسلام صوتًا، وكان مصدر هذا الصوت، هو رسالة وليست مكالمة، والرسالة تلك تحتوي على العنوان الذي يجب عليه تسليم النقود فيه، والعنوان هو برج القاهرة؛ إذ كانت الرسالة تحتوي على بعض التعليمات التي على والد نور أن ينفذها، وهي أن يتوجه وحيدًا إلى برج القاهرة بعد ساعتين من تلقيه للرسالة، ثم يستخدم المصعد ومعه حقيبة المال، ثم يصعد إلى أعلى البرج، ويترك الحقيبة في المصعد، لكي يتلقاها من هم بأسفل البرج عند نزول المصعد، وحينها سيعود اللواء إلى منزله ويجد ابنته هناك.

وبعد أن وصلت الرسالة وقرأ كل من فارس واللواء محتواها أخرج فارس من جيبه الجنيه، وأخذ في لفه وجلس يفكر قليلًا.. وكان اللواء إسلام في هذه الأثناء حزينًا جدًّا، ومنعه ذلك الحزن والخوف على ابنته من مواصلة التفكير، فلم يكن يستطيع التفكير وهو في هذه الحال، وكانت ثقته في فارس كبيرة جدًّا، والدليل على ذلك، أنه تركه يفكر فيما سيفعلانه بنفسه.. وها هو ذا فارس أخيرًا يقول: "بص حضرتك، إحنا هنجهز شنطة الفلوس زي ما هم طلبوا بالضبط، بس هنحط فيها جهاز تتبع، وإن كان على المبلغ، فالمبلغ أنا هعرف أدبره بسهولة من خزنة الف..."، قاطع اللواء إسلام فارسًا حيث قال: "طيب ده إذا كان أول حاجة هيعملوها يا فارس،

إنهم هيدوروا على حاجتين، الأولى يشوفوا الفلوس كاملة ولا لأ، والثانية يشوفوا فيه أجهزة تتبع ولا لأ".

– مهو حضرتك مسيبتنيش أكمل، إحنا هنحط جهازين تتبع مش جهاز واحد، الجهاز الأول هيكون في مكان سهل إنهم يلاقوه فيه، والتاني نخبيه كويس، بحيث ميتلقاش خالص، وأكيد لما يلاقوا الجهاز الأول، مش هيدوروا تاني على أي أجهزة، هيفتكروا إن ده الجهاز الوحيد، أصل مين هييجي في باله إنه يكون فيه جهازين تتبع مش واحد، وبالنسبة للفلوس بقا، فزي ما قلت لحضرتك أمرها سهل.

– بص يا فارس يا ابني، أنت عارف كويس إني معنديش القدرة إني أفكر بنص قدرتي على التفكير، في ظل ظروف زي دي، وبرده معنديش المقدرة إني أبلغهم في القسم، علشان حياة بنتي متكنش في خطر، ف أنا معتمد عليك يا ابني كل الاعتماد، بس باللي أنت عايز تعمله ده، ف أنت كده هتخلي حياة بنتي في خطر..

ابتسم فارس ابتسامته الهادئة المعتادة، ثم قال: "متقلقش يا عمو، جهز حضرتك بس الشنطة وجهازين التتبع، وأنا رايح مشوار صغير خالص، أجهز الفلوس وآجي".

انصرف فارس راكبًا سيارته؛ وأخذ حينها اللواء يقوم بما أملاه عليه فارس، فقد أتى بحقيبة كبيرة، وقام بفتح خزانته وأخرج جهازي التتبع، وقام بوضعهما في الحقيبة، بحيث يكون أحدهما يسهل العثور عليه، والآخر يصعُب ذلك، وبعد أن انتهى من توضيب كل شيء، انتظر مجيء فارس الذي مرت أكثر من ساعة ونصف على ذهابه، حينها قلق اللواء من تأخره، ومرَّ ذلك الوقت على اللواء بطيئًا جدًّا، فتارة تأتي نرمين وتسأل عن المستجدات التي حدثت، وتارة تأتي نور لتفعل ذلك، فلم يستطع اللواء تحمل ذلك، وما إن قرر الخروج من المنزل، لكي يتعامل مع الأمور

بنفسه، حتى ذهب وفتح باب المنزل، فصُدم بأنَّ أمامه فارسًا، وبرفقته رغدة؛ حينها بكت رغدة واحتضنت أباها الذي لم يكن يفهم شيئًا مما يحدث أمامه، ثم نظر اللواء إلى فارس والذي كان يبتسم، ثم قال له فارس: "ندخل بس، وأنا هفهم حضرتك على كل حاجة".

ثم دخلوا جميعًا ونادى اللواء وهو فرحٌ مسرور، على أهل البيت جميعهم، والذين قد أنهك البكاء أعينهم، وعندما جاءوا أسرعت صوبهم رغدة وهي تبكي، حينها صدمت نور وأمها من وجود رغدة في المنزل، وقامتا باحتضانها، وقام محمد هو الآخر والذي قد أسرع صوب أخته، باحتضانها، وأخذ في البكاء في حضنها، وسألت نور والدها عن كيف له أن دبر مبلغ الفدية، فأجاب: "مبلغ إيه.. أنا زيي زيك معرفش رغدة هنا ازاي، فارس يبني إشرح لي بالضبط إيه اللي بيحصل". قام فارس بأخذ نفس عميق قال على إثره: "حضرتك أنا من الأول وأنا عارف المكان اللي رغدة مخطوفة فيه، وبناءً على كده عملت خطتين، الأولى هيا اللي هنفذها، والتانية هيا اللي هنلجأ لها لو كان استنتاجي غلط".

ثم سكت فارس ونظر كل الحاضرين إلى بعضهم البعض نظرة الحائر الذي لا يفهم ما يجري من حوله، ثم أكمل فارس حديثه: "بصو، أنا لما عمو إسلام كان بيقرأ في الرسالة، وأنا كنت واقف جنبه بقرأها أنا كمان، فهمت إن الفقرة الأولى فعلًا عبارة عن تلميح المجرم عامله، علشان نعرف من خلاله إن المجرم ده عدو اللواء إسلام، بس لفت انتباهي جملة عتمة شرق روسيا، فالأول افتكرت إنها جملة المجرم ملقاش غيرها علشان يكتبها، علشان ناخد أول حرف من كل كلمة فيها ونحصل على كلمة عَشَر، لكن بعد ما فكرت شوية، قلت في نفسي ليه المجرم حاطط أصلًا التلميح ده، هل بيتحدى حضرة اللواء، لكن لقيت إنها إجابة مش منطقية، ولما

فضلت أفكر شوية في جملة كأننا نزلاء عتمة شرق روسيا، لقيت إن نزلاء دي بتبقا خاصة بالفنادق، وإن فيه فندق هنا في القاهرة اسمه الفندق الروسي، فخمنت ساعتها إنه قاصد يوضح، إن رغدة مخطوفة في الفندق ده، وإن الشرق دي بتدل على إنها في الجناح الشرقي، وعتمة دي بتدل على إنها في المخزن في الضلمة، ساعتها فهمت إن المجرم حاطط خطتين، الأولى في حالة إن يكون سيادة اللواء خد باله من التلميح وفهم مكان وجود بنته، والتانية إن سيادة اللواء ميكنش فهم التلميح، فلو كان سيادة اللواء فهم التلميح، هيجري ساعتها على الفندق الروسي ويروح يدور على بنته هناك، وده اللي المجرم عايزه أصلًا، إنه يستفرد بسيادة اللواء علشان ينتقم، ولو كان سيادة اللواء مفهمش التلميح، فهيخلي الأمور تمشي على طبيعتها كأنه اختطاف عادي، ويقوم باعت عنوان تسليم مبلغ الفدية، وعلشان كده المجرم فصل بين الرسالتين، رسالة معرفتنا باختطاف رغدة، والرسالة اللي جت على الموبايل بتقول لنا مكان التسليم، هو فصل بينهم علشان يدي سيادة اللواء فرصة يقرأ كويس وياخد باله من التلميح، ومع إني كنت متأكد من خطته، خفت برده تكون دي كلها مجرد استنتاجات، علشان كده لعبت على الجنبين، خليت سيادة اللواء يجهز الشنطة، وأنا رحت جبت الفلوس من الخزنة في الفيلا عندي، وبكده نكون جهزنا الخطة الأولى، وده في حالة إننا نضطر نروح نسلم مبلغ الفدية؛ وفي نفس الوقت أنا روحت بنفسي على الفندق الروسي، واللي هو كان خاطف رغدة فيه، وبطريقة ما عرف يدَخَّلْها المخازن".

صمت الجميع وأخذوا يقلبون النظر في وجوه بعضهم البعض، ولكنَّ اللواء إسلام قد ابتسم ابتسامة يملأها الإعجاب، وأخذ يقول: "استغليت فترة انشغالي

بخوفي على رغدة، وفكرت في كل ده يا فارس! قد إيه أنت إنسان عظيم يا ابني.. طيب أنت عملت إيه، ولقيت رغدة ازاي، والمجرم إيه اللي حصل فيه؟".

– أنا لما طلعت من هنا ركبت عربيتي وروحت على الفيلا جهزت الفلوس، وبعديها روحت على الفندق الروسي، وهناك سألت الاستعلامات عن مكان المخازن اللي في الجناح الشرقي، وكان فيه مخزنين، روحت المخزن الأول، ملقيتش حاجة، ولما روحت المخزن التاني، كنت عامل حسابي إني لو ملقيتش حاجة فيه برده، إني هرجع لسعادتك بالمبلغ ونكمل في خطة الشنطة وجهازين التتبع؛ بس أنا لما وصلت للمخزن التاني، واللي مكنش عليه أي حراسة، ولا أصلًا عمال الفندق بيدخلوه غير فين وفين، وده اللي عرفته منهم، كان توقعي في محله، كان مجرم واحد بس، وادَّعى في الرسالة إنه أكتر من واحد، علشان يخوف سيادتك، وكان المجرم ده جاهز بالهجوم على اللي هيخش المخزن، لكن الحمد لله أنا اتصرفت معاه، وهو دلوقتي في القسم مع الرائد سليمان اللي أنا كلمته وحكيت له اللي حصل، وبعديها فكيت رغدة واللي كانت مربوطة وجيت بيها على هنا.

عندما أنهى فارس حديثه تأثرت نور وأمها جدًّا بما قد سمعتا، وكانت أعينهما مليئة باللمعان، تأثرًا بشجاعة فارس وذكائه، وأخذ اللواء إسلام في سؤاله: "طيب أنت ليه مقلتليش يا فارس على خطتك الحقيقية.. لنفس السبب اللي خلاك متكنش عايز تقول لي الموضوع إياه صح؟".

– صراحة يا عمو، آه، خفت على حضرتك، وبعدين المجرم بعد ما أنا ضربته وكتفته سألته هو عمل كده ليه، رد عليا وقال لي بأنه كان تاجر مخدرات، وإن سيادتك من عشر سنين قبضت عليه ودخلته السجن، ومراته ماتت وهو في السجن حزنًا عليه، ومن ساعتها وهو مقرر إنه أول ما يطلع من السجن ينتقم من حضرتك.

حينها ذهب اللواء واحتضن فارسًا وشكره جزيل الشكر، وقامت نور وأمها أيضًا بشكر فارس على ما فعله.. ثم جلسوا جميعًا يحتسون بعض أكواب الشاي، ثم استأذن اللواء إسلام مخبرًا إياهم بأنه سيذهب إلى قسم الشرطة، لكي يحقق بنفسه مع ذلك المجرم، وقام بالهمس إلى فارس مجددًا، بأنهما سيكملان كلامهما فيما بعد، وبعد رحيل اللواء بنصف ساعة، أخذ فارس هو الآخر بالانصراف، وقام بتوديع نور والتي لن يراها غدًا، حيث إنَّ يوم الغد هو عطلة من الجامعة، ثم انصرف فارس وركب سيارته وأخذ وهو في الطريق يفكر ويقول في نفسه: "بكرة إن شاء الله هبدأ في تنفيذ الخطة، وهشوف هل هتمشي زي ما أنا عايز ولا لأ، لحد دلوقتي أنا معرفش أنا بواجه مين، لازم آخد حذري، ومش عايز أورط حد من أصحابي مع العصابة دي، هما ملهمش ذنب، وبعدين الطار طاري أنا، مش هرتاح غير لما كل كلب من العصابة دي يبقا في السجن، وخصوصًا الريس بتاعهم". ثم ذهب فارس إلى منزله ووصل في تمام الثامنة ليلًا، ثم صعد وجلس يفكر، حتى خلد إلى النوم.

*****

الفصل السادس

لمَّا رنَّ هاتف فارس في السابعة صباحًا، قد أيقظه من نومه، وقد كان المتصل هو الرائد سليمان، والذي قد اتفق معه فارس على اللقاء أمام منزل خالته، وقد ذكَّر فارس الرائدَ بأن يأتي بالغرض الذي عن طريقه سينفذ فارس خطته، وقد قال الرائد بأنه قد جهزه، وأنه سوف يأتي به إلى منزل الخالة.. وأخيرًا قد أنهيا حديثهما، وبعدها قام فارس من فراشه قاصدًا دورة المياه، حتى يستفيق من نومه، وبينما يغسِّل فارس وجهه، نظر إلى المرآة، وبدأ يتكلم إلى نفسه وكأنه يحدث شخصًا آخر، وأخذ يقول: "جاهز يا فارس؟ كلها ساعات بتفصلك عن الكلاب دول".. ثم رد على نفسه بصوت مسموع: "طبعًا جاهز، بس أتمنى الخطة تمشي زي ما أنا عايز بس، وأتمنى إنهم ييجوا أصلًا".

وبعد خروج فارس من الحمام، قام بتناول الإفطار، وأخذ مفاتيح السيارة وخرج من المنزل، ثم توجه إلى منزل خالته، ووجد هناك أنَّ الرائد سليمان بانتظاره بمفرده أمام المنزل، وقد سلَّما على بعضهما البعض، ثم قال فارس: "فين الجهاز؟".. فأجابه الرائد: "معايا أهه".. وقام الرائد بإعطاء فارس جهازًا صغير الحجم، يُستخدم في التنصُّت، وبعدها قام فارس بفتح منزل خالته فوجده كما تركه سابقًا لم يتغير فيه شيء، ثم خرج فارس والرائد وتركا الباب مفتوحًا، وذهبا بعيدًا عن المنزل، مختبئين بين الأشجار، وناظرين تجاه باب المنزل.

أخذ الرائد في هذه الأثناء، وبينما كان مع فارس بين الأشجار متواريين عن أنظار المارة، يتحدث إلى فارس ويقول: "أنت متأكد إنهم جايين؟".. تنهد فارس، ثم قال: "صراحة.. لأ، بس عندي أمل كبير إنهم ييجوا". وبعد أن أنهى فارس مقولته نظر

الرائد في ساعته، ثم توجه بالنظر إلى فارس وقال: "الساعة دلوقتي تمانية، وأنا ورايا ميعاد مهم الساعة تسعة يا فارس، هتعمل إيه لو مجوش قبل تسعة؟". نظر فارس إلى السماء، وقام باستنشاق هواء الصباح المنعش، ثم أجاب: "لو الساعة جت تسعة وهما مجوش، حضرتك تقدر تروح ميعادك، وأنا لو حصل أي جديد هبقا أبلغك فورًا".

ومرَّ الوقت ولم يأتِ أحد، إلى أن وصلت الساعة التاسعة صباحًا، حينها قال الرائد: "أنا همشي بقا يا فارس، ولو جم اتصل بيا فورًا، وحذاري تتعامل معاهم لوحدك". هزَّ فارس رأسه بالموافقة على ما قاله الرائد، ثم انصرف الرائد بسيارته والتي كانت بجوار سيارة فارس، حيث قد تركا السيارتين بعيدًا عن المنزل، وقد أخذ فارس يحدث نفسه وينظر يمنة ويسرة، وقد ملَّ الانتظار، وبعد مرور نصف ساعة تقريبًا على رحيل الرائد سليمان، جاءت سيارة بيضاء اللون، زجاجها معتم، لا يُرى من بداخلِها، وكانت من نوعِ "مرسيدس".. وكانت تسير ببطء شديد، إلى أن وقفت أمام منزل خالة فارس، حينها احمر وجه فارس بسبب الغضب، حيث بدا على وجهه التوتر والقلق.

وكان في السيارة شخصان، وهما مايو ورجب، ولكن بالطبع فارس لم يكن يعلم عدد الأشخاص الذين كانوا في السيارة، وذلك بسبب الزجاج المعتم، وبعد أن وقفت السيارة أمام المنزل، قال رجب محدثًا مايو: "وبعدين.. دي تالت مرة نيجي ومنلقيهاش مستنية، وبرده لسه تيليفونها مقفول متفتحش، إحنا مش متعودين نيجي لها كل يوم كده!". أخذ مايو ينفخ هواء سيجارته، ثم أجاب في هدوء: "الموضوع غريب فعلًا". حينها تفاجأ كلاهما بأن باب المنزل مفتوح، فقال رجب: "الباب مفتوح يا مايو، أمال هي تيليفونها مقفول ليه، وليه لما جينا امبارح وأول، مفتحتش

تيليفونها علشان نعرفها إننا برة فتخرج لنا". حينها نزع مايو نظارته السوداء ووضعها في جيبه وقال: "تعالَ يا رجب.. هننزل نشوف في إيه". فتفاجأ رجب من حديث مايو وقال: "افرض ده مقلب هي عملاه فينا علشان من خلاله تعرف تشوف وشنا، وخصوصًا بعد اللي هي عرفت إننا عملناه". فابتسم مايو ابتسامة خبيثة وقال: "ساعتها هقتلها".

دُهش فارس عندما رأى أبواب السيارة الأمامية تُفتح، وينزل منها شخصان، أحدهما طويل، نحيف، شعره أسود طويل، والآخر قصير، متوسط الوزن، شاربه كثيف، وأصلع، وقد زعم فارس بأنهما متقاربين في العمر، ويظن بأنهما قد يكونان في الثلاثينات، ثم وبعد أن نزل ذانك الشخصان من السيارة، توجها تلقاء منزل خالة فارس، ودخلا من الباب المفتوح، وأغلقا الباب خلفهما، حينها قال فارس محدثًا نفسه: "الخطة ماشية تمام قوي، فاضل بس أعرف العربية فاضية دلوقتي ولا لسه فيها حد، علشان أعرف أحط الجهاز فيها".

ذهب فارس تجاه السيارة ومرَّ بجوارها ورمى نفسه مدَّعيًا أنه قد أُغمي عليه، حيث قال لنفسه بأنه إذا كان هناك أحد بالسيارة، سوف يخرج إذا رأى شخصًا يُغمى عليه، وحينها سوف يدَّعي أنه مجرد عابر سبيل قد مر في هذا الطريق، وقد أصابه الإرهاق الشديد وحرارة الشمس، لذا قد فقد وعيه، وإن لم يخرج أحدٌ من السيارة، فهذا يعني أنه كان لا يوجد بها إلا الشخصين اللذين خرجا لتوهما، وبالفعل لم يخرج أحدٌ من السيارة، فقام فارس وأسرع تجاه الباب الخلفي، وأخرج من جيبه دبوسًا معدنيًا، وقام بفتح الباب، وبزرْع جهاز التنصت في الكرسي الخلفي، حيث لا يسهل العثور عليه، وقام بإغلاق الباب مجددًا، وأسرع إلى سيارته والتي كان يضعها

بعيدًا عن المنزل؛ وبعد أن ركب السيارة، قام بوضع السماعة في أذنه منتظرًا عودة هذين الشخصين إلى السيارة، حتى يسترق السمع.

وفي هذه الأثناء كانت نور مستيقظة، وكانت تتحدث مع هند عبر هاتفها، وقد أخبرت نور هندًا، عن مدى شجاعة فارس وشهامته، حيث إنه قد أنقذ أختها من يد المجرم المختطف، وأنه آثر أن يضحي بنفسه في سبيل إنقاذها، دون إخبار والدها بخطته خوفًا عليه هو الآخر، فردت هند وقالت: "يا بنتي مش جديدة على فارس يعني، ما إحنا من زمان وعارفين إنه شهم وشجاع، المهم أختك عاملة إيه دلوقتي؟".

– هي الحمد لله كويسة دلوقتي، هي آه في الأول مكنتش مستوعبة اللي حصل، وكانت مصدومة، بس دلوقتي هي أحسن.

ثم قاطعت غادة حديثهما وقالت: "طيب ومقولتيش لفارس ليه إنك بتحبيه بعد ما أنقذ أختك؟! مكنتيش هتلاقي فرصة حلوة زي دي". تفاجأت نور وقالت: "إيه ده! غادة؟! أنتِ بتعملي إيه عند هند؟".

– أنا بايتة عند هند من امبارح، المهم مقلتيش لفارس ليه إنك مخبية عليه حبك من زمان قوي؟!

احمرَّ وجه نور خجلًا، وبعد صمتٍ دام للحظات، قالت: "أنتِ بتهزري يا بنتي، مينفعش طبعًا، لأن بابي ومامي كانوا واقفين، ثم مينفعش أصارحه بمشاعري غير لما أعرف الأول، هو هيوافق عليها ولا لأ، والأهم من ده كله يا غادة، أنتِ ناسية اللي حصل مع طنط أمال ولا إيه! فالوقت مش مناسب إني أقول له حاجة زي كده".

– ما بتصدقي تلاقي أي حجة أنتِ يا نور، علشان خايفة تعترفي له بمشاعرك، يا نور صدقيني فارس ميتعوضش، وغير ده كله هو صاحبنا، يعني عارفين أخلاقه كويس.

خجلت نور من الحديث وقررت أن تصمت قليلًا، وطال سكوتها إلى أن تكلمت هند وقالت: "آه صحيح يا نور، أنا بفكرك إن فرح ابن خالي اللي كنت قلت لكم عليه، هيكون كمان خمس أيام، وإن شاء الله هيكون في الزقازيق في الشرقية، عليكي بقا تفكّري فارس، وأنا هفكّر باقي الولاد، وعرّفي فارس إننا هنروح بعربيته بقا". فأجابت نور: "آه صحيح أنا كنت ناسية موضوع الفرح ده خالص.. كويس إنك فكرتيني، خلاص تمام أنا على وقت الضهر كده، هبقا اتصل بفارس وأعرفه، أصله زمانه نايم دلوقتي، مش عايزة أصحيه".

وبعد أن أنهت نور حديثها مع صديقتيها، أخذت تنظر من شرفة غرفتها إلى فناء منزلها المليء بالورود والأزهار، وقامت بالتحدث إلى العصافير التي كانت تطير في كل مكان وتغرد بأصواتها الجميلة، وكانت تقول لهم: "تعرفوا إن أنا بحسدكم لأنكم تقدروا تطيروا في أي وقت، وتروحوا أي مكان أنتم عايزينه". ثم وفجأة دخلت أمها وقطعت عليها لحظة التأمل بصوتها المرتفع حيث قالت: "إيه يا نور! أنت صاحية ليه بدري؟! حتى يوم أجازتك صاحية بدري!". فدُهشت نور والتفتت خلفها، فرأت أمها واقفة أمامها، فأجابتها: "أبدًا يا مامي مجاليش نوم، عمالة أفكّر في اللي حصل امبارح ده".

اقتربت أمها منها، ثم بدأت تتكلم: "فعلًا يا بنتي، ومين هيجي له نوم! أنا طول الليل عمالة أحلم بكوابيس وأصحى، وأرجع أنام تاني وأحلم بكوابيس وأصحى، أمال أختك نفسها تعمل إيه بقا، ربنا يبارك في فارس، اللي لولاه مكناش عارفين إيه اللي ممكن يحصل". ومع سماع اسم فارس ابتسمت نور ابتسامة داخلية، وكأنَّ قلبها سيطير فرحًا، وحينها غادرت أمها غرفتها وذهبت لتطمئن على رغدة، والتي كانت تغطُّ في نوم عميق، فسعدت الأم لرؤيتها ابنتها نائمة، ثم عادت مرة أخرى إلى غرفة

نور، وكانت نور على سريرها، فأغلقت الأم باب الغرفة، وتوجهت نحو السرير، وظلت واقفة أمامه ناظرة إلى ابنتها، وأخذت تقول: "أنتِ بتحبي فارس صح؟".

وفي هذه الأثناء كان الشخصان قد خرجا من منزل خالة فارس، وتركا الباب مفتوحًا كما كان، وكان كل منهما يرتدي قفازًا، ثم توجها نحو سيارتهما؛ وكان فارس يراقبهما من بعيد، والسعادة بادية على وجهه، وبعد أن ركبا السيارة، كان فارس قد حفظ أرقام وحروف لوحة السيارة، وبعد أن جلسا في السيارة، أصبحت لدى فارس المقدرة على سماعهما، حيث إنَّ أول شيء سمعه فارس كان.."تفتكر هي فين؟".. ثم غادرت السيارة، وبعد مغادرتها نزل فارس من سيارته وقام بإغلاق منزل خالته، ثم توجه إلى سيارته مجددًا، وكانت السماعة في أذنه طيلة الوقت، ولكنَّه لم يسمع إجابة عن سؤال الذي طُرح.

وبعد مضي لحظاتٍ، سمع فارس السؤال يُكرر مجددًا.. "تفتكر هي فين يا مايو؟". حينها دُهش فارس وقال محدثًا نفسه: "مايو!"؛ فسمع فارس الرد وكان: "معنديش فكرة يا رجب، بس أكيد فيه حاجة حصلت، أنا هتابع الموضوع بنفسي وأعرف". حينها قال فارس في تعجب: "رجب!"؛ وكان في هذه الأثناء فارس يطاردهم من بعيد حتى يعلم وجهتهم، وفي نفس الوقت يستمع إلى الحديث الدائر بينهما، متمنيًا أن يعرف أكثر وأكثر عن هذه العصابة، وأثناء سكوت رجب ومايو قام فارس بالاتصال بالرائد سليمان، ولكنَّه وجد أنَّ هاتفه مغلق، فقال محدثًا نفسه: "وهو ده وقته يا حضرة الضابط".

ثم قطع فارس تفكيره عندما سمع صوت مايو والذي عرفه فارس جيدًا، ذاك الصوت الغليظ الذي كان يقول: "أنا سجايري خلصت، اقف عند أقرب محل

اشتري منه سجاير".. فرد رجب عليه: "تاخد من سجايري؟!". فأجاب مايو: "ما أنت عارف.. مبشربش غير داهِل". وبعض مضي بعض الوقت، تتوقف السيارة الخاصة بهما، ويقف فارس بعيدًا، ويراقبهم في صمت وتركيز شديد، فوجد فارس أنَّ باب السيارة الخاص بالسائق هو الذي فُتح، ووجد الشخص القصير هو الذي ينزل منه، فعلم أنَّه رجب، حيث إنَّ مايو هو الذي طلب من رجب التوقف، فهذا يعني أنَّ رجبًا هو من كان يقود، وبعد أن عاد رجب ومعه السجائر، قام بالركوب، وقد أعطى مايو سجائره، وأدار السيارة وقام بالتحرك، وقام فارس بالتحرك أيضًا ولكن بحذر شديد، حتى لا ينتبها إليه، وسمع فارس حوارًا بينهما بدأه رجب، والذي كان يقول: "تفتكر هي قررت تعمل حاجة انتقامًا لأختها؟". فزادت حينها دقات قلب فارس عندما سمع سيرة أمه، وزادت دقات قلبه أكثر عندما سمع رد مايو الذي كان يقول: "لو كانت عملت حاجة زي كده فعلًا، هخليها تحصلها". وعندها احمرَّ وجه فارس من شدة الغضب، وأخذ يتوعدهم بصوت عالٍ ويقول: "والله لأدفّعكم تمن اللي عملتوه يا كلاب".

بعد مرور دقائق قليلة من الصمت، لم يسمع فارس خلالها أيَّ جديد، رنَّ هاتف في سيارتهما، فابتسم فارس وقال: "أهو كده الخطة بدأت تكمل".. وبعد أن سمع فارس صوت مايو الذي كان يقول: "ألو..". علم أنَّ هاتف مايو هو الذي كان يرن، وبعد أن سمع مايو صوت الطرف الآخر على الهاتف قام بإغلاق الهاتف فورًا، ولكنَّه ادَّعى أنه لا يزال يتكلم على الهاتف، حيث كان يقول: "أيوة حاضر مش هتأخر" ثم أخرج من جيبه هاتفًا آخر، وقام بفتح ملاحظات الهاتف، وأخذ يكتب فيها؛ وكان رجب متعجبًا مما يفعله مايو، وتكلم مايو مجددًا مدّعيًا أنه لا يزال يتكلم على الهاتف، وقال: "تمام مفيش مشاكل.. ساعة وهكون عندك، روح أنت يلَّه".. ثم أخذ

مايو يتكلم إلى رجب ويقول: "من أحب أنواع السجاير إلى قلبي، سجاير دانهل دي". ثم طلب مايو من رجب مشيرًا إليه دون كلام أن يجاريه في الكلام، فيرد رجب ويقول: "آه من زمان وأنت بتحبها، ومبتشربش غيرها" حينها أعطى مايو ما كتبه في هاتفه الآخر إلى رجب، وأخذ رجب يقرأ وهو يقود، وكان المكتوب هو الآتي: "إحنا كلامنا مسموع دلوقتي، فيه جهاز تصنت في العربية".

وبعد أن قرأ رجب ما كتبه مايو دُهش، وأخذ يكتب هو الآخر في الهاتف، ويتكلم في نفس الوقت ويقول: "عايز أحط بنزين في العربية"؛ وكان قد كتب.."ومين اللي عمل كده، ودخل العربية ازاي أصلًا ووقتين، وأنت عرفت ازاي" ثم أعطى رجب مايو الهاتف مرة أخرى، فأخذ مايو يقرأ، وذلك بعد أن رد على رجب وقال: "آه أنا بقول كده برده، العربية محتاجة بنزين". ثم أخذ مايو يكتب في الهاتف، وأثناء قيامه بالكتابة كان رجب قد صمت، فطلب منه مايو مشيرًا إليه أن يكمل الحديث، فقال رجب: "خلاص هنبقا نروح أي بنزينة في طريقنا بقا". وحينها قد أنهى مايو ما كتبه وأعطى رجبًا الهاتف مجددًا، وكان المكتوب.."من شوية وأنا برد عليه.. سمعت خرفشة في المكالمة، ففهمت فورًا إن فيه جهاز تصنّت هنا".

وبعد أن قرأ رجب ما كتبه مايو، أومأ برأسه موضحًا لمايو أنه فهم ما يجري، وما كان من فارس إلا أنه مبتسم فقط، ومنصت بتركيز لما يقولانه، وأخذ مايو يبحث في كرسيه وكرسي رجب، عن هذا الجهاز، ولكنه لم يجد شيئًا، حينها قال لرجب: "أنا هنام ساعة، لما نوصل صحيني"، فقال له رجب: "ارجع نام في الكنبة اللي وره أحسن لك".

فذهب مايو إلى الكرسي الخلفي، مدعيًا أنه ذهب إلى هناك لكي ينام، ولكنه أخذ يبحث عن جهاز التنصت، إلى أن وجده مخفيا، وظلَّ يبحث مجددًا ظنًا منه أنَّ

هناك جهازًا آخر، ولكن لم يجد أي أجهزة أخرى، فأمسك بالجهاز، وأشار به إلى رجب، مخبرًا إياه بأنه قد عثر عليه، حينها أخذ رجب يكتب في الهاتف والذي كان لا يزال معه، وأعطى ما كتبه إلى مايو؛ وكان المكتوب هو.."أكيد اللي عمل كده هي سامية.. ألف وأرجع أروح بيتها؟". فأشار إليه مايو محركًا رأسه بالموافقة، ثم أخذ يكتب في الهاتف، وبعدها أعطى ما كتبه إلى رجب، وكان قد كتب.."مش عايز المتصنت يعرف إننا عرفنا إن فيه جهاز تصنت، علشان يكون مدينا الأمان". ثم قام بالالتفاف بالسيارة، وتحرك متجهًا نحو بيت خالة فارس، وقام رجب بعدما التف بالسيارة، بقراءة ما كتبه مايو، وأخذ يقرأ وهو يهزهز رأسه إيجابًا، وعندما رأى فارس سيارتهما وهي تعود أدراجها، ضحك بصوت خافت وقال: "الفيران بلعت الطعم".

أخذ فارس في التحرك بعض الأمتار، ثم وعندما تأكد من أنهما قد ابتعدا، قام بالدوران هو الآخر، وقام بالإسراع حتى رأى سيارتهما وهي تبعد عنه مسافة مائة متر تقريبًا، حينها أخفض من سرعته، وأخذ هاتفه ورنَّ على الرائد سليمان، والذي كان هاتفه لا يزال مغلقًا ولم يُفتح بعد، حينها قال فارس: "مفيش فايدة.. طيب همَّا أكيد معاهم أسلحة، هعمل إيه لو حصل إني اضطريت أواجههم". صمت فارس قليلًا، ثم أخذ يرد على نفسه، وكأنَّ من طرح السؤال السابق هو شخص آخر: "أنا في سبيل إني أقضي على الناس دول.. مستعد أعمل أي حاجة.. حتى لو الحاجة دي، إني أضحي بنفسي". وكأنه قد تحول إلى شخص آخر بعد هذا الكلام، فقد اعتلت على وجهه نظرة الواثق من نفسه، وتمنى أن تسير الخطة كما يريد.

وكانت نور عندما صُدمت من سؤال أمها لها، عما إذا كانت تحب فارسًا أم لا، مستلقية على سريرها، وبعد إتمام أمها لهذا السؤال، قد قامت وجلست واعتدلت في جلستها، حيث كان قد اعتلى الكسوف ملامحها، وزاد احمرار وجهها الأبيض،

والذي كان كالسحاب الناعم الذي يطير في عنان السماء، ولمعت عيناها العسليتان اللتان تشبهان عيون المها، وأخذت تلعب في خصلات شعرها البني السلس، وبدأت ترد على أمها بصوت مرهف هادئ: "بحبه! بحبه إيه يا مامي، أنا وفارس مجرد صحاب".

حينها ضحكت أمها وقالت لها في سخرية بأن ملامحها قد فضحتها، وأنَّ لمعان عينيها قد كشف أمرها، وأنَّ ارتباكها قد أكّد لأمها شعورها، حينها خضعت نور واستسلمت للحقيقة، وقامت بالاعتراف لأمها بحبها لفارس قائلة: "بصراحة يا مامي كده.. بحبه.. وبحبه من زمان كمان". ابتسمت أمها وسألتها عمَّا إذا كان فارس يعلم بحبها له أم لا، فأجابت نور بالنفي، وبأنها لم تخبره بعد، فسألتها أمها: "ليه الانتظار ده كله.. مبتعرفيهوش ليه؟!".

– لمّا اتأكد الأول أنه بيبادلني نفس الشعور

– فارس ولد طيب ومحترم وذكي، نصيحتي ليكي، إوعي تفرطي فيه، اللي زي فارس دول عملة نادرة.

ابتسمت نور بعد سماعها كلمات أمها، وأسرعت نحوها، وأخذت في احتضانها وقالت: "اتأكد بس إنه هيوافقني على مشاعري دي.. وأنا عمري ما هفرّط فيه". فدعت أمُّها اللهَ لها بأن يرزقها السعادة، ثم ذهبت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها، وحينها عادت نور ونامت على السرير فاتحة عينيها، مبتسمة، سعيدة، وظلت تفكر فيما دار من حديث بينها وبين أمها.

وكان فارس لا يزال يسير خلف سيارة مايو ورجب، واللذان كانا يتجهان صوب منزل خالته، وكان فارس مستمرًا في محاولته الاتصال بهاتف الرائد سليمان ولكن دون جدوى، فكان ما يزال مقفلًا، حينها تذكّر فارس اليوم الذي كان يركب فيه

سيارة الرائد سليمان، عندما كان الرائد سليمان يوصله إلى منزله، وأخذ فارس يتذكّر الخطة التي سأله الرائد عنها، فأجابه فارس وقتها: "بص سعادتك أنا عندي فكرة من خلالها هنقدر نعرف ولو بعض المعلومات الصغيرة عن العصابة دي، وطبعًا المعلومات دي هتفيدنا، لأننا أصلًا يعتبر منعرفش حاجة عنهم.. دلوقتي فيه طرف خيط نقدر نمشي عليه، واللي هو العربية البيضاء اللي كانت خالتي حكت لي عنها، واللي كانت بتيجي تقف قدام بيت خالتي كل تلات أو أربع أيام حسب كلامها، وهي بتطلع تاخد الطلب اللي هم بيجيبوه معاهم في الشنطة، وتوصله للعنوان اللي بيبقا مكتوب على الطلب ده.. المهم أكيد اللي في العربية دي، ميعرفش لسه إن خالتي ماتت، يعني أكيد هو لسه هييجي عند بيت خالتي، وأكيد هيحاول يتصل بيها لما يكون قدام بيتها، بس متقلقش سعادتك أنا قافل تيليفونها وهحتفظ بيه عندي في البيت؛ ف إحنا نسيبه ييجي مرة ولا اتنين، وفي المرة التالتة نبدأ ننفذ خطتنا، لأنه أكيد لو جه مرة ولا اتنين وملقاش خالتي في انتظاره زي كل مرة، ولقى تيليفونها مقفول، هيشك إن فيه حاجة غلط بتحصل، فسعادتك مشكورًا هتيجي معايا عند بيت خالتي بعد تلات أيام، وهتجيب معاك ساعتها جهاز تصنّت وهنعمل الآتي.. إحنا هنصحى الصبح ونروح بيت خالتي، ونركن عربياتنا بعيد عن البيت، ونفتح باب بيت خالتي، ونمشي نستخبى وسط الأشجار اللي بعيدة نوعًا ما عن البيت، بحيث نكون مراقبين البيت من بعيد، ونستنى الشخص أو الأشخاص اللي بييجوا في العربية البيضاء – الله أعلم بعددهم بقا – المهم اللي هييجي ده أكيد هيكون مستغرب إن باب البيت مفتوح، ومع ذلك خالتي مبتطلعش، وبرده تيليفونها مقفول؛ وخصوصًا إنه هيكون جه قبل كده وخالتي برده مطلعتلوش، ساعتها بقا الفضول هيقتله، فهيقرر أو يقرروا –لسه منعرفش عدد اللي بييجوا في العربية –

المهم إنه هيقرر يدخل بيت خالتي علشان يشوف إيه اللي بيحصل، ويعرف خالتي ليه مبتطلعش، وساعتها بقا احتمال كبير إن العربية بتاعتهم هتكون فاضية، فأنا هاخد الجهاز اللي حضرتك جبته، وأفتح العربية بطريقتي، وأزرع الجهاز فيها، وبعدين نروح نركب عربية حضرتك، أو عربيتي، أيًا يكن، ونقعد فيها نسمع الحوار اللي ممكن يحصل، لأنه لو أكتر من شخص، أكيد هيدور بينهم حوارات كتير، وبالتالي هنعرف عنهم معلومات، كأسماء مثلًا أو مهمات هيعملوها، ولو كان شخص واحد بس، فممكن يعمل مكالمة مع أي حد، ونعرف برده معلومات من خلال المكالمة دي، وفي حين إنه ياخد باله من الجهاز، عن طريق إنه يشغّل الراديو مثلًا، أو عن طريق المكالمة اللي ممكن تحصل بينه وبين شخص تاني، لأنه طبعًا بسبب الموجات بتاعت الراديو أو الاتصال، هيقدر يعرف إن فيه جهاز تصنّت في المكان، بسبب إن فيه وش هيحصل، ساعتها هو هيفضل يدوّر على الجهاز لحد ما يلاقيه، وطبعًا هيشك إن خالتي هي اللي زرعت الجهاز، وبالتالي خالتي كده بقت خاينة ليهم، يعني لازم تتقتل، وبكده اللي في العربية هيرجع تاني بيت خالتي علشان يقتلها، وطبعًا هيفضل يدور عليها وميلقيش حاجة، فأكيد هو هيوصّل معلومة زي دي للناس الأكبر منه، فبالتالي إحنا هنفضل ماشيين وراه، لحد ما نشوف تحركاتهم، أو نشوف لهم مقر معين بيروحوه، ونحاول نعرف معلومات أكتر عنهم بمشينا وراهم؛ وطبعًا سعادتك مفيش داعي أقول لحضرتك أنه مفيش فايدة من القبض على اللي بييجوا قدام بيت خالتي، لأنه آه هو هيكون معاه في شنطة العربية اللي يدينه، بس بقبضنا عليه إحنا مش هنستفيد حاجة، لأننا بكده مش هنعرف رئيسهم ولا أعدادهم ولا أي حاجة عنهم، لأن ناس زي دي بتبقا مدربة كويس، أنهم في لحظات

زي دي ميتكلموش، يعني لو سعادتك قبضت عليهم، وقررت تحقق معاهم، مش هنستفيد أي حاجة".

وبعد انتهاء فارس من تذكره للحديث الذي دار بينه وبين الرائد سليمان، قال لنفسه بأنَّ الرائد سليمان لم يلتزم بالخطة، وأنَّ عليه أن ينفذ هو الخطة بمفرده، ويظل يراقبهم وحيدًا، خاصة أنه لا يريد أن يشرك اللواء إسلام في هذا الأمر خوفًا عليه، لأنه كان يعتبره بمثابة الأب الذي حرم منه وهو لا يزال صغيرًا؛ وكان عندها مايو ورجب قد وصلا إلى منزل خالة فارس، وقد اكتشفا بأن الباب قد أُغلق، عندها سأل رجب مايو عما سيفعلانه، ولكنه سأل دون كلام، فقط اكتفى بتحريك كفيه، مستفهمًا عن الحركة القادمة لهما، فما كان من مايو إلا أن طلب من رجب الانتظار مشيرًا إليه بيده اليمنى، حتى لا يسمع المتنصت حديثهما، وبعد مضي بعض الوقت تفاجأ فارس من عدم نزولهما من السيارة بعد.

ثم قال مايو لرجب بصوت عالٍ تمكّن فارس من سماعه: "الحكاية دي كلها مقلب.. مش سامية اللي عملت كده، ده حد تاني، ودي كانت خطته من البداية إنه يخلينا نكتشف الجهاز، وإننا نفتكر إن سامية هي اللي عملت كده، وبالتالي نيجي هنا.. معرفش ليه هو عمل كده، ومعرفش هو مين برده، بس كل اللي أعرفه إنه سامعنا دلوقتي.. بس أحب أوصل له رسالة واحدة بس، مش هسيبك تفلت بعملتك دي".

وبعد أن أنهى مايو حديثه، صُدم فارس واحمرَّ وجهه مما قد سمعه، وتساءل عن كيف لمايو أن يكتشف كل ذلك، وكان مايو حينها لا يزال بالكرسي الخلفي، فقام بكسر جهاز التنصت، ثم ذهب إلى الكرسي الأمامي مجددًا، وطلب الرحيلَ من رجب، الذي كان لا يعلم ما يجري من حوله، وقام مايو بإخبار رجب بأنه قد كسر

الجهاز، وأنهما يستطيعان الآن التحدث بأريحية دون خوفٍ من سماع أحدٍ لهما، وكان في هذه الأثناء فارس قد قام بالسير خلفهما، متناسيًا لكل شيء، إلا لمقولة مايو، وأخذ يتساءل عن مدى ذكاء مايو والذي عرف بطريقة ما خطته، وقال محدثًا نفسه: "مفضلش قدامي دلوقتي غير إني أمشي وراهم وأفضل أراقبهم لحد ما أشوفهم هيروحوا فين.. هما أكيد ميعرفوش إني مراقبهم".

وكان مايو لا يزال يتحدث إلى رجب إذ كان يقول: "تعرف إن الشخص اللي حاطط لنا الجهاز في العربية ذكي جدًّا، الشخص ده وصل لحاجة مستحيل غيره يوصل لها، وصل لأسمائنا الوهمية، لأنه سمعنا بننادي بعض بيها، أنا متعجب من قدرته على اللي هو عمله ده.. بس مين الشخص ده.. وليه سامية مكنتش في بيتها.. وهل هو ليه علاقة بسامية ولا لأ.. كل الأسئلة دي، لازم أعرف إجابتها منه هو شخصيًا، عموما هو مراقبنا دلوقتي يا رجب، ماشي ورانا بعربيته أكيد". حينها تعجب رجب من كلام مايو، ثم أخذ يقول: "ماشي ورانا! أنت شفت عربيته؟!".

– مشفتهاش لأ، بس ده مجرد توقع.

– طيب والعمل إيه دلوقتي؟!

– بص يا رجب، روح على القصر المهجور، وهناك لو كان فيه حد ماشي ورانا، يبقا الحد ده هو اللي زرع الجهاز لينا، وساعتها هقتله، بس طبعًا قبل ما أقتله، هعرف منه كل الأجوبة عن أسئلتي.

– بس إحنا اتأمرنا قبل كده إننا منروحش القصر المهجور تاني، لأن المكان ده بدأ يبقا معروف إنه بيتم فيه عمليات غير قانونية.

– مش أحسن ناخده على مكان معروف، بدل ما ناخده على مخبأ من مخابئنا.. وبالتالي المخبأ ده ينكشف لو كان هو على اتصال مع حد.

– طاب وافرض الريس وصل له خبر إننا روحنا القصر المهجور، ساعتها هنعمل إيه؟! ده ممكن يقتلنا لأننا خالفنا أوامره.

– وهو هيعرف منين يا رجب، روح ومتخفش، دي الطريقة الوحيدة اللي نقدر من خلالها نعرف إذا كان اللي حط الجهاز في العربية ماشي ورانا ولا لأ.

ثم سار رجب إلى حيث طلب منه مايو، وكان فارس لا يزال يسير خلفهما دون علم بخطة مايو للإمساك به، وكان أثناء سيره خلفهما لا يزال يحاول الاتصال بهاتف الرائد سليمان، ولكن دون جدوى فالهاتف كان لم يزل مغلقًا.

وكانت نور في هذه الأثناء قد انهت إفطارها وقد قررت أن ترن على فارس وتذكّره بالفرح، كما طلبت منها هند، وقالت لنفسها بأنه من المؤكد أنه قد استيقظ، حيث إنَّ الساعة كانت قد اقتربت من الثانية عشرة ظهرًا، ثم جاءت بهاتفها ورنَّت على فارس، والذي تفاجأ باتصالها، إذ كان منشغلًا بمطاردة مايو ورجب، فأجابها فارس والذي قرر عدم إخبارها بأي شيء مما يحدث، ودار بينهما الحوار التالي..

– نور! خير فيه حاجة؟!

– ازيك يا فارس، أخبارك إيه!

– الحمد لله يا نور، خير يا بنتي، قلقتيني.

– لا متقلقش خير خير، بس إيه الدوشة اللي جنبك دي، أنت في الشارع ولا إيه؟

– لا ده صوت التيليفزيون، أصلي بتفرج على فيلم أجنبي.

– آه.. طيب أنا كنت متصلة علشان أفكّرك بفرح ابن خال هند.. هيكون كمان خمس أيام إن شاء الله، وكنَّا عايزين نروح بعربيتك بقا.. أصله هيكون في الزقازيق.

– خلاص تمام يا نور.. هنبقا نروح بالعربية إن شاء الله.

وبعد أن أكّد فارس لنور موافقته على الذهاب معهم إلى الفرح، سعدت نور بموافقته، ثم قامت بتوديعه وأغلقت الهاتف.. وبعد أن أُغلق الهاتف عاد فارس ليركز على هدفه والذي كان يسير أمامه على بُعد أمتار ليست بالكثيرة.. وعلى الناحية الأخرى كان مايو يتصل بالشخص الذي رنَّ عليه قبل قليل، والذي اضطر مايو حينها أن يغلق الهاتف في وجهه، وقد رد عليه ذلك الشخص وقال: "أنت قفلت الخط ليه يا مايو؟!".

– معلش.. اضطريت أعمل كده، أصل كان فيه دبابير بتزن على خراب عشّها، بس متقلقش أنا هتعامل معاهم، المهم كنت عايز إيه مني؟

– دبابير! لا أسيبك أنا دلوقتي علشان تشوف الدبابير دي، ويبقا تكلمني بعدين.

حينها أغلق مايو الهاتف وطلب من رجب أن يسرع، لأنه لا يطيق الانتظار حتى يرى الشخص الذي وضع لهما جهاز التنصت في السيارة. وبعد مضي بعض الوقت، وجد فارس نفسه قد انحرف عن الطريق الرئيسة، ووجد أنَّ ما حوله من سيارات كثيرة قد اختفى، ولم يتبقَّ منهم سوى سيارة مايو ورجب، والتي تسير أمامه على بعد أمتار، فقرر حينها أن يتأنى، حتى لا يلفت انتباههما إليه.. وأخذ ينظر في تعجب ودهشة إلى الطريق الترابية الذي هو سائر عليها.. فقد كانت هذه الطريق غريبة الأطوار حقًّا؛ فهي مليئة بأشجار الصبار على يمين ويسار الطريق، وهي طريق طويلة للغاية.. لا يُرى آخرها من شدة طولها.. وهي أيضًا هادئة جدًّا؛ لدرجة أنه إذا قُتل بها شخصٌ ما، لن يشعر بذلك أحد، ومع هذا كله، فهي طريقٌ خَرِبة، فالمقابر بجانبها تُعد مدينة ذات طراز رفيع.

تملك الخوف من قلب فارس من هول المنظر، وبدأت ملامح الثقة التي كانت على وجهه تختفي؛ وأخذ يتساءل بصوت هادئ خائف: "هو مايو حس إني وراهم ولا إيه! يمكن يكون عرف إني وراهم، علشان كده سحبني وراه على الطريق الغريب ده، وقرر يقتلني هنا، مايو ده ذكي جدًّا وأنا استهنت بذكاء خصمي من الأول، ودي غلطتي". سكت فارس برهة وأخذ نفسًا عميقًا، ثم استعاد ثقته وقال: "بس فاضل لي فرصة أخيرة.. هما لحد دلوقتي ميعرفوش إني اكتشفت معرفتهم بأني ماشي وراهم.. يعني أكيد هما فاكريني هكون راخي دفاعاتي.. وده هيكون في مصلحتي إنهم يكونوا فاكرين كده.. بس أنا بقا هكون جاهز".

وكان رجب حينها ينظر في المرآة ولكنه لم يجد أيَّ سيارة تتبعه فقال لمايو: "حتى لما بعدنا عن الطريق الرئيسي أنا مش ملاحظ إن فيه عربيات ورانا.. شكل توقعك كان غلط يا مايو". ابتسم مايو ابتسامة خبيثة، كأنه الشيطان نفسه، ونظر إلى رجب نظرة مخيفة وقال: "غلط! طيب إيه رأيك إني متأكد إن فيه حد ماشي ورانا". ارتعد رجب من نظرة مايو وأخذ في تهدئة الموقف وقال: "بس كويس.. أكيد الشخص ده ميعرفش إننا كشفناه، وإننا عاملين له كمين، يعني دلوقتي زمانه مش عامل حسابه لمواجهتنا ليه". فرد مايو على رجب بعد أن أشعل سيجارة وأخذ في تدخينها: "ههههه.. لأ يا عزيزي رجب.. اللي ورانا ده أكيد عرف دلوقتي إننا عرفنا.. وده لأنه أكيد تساءل عن سبب مشينا من الطريق الغريب ده، وخصوصًا بعد معرفتنا بوجود الجهاز في العربية وكسرنا ليه؛ وتلاقيه كمان فاكرنا مكتشفناش معرفته باكتشافنا مراقبته لينا.. وكمان هو عايزنا نكون فاكرين زي ما أنت افتكرت كده، إنه راخي دفاعاته.. لكن هو يا صديقي رجب مش راخي دفاعاته ولا حاجة، ده جاهز لنا،

وجاهز لنا قوي كمان، أنا بدأت أتحمس للموقف؛ أصل بقالي كتير مقتلتش ناس تستاهل وعليها القيمة".

وبعد أن أنهى مايو كلامه، أكمل تدخينه السيجارة، وكان بادٍ على وجهه السرور والحماس الشديدين جرَّاء ما يحدث، وأخذ ينظر إلى نباتات الصبار من زجاج السيارة، وأخذ الوقت في المضي حتى وصل مايو ورجب إلى ذلك القصر المهجور.

فوجد فارس نفسه وبعد أن كان سائرًا في طريق ترابية طويلة، يسير وسط غابة مليئة بالأشجار الطويلة والكثيفة، وكان طول هذه الأشجار ملحوظًا، حيث كانت كناطحات السحاب.. وكأنَّ هذه الغابة كالغابات التي تكون في أفلام الرعب الأجنبية، وكان على مرمى بصر فارس تلك العمدان التي تبرز من وسط الأشجار، والتي كانت لقصر قديم لا يستطيع فارس رؤيته بوضوح بسبب الأشجار العملاقة.

وكان فارس يتحرك بسيارته ببطء شديد وسط تلك الأشجار، والخوف بادٍ على وجهه، والرعب متملكٌ من قلبه، وكانت تلك العمدان تبعد عن فارس مسافة سبعين مترًا تقريبًا.. علم فارس حينها أنَّ تلك العمدان قد تكون لبيت ما وسط هذه الغابة الغريبة، والتي لم يكن لفارس علم بوجود مثلها هنا.. وعلم أيضًا أنَّ مايو ورجبًا قد تعمَّدا القدوم به إلى هنا، لأنهما يريدان قتل المتنصت الذي وضع لهما الجهاز في سيارتهما.. فقرر فارس حينها أن ينزل من سيارته ويخبئها وسط الأشجار، ويسير تجاه ذلك البيت الضخم جدًّا حيث كان يعلم أنَّ مايو ورجبًا سيكونان هناك.

وكان وقتها مايو ورجب قد وصلا بالفعل إلى ذلك القصر، وقد وضعا سيارتهما أمام المدخل الرئيسي، بشكل ملحوظ يراه أي شخص يأتي، وكان هذا القصر غريب الأطوار، فعلى الرغم من أنه ضخم جدًّا ويكفي لأن تعيش به عائلة ضخمة، إلا أنه

كان قديمًا أيضًا، وكأنه دار صراعٌ بينه وبين الزمن؛ فكان هذا القصر مكون من أربعة طوابق، كل طابق منهم كان كملعب كرة قدم بسبب حجمه الهائل، وكان لهذا القصر جهتان، جهة أمامية وهي التي دخل منها مايو ورجب، وجهة خلفية لها بوابة ضخمة هي أيضًا.

سار فارس متخفيًا بين الأشجار، يقدّم خطوة ويؤخِّر الأخرى، إلى أن وصل إلى تلك البوابة الضخمة والتي كأنها بوابة الجحيم.. فتعجب من هول ما رآه، حيث كانت جدران ذلك القصر متآكلة وقديمة.. وكانت له أربعة عمدان طويلة منقسمة على كل ركن من أركانه الأربع، وكانت هذه العمدان منهارة ومتآكلة هي أيضًا، وهي نفسها العمدان التي رآها فارس بارزة من بين الأشجار عندما كان في سيارته.. ثم قام فارس بالدوران حول ذلك القصر، ولكن متخفيًا وسط الأشجار العملاقة والتي تحيط بالقصر من كل جهاته.. حينها علم فارس أنَّ لذلك القصر مدخلين، المدخل الأمامي والذي رأى عنده سيارة مايو ورجب، والمدخل الخلفي والذي كانت الأشجار أكثر كثافة عنده.

عاد فارس من حيث بدأ الدوران أمام المدخل الأمامي.. حينها قال بصوتٍ هامسٍ محدثًا نفسه: "أنا هدخل من الجهة الأمامية؛ وده لأنهم راكنين عربيتهم فيها، علشان أشوفها وأخاف وأتوهم إن هما موجودين في الجهة الأمامية من القصر ومأمنينها كويس، فبالتالي هيعتقدوا إني هخاف وهقوم لافف وداخل من الجهة الخلفية، فأكيد هما مستنيين عند الجهة الخلفية دلوقتي، لكن أنا هفاجئهم وهباغتهم وأدخل من الجهة الأمامية، وهفضل مراقبهم جوة لحد ما أشوف هيعملوا إيه لما ميلاقوش حد جه وراهم من الجهة اللي هما مستنيين إن حد ييجي منها".

وبحرصٍ شديد توجه فارس ناحية الجهة الأمامية، والتي كانت تبعد عنه مسافة عشرين مترًا تقريبًا. وكان مايو ورجب لا يزالان في الطابق الثاني، وحدَّث رجب مايو قائلًا: "لازم ننقسم يا مايو.. أنا أراقب الجهة الأمامية، وأنت تراقب الجهة الخلفية". فابتسم مايو وقال: "لأ.. مينفعش ننقسم.. لأننا منعرفش لسه عدد الأشخاص اللي كانوا في العربية اللي ماشية ورانا، فاعمل حسابك أنه ممكن يكون أكتر من واحد".

– طيب إفرض دلوقتي إحنا راقبنا جهة من الجهتين.. نضمن منين إن اللي جاي ده ميجيش من الجهة المعاكسة. فرد مايو على سؤال رجب والغرور والثقة يعلوان وجهه: "اللي جاي ده طبعًا قبل ما يعمل أي خطوة، هيتفحص الأول القصر، ويشوف جميع نواحيه؛ علشان يعرف المكان المناسب للدخول، وساعتها وبعد ما يشوف عربيتنا، هيقرر الدخول من الجهة الأمامية؛ لأنه هيعتقد إننا عايزين نجره لأنه يدخل من الجهة الخلفية، فبالتالي هيفتكر إننا بنراقب الجهة الخلفية.. فهو هييجي من الجهة الأمامية".

– طيب، إفرض اللي جاي ده كان أكتر من واحد وانقسموا؟ وحد دخل من الجهة الأمامية، والتاني دخل من الجهة الخلفية.

– أكيد لو كانوا أكتر من واحد.. مش هينقسموا يا رجب، لأنهم ميعرفوش المكان اللي هما داخلينه ده، فأكيد مش هيرضوا ينقسموا، زي ما إحنا مرضيناش ننقسم كده برده، لأننا مش عارفين إحنا بنواجه مين.

ثم وبعد أن أنهى مايو حديثه، توجه ناحية الجهة الأمامية من الطابق الثاني، وقام بالوقوف أمام النافذة، وقام بفتحها وبالنظر من خلالها، ولكن بحذر شديد حتى لا يُرى، وأخرج من وراء ظهره مسدسًا، وكان به كاتم للصوت، وقام بتجهيزه منتظرًا رؤية أي شخص قادم، وطلب من رجب والذي كان يقف وراءه، بأن يتأهب هو

الآخر ويجهز سلاحه، وبأن يطلق النار على قدم من يأتي، لأنه لا يريده أن يموت قبل أن يسأله بعض الأسئلة، وقام رجب بفعل ما أملاه عليه مايو، وكان كلاهما ينتظران خلف النافذة، والغدر معتلٍ ملامحهما؛ حيث كانا كالأسدين اللذين يتربصان لفريستيهما.

وكان فارس وقتها قد وصل إلى سور القصر من الجهة الأمامية، وأخذ يسير بجانب السور دون أن يرى النافذة، ودون أن يراه من بالنافذة أيضًا، وأخذ يقترب من البوابة العملاقة حتى يعبر منها، وكانت حينها الساعة الثانية ظهرًا، حيث جعلت الشمس لفارس ظلًّا، وذلك الظل قد رآه مايو ورجب. وبدأت ملامح مايو تتغير من الثقة، إلى السرور والفرحة، بعدما رأى ذلك الظل يقترب من البوابة الأمامية.. ومع كل لحظة كان يقترب فيها الظل أكثر وأكثر من البوابة، كان مايو ورجب يجهزان سلاحيهما صوب البوابة.. وبعد أن أوشك الظل أن يصل؛ فجأة ومن العدم، ظهر ظلٌّ آخر يركض تجاه ذلك الظل الأول.. وقام بسحبه من يده وبالرجوعِ ركضًا بعيدًا عن القصر.. مسرعين جهة الغابة.. حينها نظر مايو إلى رجب في تعجب شديد وحيرة من أمره، وبادله رجب نفس النظرات، حينها طلب مايو من رجب بأن يسرعِ خلفه، وذهب مايو ومن ورائه رجب إلى بوابة الجهة الأمامية، ولكن دون جدوى؛ فلم يرَ أحدًا، ولم يعرف لمن كان الظل الأول، ولا حتى لمن كان الظل الثاني. حينها قال في هدوء شديد: "مين بالضبط اللي إحنا بنواجههم دول!" وبعدها قاما بركوب سيارتهما وانصرفا من هذا المكان.

وكان ذلك الظل الثاني والذي قد أنقذ فارس، لشابٍ عمره كعمر فارس؛ وكان هذا الفتى وأثناء ذهاب فارس إلى القصر، حيث كان يسير فارس ببطء شديد.. قد

خرج لفارس من العدم، من حيث لا يعلم فارس من أين، وقام بسحبه والركض به تجاه سيارة فارس، وطلب من فارس مشيرًا إليه دون كلام، بأن يفتح السيارة، وقام فارس في تعجب وحيرة من أمره، بإطاعة ما يأمره به ذلك الشاب، وقام ذلك الفتى بركوب سيارة فارس بجانبه، وطلب من فارس الرحيل في أسرعِ وقت ممكن، وأيضًا طلب ذلك دون كلام، فقط اكتفى بالإشارة.. فأدار فارس محرك السيارة، وقام بمغادرة ذلك المكان. وأثناء ذهاب فارس وذلك الشاب بالسيارة، قام فارس بسؤال الشاب بعض الأسئلة، عن اسمه، وعمله، وعمَّا كان يفعل في ذلك المكان، ولماذا فعل مع فارس ما فعل، ولكن ذلك الفتى لا يرد على فارس، ظل صامتًا وكأنه لا يمتلك لسانًا، وكانت ملامح ذلك الفتى ملامحًا صافية نقية، لا يبدر منها الشر، وهذا ما جعل فارسًا يشعر بالأمان أثناء إطاعته لأوامره، حيث كان ذلك الفتى متوسط القامة نوعًا ما، قمحي اللون، شعره مجعد وطويل، وكانت له عينان سوداوان، وكان ذلك الشاب هادئًا جدًّا، وكان هدوؤه وبروده من عجب، فكنا نستطيع أن نربي سلحفاة بجواره.

وبعد لحظاتٍ من الصمت قد طالت، عاود فارس أسئلته: "مبتردش عليا ليه؟! قول لي اسمك حتى، ما هو لو هتفضل ساكت كده، أنا هقف وأنزلك". وأخيرًا رد ذلك الشاب بعد طول انتظارٍ من فارس، وكأنَّ أبا الهول قد نطق: "راجي، تقدر تناديني راجي".

– طيب يا راجي أنت شغال إيه، وأنت كنت بتعمل إيه هناك؟! وعملت معايا كده ليه؟

– لو مكنتش عملت معاك كده.. كان زمانك بتتعذب دلوقتي لحد ما تقول لهم كل حاجة هما عايزين يعرفوها، وبعديها هيقتلوك.. أنت كنت هتقع في فخهم من شوية.

– إيه ده! هو أنت تعرفهم؟! صمت راجي مجددًا ولم يُجب، إلى أن سأله فارس: "طيب أنت وجودك هناك كان سببه إيه؟! وازاي أصلًا عرفت إن هما كانوا هيقتلوني؟!".

– بص أنا تعبان فهنام شوية، عايزك تصحيني لما نوصل عند شركة إكسسوارات العربيات، علشان أنا هنزل هناك.

وبعد أن أنهى راجي حديثه، قام بإغماض عينيه وأخذ في النوم، وأصابت فارس الدهشة، مما دفعه إلى التحدث إلى نفسه بصوت لا يستطيع راجي سماعه: "مين ده! وليه أنقذني أصلًا، وهل فعلًا أنا كنت في خطر؟ وهو بيعمل إيه معايا دلوقتي، وازاي جاي له قلب ينام بعد الرعب اللي إحنا عشناه ده، إيه الإنسان الغريب ده!". ومرَّ الوقت سريعًا، وها هو ذا فارس يقوم بإيقاظ راجي قائلًا: "اصحى يا عم أنت، خلاص وصلنا عند الشركة". حينها فتح راجي عينيه والذي كان هادئًا أيضًا في نومه، وأخذ ينظر إلى فارس نظرة بريئة، ثم رسم على وجهه ابتسامة وقال في هدوء: "شكرًا على التوصيلة".

غضب فارس من فعل ذلك الفتى، وقال بصوتٍ مملوءٍ بالتعصب الشديد: "أنا اللي هيجنني أكتر من كل اللي حصل ده، برودك اللي من عجب". حينها ظل راجي مبتسمًا، وكاد يفتح باب السيارة وينزل منها، إلا أنَّ فارسًا باغته بسؤال.. إذ قال مبتسمًا هو الآخر: "فين صاحبك اللي كان معاك؟". فابتسم راجي مجددًا وقال وهو ينزل من السيارة: "طبعًا أنت أكيد استنتجت إني مستحيل أكون رحت المكان الغريب ده من غير عربية.. ومستحيل برده أسيب عربيتي هناك.. فعلشان كده أنت

بتخمّن دلوقتي إن صاحبي كان معايا.. فعلًا صاحبي كان معايا وزمانه جايب العربية وجاي دلوقتي".

وعندها كان راجي قد نزل من السيارة وأغلق بابها خلفه، ثم نزل فارس هو الآخر والتف حول السيارة، وقام بالتوجه نحو راجي وقال: "مش ناوي برده تعرفني حقيقتك". وكاد راجي يجيبه، ولكن منعته من ذلك صرخة لامرأة صوتها قادم من البيت المقابل للشركة الواقفين أمامها، حينها تعجب كلاهما وأسرعا تجاه المكان القادم منه تلك الصرخة، فوجدا بابَ البيت مفتوحًا على مصراعيه.. فقاما بالدخول.. ووجدا أنَّ صاحبة تلك الصرخة، هي سيدة تبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا.. ووجداها واقفة على يمينها رجل يرتدي بذلة رسمية وكأنه محامٍ أو ما شابه ذلك.. وعلى يسارها رجل في الثلاثينات من عمره ويرتدي سروالًا وقميصًا.

وكان هؤلاء الثلاثة ناظرين إلى شيءٍ ما وفي تعجب شديد؛ وعندما نظر فارس وراجي إلى ما كان ينظر إليه هؤلاء الثلاثة؛ وجدا رجلًا مستلقٍ على منضدة طويلة، وقد رُبط جسمه كله بحبل حول تلك المنضدة.. وكان هذا الشخص موضوعًا على المنضدة على بطنه، وكان الدمُ قد عمَّ أرجاءَ المكان، حينها أسرع راجي تجاه ذلك الشخص وقام بفحص نبضه.. وطلب فارس من هؤلاء الثلاثة عدم الاقتراب من الشخص المضروب على رأسه.. وبعد أن انتهى راجي من فحص النبض، نظر إلى فارس وقال: "اتصل بالشرطة، الراجل ده مقتول من تلات ساعات تقريبًا".

وفجأة أتى إشعار على هاتف فارس، مخبرًا إياه بأنَّ رقمَ الرائد سليمان متاح الآن، وأنَّ بإمكان فارس الاتصال به، فقام فارس بالاتصال بالرائد سيلمان، وعندما أجاب الرائد، أخذ في سؤال فارس مباشرة عما فعله، ولكنَّ فارسًا قد أخبره بأمر الجريمة، وأخبره عن العنوان، فأخبر فارسًا بقدومه على الفور.. وطلب فارس من

الجميع بما فيهم راجي نفسه، أن يخرجوا من المكان، وأن ينتظروا خارج البيت حتى تأتي الشرطة.. وقد وافق راجي.. وطلب هو الآخر من الآخرين أن يخرجوا.

وبعد مضي ما يقرب من نصف ساعة، وصل الرائد سليمان ومعه طاقم العمل.. لكي يجدوا فارسًا وراجيًا والآخرين، منتظرين أمام ذلك المنزل.. ونزل الرائد سليمان من السيارة.. وذهب تجاه فارس والذي كاد الغضب يقتله، بسبب أنَّ الرائد كان مُغلقًا هاتفه.. ولكن تمكَّن فارس من كظم غيظه.. وأخذ يحدث الرائد فارسًا ويقول: "إيه اللي حصل بالضبط.. احكِ لي".

– كنت واقف بتكلم أنا وراجي.. وفجأة سمعنا صوت صرخة جاية من البيت ده.. جينا على هنا، فلقينا البيت مفتوح، والتلاتة دول محاوطين واحد ميت على ترابيزة.

– راجي! مين راجي؟!

– واحد صاحبي سعادتك.

حينها أصرَّ فارسُ على عدم إخبار الرائد سليمان أيَّ شيءٍ مما حدث معه، وألَّا يخبره بأمر مايو ورجب، ولا بأمر إنقاذ راجي له.. ثم تبادل كلٌ من راجي والرائد النظرات الغريبة.. وكأنَّ كلًا منهما لا يثق في الآخر.. ثم أتبع الرائد حديثه: "طيب.. يلَّه ندخل البيت علشان البحث الجنائي يشوف شغله.. وأنا كمان أشوف شغلي". وبعدها تحركوا جميعًا تجاه باب المنزل، وبعد أن دخلوا منه، ذهب فريق البحث الجنائي وأيضًا الطبيب الشرعي، تجاه الجثة وأخذوا يتفحصونها.

وأخذ الرائد سليمان في سؤال الثلاثة الذين وجِدوا إلى جانب الجثة: "عايز أعرف بالتفصيل الممل إيه اللي حصل بالضبط، وعايز أعرف أسماءكم، ووظايفكم، والصلة اللي بتربطكم بالضحية.. ومين أول واحد فيكم اكتشف الجثة؟". فرد الرجل

الذي كان يرتدي قميصًا: "أنا محمود رضا أحمد.. أنا أخو عماد رضا أحمد، القتيل.. أنا عندي تلاتين سنة.. وهو الله يرحمه عنده تلاتة وتلاتين سنة.. أنا شغال مع أخويا عماد في المصنع بتاعه.. هو صاحب المصنع وأنا موظف هناك". وبعد أن انتهى محمود من كلامه، تحدثت المرأة صاحبة الصرخة التي أتت بفارس وراجي، وأخذت تقول: "أنا فاطمة الزهراء منير.. تمانية وعشرين سنة.. زوجة القتيل.. وربة منزل.. مش شغالة يعني". ثم قال الشخص الأخير: "أنا محسن خالد أسامة.. خمسة وأربعين سنة.. وكيل أعمال الأستاذ عماد الله يرحمه".

وبينما كان الثلاثة يتحدثون ويخبرون الرائد بأسمائهم ووظائفهم والعلاقة التي تربطهم بالضحية عماد.. كان راجي وفارس يسيران في أرجاء المنزل ذي الطابق الواحد والصالة الواسعة، والتي كانت مسرح الجريمة.. ثم جلس راجي على الأرض وقام بالتربُّع في جلسته، ووضع يده على ذقنه، وأخذ ينغمس في التفكير.. وقام فارس بإخراج الجنيه من جيبه، وأخذ يلفه بين أصابعه.. تعجب الآخرون مما رأوه من فارس وراجي، فبدت على ملامحهم الدهشة جراء ما فعلاه.

وبعد أن أنهى الثلاثة حديثهم.. طلب الرائد منهم أن يقصوا عليه كيفية إيجادهم للجثة.. حينها تكلم محسن وكيل أعمال الضحية وقال: "كان فيه ميعاد بيني وبين الأستاذ عماد، الساعة تلاتة ونص.. وفعلًا جيت هنا على الساعة تلاتة ونص كده.. وشوفت الأستاذة فاطمة و الأستاذ محمود لما كانوا جايين سوى من على أول الشارع، فاستنيتهم ندخل كلنا مع بعض.. وبعد ما وصلوا عندي.. مشينا كلنا تجاه البيت علشان نلاقي الباب مفتوح.. وفاطمة تتفاجأ من إن الباب مفتوح.. فهي تدخل وأفضل أنا ومحمود برة.. وفجأة لقيناها صرّخت، فدخلنا جري على صرختها.. علشان نندهش بأن سبب صرختها هو عماد اللي مقتول بالطريقة

البشعة دي؛ ومفيش كام ثانية لقينا الاتنين الأغراب دول جم وبدأوا يبعدونا عن الجثة وعن الترابيزة، وهما اللي اتصلوا بيكم وبلَّغوكم".

ثم وبعد أن أنهى محسن حديثه، دار الرائد سليمان بناظريه تجاه فاطمة ومحمود، وأخذ في سؤالهما عما كانا يفعلانه سوية أثناء قدومهما إلى المنزل.. فأجابت فاطمة: "أنا كنت مع صاحبتي نادية في بيتها بقالي حوالي ساعتين ونص تقريبًا.. ولما نزلت من عندها جيت لحد هنا مشي؛ لأن بيتها يبعد عن هنا خمس دقايق مشي.. وقابلت محمود بالصدفة على أول الشارع، وقال لي إنه جاي عندنا.. فمشينا سوى لحد ما قابلنا الأستاذ محسن مستنينا، فمشينا كلنا إحنا التلاتة لحد ما وصلنا عند البيت هنا.. فتفاجأنا بأن الباب مفتوح.. ودخلت أنا وفضلوا هما برة.. ولما دخلت لقيت عماد على الترابيزة مربوط فيها، والدم في كل حتة على الترابيزة وعلى الأرض.. فمن صدمتي صرَّخت.. وكلهم جم على صرختي.. محمود والأستاذ عماد، وحتى الاتنين اللي هناك دول".

أنهت فاطمة حديثها والذي طال.. ثم توجه الرائد سليمان بحديثه إلى محمود وطلب منه أن يحكي له ما حدث.. فبدأ محمود في التكلم: "حضرتك أنا أخويا كان معرفني إن وكيل أعماله الأستاذ محسن جاي علشان ينسق مع أخويا كذا حاجة كده.. وأخويا كان طالب مني إني أحضر الجلسة دي، علشان أبدي رأيي في الموضوع.. وفعلًا زي ما فاطمة قالت لحضرتك، أنا قابلتها صدفة على أول الشارع وجينا على هنا سوى.. فلقينا الأستاذ محسن مستني على بعد عشرين متر من البيت كده مثلًا، وقام جه معانا لحد ما وصلنا للبيت، فتفاجأنا كلنا إن الباب مفتوح، ففاطمة دخلت تشوف فيه إيه، وأنا والأستاذ محسن فضلنا برة.. لكن جرينا على

جوة لما سمعناها بتصرَّخ.. ولقينا عماد أخويا زي ما حضرتك شايف كده.. وبعدها جه الشابين دول وفحص واحد منهم الجثة.. والتاني منعنا إننا نقرب منها".

وبعد انتهاء محمود من حديثه توجه الرائد سليمان إلى راجي، حيث كان لا يزال جالسًا على الأرض، وطلب من راجي بأن يقف، فوقف راجي بكل هدوء، ثم أخذ الرائد سليمان في سؤاله: "أنت اسمك إيه بالكامل، وشغّال إيه بالضبط؟". حينها بدت على فارس ملامح السعادة، وكان يحدث نفسه بأنه أخيرًا سيعلم حقيقة راجي.. فرد راجي على الرائد سليمان بكل ثقة: "أنا راجي فؤاد المنزلاوي.. عشرين سنة.. طالب في الفرقة التانية كلية حقوق.. جامعة القاهرة".

صُعق فارس مما سمعه من راجي، حيث كان يعلم بأنه كاذب، لأنه لم يرَ راجيًا قط في الجامعة؛ حرك الرائد سليمان رأسه مشيرًا بأنه قد فهم، وقال أثناء ذلك: "آه تمام كده، أصل فارس كان بيقول إنكم صحاب، وأنا مشفتكش معاه في يوم الجريمة اللي حصلت في الجامعة".

– منا كنت غايب يومها.

– تمام تمام.. متلمسش حاجة في المكان بقا علشان متبوظش مسرح الجريمة يا راجي.

– تمام سعادتك..

قالها راجي في ابتسامة هادئة، وبعدها تركه الرائد سليمان، فعاود راجي جلوسه مجددًا وقام بالتربع كما كان.

توجه الرائد صوب الجثة حيث ناداه أحد الأشخاص من فريق البحث الجنائي وقال: "فيه كذا حاجة غريبة سعادتك".. فتعجَّب الرائد وسأل: "غريبة؟! غريبة ازاي!".. فأردف ذلك الشخص يقول: "الحاجة الأولى إننا لقينا آثار خدش على

كالون الباب.. معنى كده إنه آثار اقتحام.. والتانية بركة المية اللي على الأرض دي.. وتالت حاجة الحبل الموجود في مسرح الجريمة، والحبل ده مربوط في كورة بولينج حديد.. وهيا الكورة اللي مستخدمة في جريمة القتل.. وآخر حاجة بقا الكورة دي ملقيناش عليها أي بصمات نهائي".

تعجب الرائد سليمان مما قد سمعه من أحد أفراد فريق البحث الجنائي، ثم قام بالالتفات إلى الطبيب الشرعي والذي كان مشغولًا في فحص الجثة وقال له: "إيه هو زمن الوفاة بالضبط؟".. فأجابه الطبيب بأن الزمن المقدر للوفاة يتراوح ما بين الثانية عشرة إلى الواحدة ظهرًا.. فأجاب الرائد: "يعني من أربع ساعات تقريبًا".. ثم توجه الرائد نحو بركة الماء تلك، والتي أخبره بأمرها فريق البحث الجنائي.

وضع الرائد يده عليها، ثم صمت قليلًا يفكر، ثم نظر إلى الحبل المربوط في الكرة الحديدية، وفي هدوء شديد قام من مكانه مبتسمًا، ثم أخذ يقول: "أنا عرفت الطريقة اللي المجرم قتل بيها الضحية، وعرفت السر وراء ربط المجرم للضحية في الترابيزة".. تعجب حينذاك فارس وراجي والحاضرون، وفي إنصاتٍ وتركيزٍ شديدين، أخذوا في الاستماع لما سيقوله الرائد سليمان، والذي بدأ سرده: "الطريقة كالآتي.. المجرم شخص من التلاتة دول.. شخص الضحية تعرفه كويس.. الشخص ده جه هنا ودخل وقعد مع الضحية عماد شوية.. وفجأة غدر بعماد وقام مكتفه وربطه في الترابيزة، بحيث ميعرفش يتحرك نهائي.. وبعد كده جاب كورة البولينج الحديدية.. وقام رابطها في حبل هو اشتراه، أو كان جايبه معاه مش مهم، المهم إنه ربط الحبل في كرة البولينج الحديد عن طريق إنه دخَّل الحبل في إحدى فتحات الكورة التلاتة، وقام مطلعها من الفتحة اللي جنبها، وعمل عقدة بالحبل في الكورة.. وبعد كده قام

رافع الكورة من فوق مروحة السقف، بحيث تفضل الكورة ملامسة لريشة المروحة، وهو هيكون شاددها بالحبل.. فلو ساب الحبل في أي لحظة، الكورة دي هتقع من ارتفاع اتنين متر تقريبًا، وطبعًا زي ما إحنا عارفين.. الكورة دي وزنها تقيل نوعًا ما، يعني لو وقعت من الارتفاع ده على رأس حد.. وخصوصًا من أعلى رأسه من وراء.. هتكون كفيلة إن هيا تموته.

فالمجرم عمل إيه بقا بالضبط، قام بعد ما كتِّف الضحية وربطه كويس في الترابيزة، راح واشترى لوح تلج كبير، وجه رفع الكورة من فوق المروحة زي ما أنا قلت من حبة، وقام لافف الحبل حولين لوح التلج".

سكت الرائد سليمان برهة، وأثناء سكوته نظر راجي إلى فارس وبادله فارس النظرة، وعلى وجه كل منهما علامة استفهام.. ثم أكمل الرائد والذي قام بأخذ نفسٍ عميق: "بعد طبعًا لما المجرم جهز حيلة المروحة دي، جاب الضحية عماد وحاطه تحت المروحة، بحيث لو الكورة الحديدية المربوطة في الحبل وقعت، تقع على رأس الضحية اللي مربوط في الترابيزة ومحطوط عليها على بطنه.. وطبعًا اللي كان مانع الكورة من الوقوع، إنها مربوطة بحبل، والحبل ده ملفوف حولين لوح التلج الكبير، وطبعًا المجرم بعد ما جهز كل حاجة.. قام خدش كالون الباب.. بحيث يبين إنه اقتحام بغرض السرقة، وصادف إن عماد شاف الحرامي، قام الحرامي ضربه بالكورة الحديد على دماغه وهرب.. والمجرم أكيد قال إننا لما نشوف الحبل في مسرح الجريمة مربوط في الكورة، مش هنفهم السر وراء كده.. المهم المجرم بعد ما جهز خطته مشي، وبعد ما التلج داب سابلنا أثر بقعة المية، واللي لما أنا حسست عليها لقيتها فيها سنّة برودة.. ففهمت لغز مكعب التلج، وطبعا الحبل اللي كان ملفوف حولين لوح التلج، اتفك بعد ذوبان التلج، والكورة نزلت على دماغ عماد وقتلته".

وبعد انتهاء الرائد من حديثه تعجب الحاضرون من استنتاجه، وأخذوا جميعًا ينظرون إليه في حيرة، وساد الصمت بينهم للحظات، إلى أن سأل محمود الرائدَ وقال: "طيب مين بقا سعادتك الجاني؟". فابتسم الرائد سليمان، وقال بكل هدوءٍ وثقة: "الجاني أكيد هو اللي اشترى لوح التلج الكبير، وأكيد هو اشتراه من أقرب محل من البيت ده، علشان ينفذ خطته في أسرع وقت ممكن، لأنه أكيد مكنش جاي بلوح التلج معاه، لأنه لو كان عمل كده، كان الضحية عماد هيستغرب من وجود لوح تلج معاه، فهيشك فيه". ثم صمت الرائد سليمان قليلًا، وبعدها نظر إلى أحد أفراد التحقيق الواقفين، وقال له: "محمد.. روح شوفلي أقرب محل بيبيع مكعبات تلج كبيرة.. وجيب صاحبه وتعالَ".

وبعد مضي دقائق عاد محمد وفي يده رجل يبلغ من العمر عتيًا، وقال محمدٌ للرائد: "سعادتك عم بلال ده هو الوحيد في المنطقة اللي بيبيع ألواح تلج".. فتوجه الرائد سليمان إلى المدعو بلال وقام بالتحدث إليه قائلًا: "بص يا عم بلال، دلوقتي حد من التلاتة دول.. جالك المحل واشترى أي مكعب تلج من عندك؟". فأخذ بلال يقلب النظر في الثلاثة الذين أشار إليهم الرائد سليمان عندما كان يتحدث، وبعد أن أمسك نظارته وظل يحرك فيها، حتى يتمكن من الرؤية بوضوح، أشار إلى محمود وقال: "الراجل ده جه من فترة مش متذكر امتى بالضبط.. واشترى مني لوح تلج كبير.. وحتى نسي ياخد الباقي".

ثم وبعد انتهاء المدعو بلال من حديثه شكره الرائد سليمان وطلب منه الانصراف، وبعدها توجه الرائد سليمان إلى محمود ناظرًا له بكل مكر وقال: "أخوك! تقتل أخوك يا أبو حنفي! تقدر تفسر لي قتلته ليه".. حينها انهار محمود أرضًا والدموع تملأ عينيه، وأخذ يتكلم وهو يبكي، وكان يقول: "حضرتك أخويا

مكنش بيحبني، كان بيعاملني زي العبد بالضبط، وده خلاني أكرهه وأقرر إني أقتله". وبعد أن أنهى محمود حديثه طلب الرائد سليمان من أفراد الأمن أن يصطحبوا محمودًا إلى قسم الشرطة لاستكمال التحقيق، وطلب من أفراد البحث الجنائي تجهيز الجثة، حتى يتم نقلها إلى المشرحة لاكتشاف كلِّ جديد.

وبينما كان كلُّ ذلك يحدث، كاد فارس والذي كانت دهشته واضحة، يتكلم.. ولكن سبقه إلى ذلك راجي، حيث قال: "الأستاذ محمود مش القاتل يا حضرة الضابط" حينها دُهش الرائد والحاضرون مما سمعوا، وتعجب فارس لأن راجيًا قال ما كان فارس يريد قوله، ثم توجه الرائد إلى راجي والذي كان ما زال جالسًا على الأرض، وأخذ يقول له: "أنت بتقول إيه! أمال مين سعادتك اللي قاتل؟! وتفسر بإيه معاليك اعتراف محمود بالجريمة؟". وقف راجي من مكانه، ثم أخذ في تنفس بعض الهواء، ثم قال: "استنتاج حضرتك اللي استنتجته من شوية، فيه بعض الغلطات والنواقص، زي إيه مثلًا، زي معقول الضحية لما المجرم يسيبه مربوط على الترابيزة، هيفضل ساكن كده ميفضلش يهزهز في الترابيزة لحد ما تقع بيه.. ولو فرضنا إنه معرفش يهزهزها، هل حضرتك تعرف إن وزن كورة البولينج دي، ستّاشر باوند، يعني سبعة كيلو وربع تقريبًا.. أقصد أقول إيه بكلامي ده.. أقصد أقول إن مكعب التلج لما يدوب، أكيد وزنه هيفضل يقل تدريجيًا.. لحد لما يبقا أقل من سبعة كيلو وربع بحاجات بسيطة.. ساعتها بقا وزن كورة البولينج هيغلب وزن مكعب التلج، فهتقوم كورة البولينج ساحبة مكعب التلج وتنزل بهدوء شديد جدًّا.. يعني السرعة اللي هتنزل بيها الكورة الحديد، مش هتكون كافية إنها تقتل الأستاذ عماد.. والدليل على كده إن لو كان الكورة نزلت وسحبت التلج معاها، كان زمان التلج اتكسر إلى نصين أو أربع أرباع حتى.. وده يتوقف على حسب سرعة سقوط

مكعب التلج والكورة.. أقصد يعني إن حجم القِطَع اللي هتتكسر من التلج هيبقا كبير.. يعني مش هتلحق تدوب وتنشف بسرعة.. يعني كنا هنلاقي أكتر من بقعة مياه في المكان.. إلا إننا ملقيناش غير بقعة واحدة بس.. وده يدل على إن المكعب التلجي متحركش من مكانه لحد ما داب كله.. يعني اللي أنا عايز أوصله لسعادتك، إن المكعب التلجي مستُخدمش في جريمة القتل أصلًا".

صمت راجي قليلًا، وأخذ ينظر في عيني الرائد سليمان، والذي أصابته الدهشة والذهول، وقال محدثًا نفسه بصوتٍ لم يستطع أحدٌ سماعه: "فارس جديد". ومن ثَمَّ تحدث الرائد إلى راجي: "طيب يا راجي كلامك مقنع فعلًا، لكن تفسر بإيه اعتراف محمود بالجريمة، وشهادة عم بلال إن محمود هو اللي اشترى مكعب التلج؟!".

– حضرتك محمود مستفدش أي حاجة من طريقة القتل دي.. أقصد يعني لو كان هو فعلًا القاتل واستخدم طريقة القتل دي، فهو أكيد من خلالها هيكون عمل لنفسه دليل برآءة، إلا إن محمود اعترف فورًا لما حضرتك وجهت له التهمة.. واللي يخلي محمود يعترف بجريمة معملهاش.. فده يدل على إنه عارف الجاني الحقيقي وبيتستر عليه؛ وأكيد يعني محمود مش هيدافع عن واحد ميعرفوش زي الأستاذ محسن، أكيد هيدافع عن واحدة زي فاطمة مثلًا، مش كده يا فاطمة؟!

ثم صرخ محمود بعلو صوته في وجه راجي وقال: "لأ.. أنا اللي قتلت أخويا.. فاطمة معملتش حاجة.. أنا اللي قتلته.. أنا اللي قتلته". بكت فاطمة، وتساقطت دموعها، الدمعة تلو الأخرى، وأخذت تتحدث والدموع تملأ عينيها: "كفاية يا محمود.. مينفعش تشيل ذنب أنت معملتوش.. حتى لو أنت عايز كده، أنا مش هرضى أشوفك بتشيل جريمة أنا اللي عملتها، أيوة يا حضرة الضابط.. كلام الولد

ده صح.. أنا اللي قتلت جوزي". ثم سقط محمود أرضًا وأخذ يقول: "ليه يا فاطمة.. اعترفتي ليه يا فاطمة".

توجه الرائد سليمان إلى محمود وسأله: "ليه عملت كده؟ ليه دافعت عنها؟ وبعدين عرفت ازاي إن فاطمة هيا اللي قتلت أخوك؟ فقررت إنك تحميها". مسح محمود دموعه بيديه، ثم أجاب: "الساعة اتناشر وربع أو اتناشر ونص كده.. جيت البيت علشان أقابل عماد أخويا وأقعد معاه ونتكلم شوية قبل ما الأستاذ محسن ييجي، لكن لما جيت لقيت صوت فاطمة عالي وبتزعق في عماد.. صراحة الفضول قتلني خلاني أبص من الشباك، فلما بصيت لقيت فاطمة مسكت كورة البولينج بتاعت عماد، واللي كان بيعزها خالص؛ لأنه كان بيحب البولينج جدًّا.. وضَرَبِت عماد على رأسه من وراء لما كان مديها ظهره.. وفجأة لقيت عماد وقع على الأرض.. وفاطمة بتمسح بصماتها من على الكورة.. وجِريت غيّرِت هدومها اللي غرقانة دم.. وفتَحِت باب الشقة، وساعتها أنا استخبيت وراء البيت من غير ما هيا تشوفني، أو حتى تعرف إني شفتها.. وطِلْعِت من البيت وفي ايدها كيس كبير، أنا استنتجت إنه الكيس اللي فيه هدومها المتغرقة دم، وهي سابت الباب وراها مفتوح، أنا دخلت جري لقيت عماد خلاص مات.. ف لأني قبل ما عماد يتجوز فاطمة، أنا كنت بحبها.. بس كان حب من طرف واحد.. قررت أغير في مسرح الجريمة علشان أحميها.. ففكرت في فكرة مكعب التلج دي.. فقمت جايب أخويا ورابطه على الترابيزة، وبعديها خدشت كالون الباب، علشان يبان إنه حرامي عادي، وبعدين روحت اشتريت حبل ومكعب تلج.. وجيت ربطت الحبل في الكورة الحديد.. وسبت المكعب على الأرض لحد ما يدوب.. علشان التحقيق يفتكر إن المكعب ده ليه علاقة بجريمة القتل.. وبعدين مشيت.. وسيبت الباب ورايا مفتوح، علشان لو

حرامي دخل مثلًا يسيب بصماته في المكان.. وأكيد لو حرامي دخل يسرق مثلًا هيشوف الجثة هيتفزع ويمشي من غير ما يمسح بصماته، فبكده تبعد التهمة عن فاطمة، ده اللي كان في نيتي من الأول، بس لما لقيت حضرتك بتتهمني أنا، قلت أعترف بقا كأني أنا المجرم، علشان فاطمة ميتقبضش عليها، المهم بعد ما طلعت من البيت وجهزت كل حاجة، فضلت قاعد على القهوة اللي على أول الشارع، وأول ما لقيت فاطمة جاية من بعيد، جريت عليها وعملت نفسي إني لسه جاي أنا كمان وإني قابلتها صدفة".

صمت الجميع بعد ما قاله محمود، والذي كان صوته مليئًا بالحزن والأسى؛ ثم أضافت فاطمة: "فعلًا اللي قاله محمود حصل بالضبط.. أنا مبخلفش، وجوزي عماد كل شوية يعايرني بكده، وأنا أقول له حرام عليك، دي حاجة إلاهية مش بإيدي، بطّل تفضل تعايرني، لكن هو كل شوية كان بيعايرني، لحد النهارده اتخانقنا، ففضل يعايرني بكده، فقمت ضربته بكورة البولينج واللي هو كان بيحبها جدًّا، بس مكنش نيتي إني أقتله والله، ولما لقيته ساح في دمه، خفت واتخضيت من اللي حصل، فبعديها غيرت هدومي، وأخدت هدومي المتغرقة دم ورحت رميتها بعيد عن هنا، وبعدين رحت على صاحبتي.. وكنت عايزة إن الأستاذ محسن يلاقي هو الجثة، ولما يلاقيها مكنش أنا موجودة في المكان، وده لأني كنت عارفة إنه جاي يقابل جوزي.. المهم كنت عايزاه يلاقي هو الجثة.. ويكون أول واحد اكتشفها.. لكن أنا خفت صراحة.. فاضطريت أرجع.. وبالصدفة قابلت الأستاذ محسن، ومن قبليه محمود.. واللي كنت فاكرة إني قابلته صدفة.. لكن هو كان عامل ده كله علشاني.. مع إني لسه أول مرة أعرف إنه كان بيحبني، وإنه ممكن يضحي بنفسه علشاني.. ده أنا حتى اتصدمت لما لقيت كورة البولينج مربوط فيها حبل.. ولما لقيت عماد مربوط

في الترابيزة، وكمان لما شفت المياه اللي على الأرض.. بس كان ساعتها لازم أصرَّخ أول ما أدخل البيت، علشان ميستغربوش بعد كده أنا صرخت متأخر ليه.. واتصدمت أكتر لما محمود اعترف على نفسه.. ساعتها فهمت إنه عارف إني أنا اللي عملت كده، وإنه كان بيدافع عني.. تفضل يا حضرة الضابط أقبض عليا.. أنا ندمانة إني عملت كده.. بس مكنش قصدي إنها توصل للقتل".

قام الرائد سليمان بأمر أفراد الشرطة باصطحابها واصطحاب محمود إلى مركز الشرطة، حتى يستكملوا التحقيق، وانصرف الجميع من المنزل؛ وخرج الرائد برفقة فارس وراجي، حيث وقف ثلاثتهم خارج المنزل، وظلَّ فارس والرائد ينظران إلى راجي في تعجب شديد ودهشة من شدة ذكائه.. ثم توجه الرائد سليمان إلى فارس وانفرد به سائلًا إياه: "إيه يبني عملت إيه.. حد من أفراد العصابة جه؟". فأخذ فارس يكظم غيظه، حتى يتمكن من الإجابة، ولما استطاع فعل ذلك، أجاب: "لأ.. محدش جه.. بس حضرتك كنت قافل تيليفونك ليه؟!

– "معلش أصله فصل شحن مني.

– فصل شحن! عمومًا أنا فضلت مستني كتير قدام بيت خالتي.. ومع ذلك محدش جه برده.

– وفين جهاز التصنت طيب؟

– ضاع مني من اللبخة اللي حصلت بسبب الجريمة دي.

وكان فارس والرائد مشغولَيْن بالحديث، حتى التفت فارس وراءه، ولكن لم يجد راجيًا، بل رأى يد راجي فقط وهي تقفل الباب الأمامي لسيارة سوداء.. فاندهش فارس عندما رأى راجيًا يركب هذه السيارة، لأنه استنكر رحيل راجي المفاجئ، قبل أن يعرف منه أكثر عن الذي حصل عند القصر؛ وسأله الرائد سليمان عن سبب

دهشته، ولكنَّ فارسًا قال بأنه لا يوجد شيء.. فأخذ الرائد بسؤاله عن راجي واختفائه المفاجئ، فأجاب فارس بأنه رحل لأنه مشغولٌ جدًّا.. فأخبر الرائدُ فارسًا بأنه سيذهب هو الآخر لإكمال التحقيق في مقتل عماد، فودعه فارس وانصرف هو أيضًا، و ذهب إلى سيارته وركبها وقام بمغادرة المكان متجهًا نحو منزله، وأثناء الطريق ظل يفكر في مايو ورجب، وفي ذلك الشخص الغريب الذي يدعو نفسه راجيًا.. وتساءلَ عن سبب إنقاذه له.. وعن كيف له أن علم بأمر ذلك القصر.. وظل فارس يفكر، إلى أن وصل إلى منزله، وكانت حينها السابعة ليلًا.. فانطرح فارس على فراشه تَعِبا.. وغطَّ في نومٍ عميق.

******

الفصل السابع

يمرُّ على حادثة القصر أسبوعٌ كاملٌ إلا يومين، وتحديدًا في الثانية ظهرًا، وبينما كان شادي نائمًا على سريره، دخل عليه أخوه لكي يوقظه من نومه، ففتح الباب بطريقة قوية، وكأنه يريد أن يكسره، ونادى أخاه بصوتٍ غليظٍ مرتفع، كادت طبلة أذن شادي تنفجر جرَّاء ذلك الصوت: "شادي.. شادي، اصحى يا شادي". فتح شادي عينيه الخضراوين.. وأخذ يزيلُ في دهشةٍ النومَ من عينيه، ثم قال مجيبًا أخاه بصوتٍ هادئٍ به شيءٌ من البحَّة: "إيه يا خالد! في إيه؟!". فرد عليه خالد وهو يستدير لكي يخرج من الغرفة: "أنت ناوي تفضل نايم طول اليوم ولا إيه! ده أنت حتى مروحتش الجامعة النهارده". حينها خالد قد خرج بالفعل من الغرفة، وأخذ شادي يستيقظ من سريره ويقوم ببعض الحركات التي تساعده على تليين عضلاته.. وتمغَّطَ بجسده منعشًا إياه.. ثم ذهب وغسَّل وجهه وأفاق من نومه أخيرًا.

سار إلى أخيه والذي كان جالسًا في شرفة المنزل يحتسي بعضًا من القهوة، وممسكًا جريدة الصباح يتأملها.. وقام شادي بسؤاله: "هي ماما لسه مجاتش يا خالد؟". فوضع خالد فنجان القهوة من يده على الطاولة التي كانت بجواره.. ثم رمق شادي بعينيه.. خاف شادي من نظرة أخيه إليه، ثم ردَّ على شادي بذلك الصوت القاسي: "لأ.. لسه". حينها دار شادي بجسده خارجًا من الشرفة مقررًا الذهاب إلى غرفته، حتى يبدِّل ملابسه؛ لكي يذهب إلى أصدقائه؛ حتى يتوجهوا إلى الفرح الذي أخبرتهم عنه هند.. أوقفه خالدٌ بينما كاد يخرج من الشرفة، قائلًا له: "وراك إيه

النهارده؟". التفت شادي مجددًا ونظر إلى أخيه وأجابه: "أنا رايح الزقازيق.. فيه فرح أنا معزوم عليه".

– هتروح أنت ومين.. وهتروحوا ازاي؟

– هروح أنا وصحابي بعربية فارس صاحبنا.

– عايز فلوس طيب؟

أصابه الخجل بينما كان يجيب: "آه ياريت، أصل ماما لسه مجاتش من المدرسة، وأنا هنزل دلوقتي ومعيش فلوس خالص". قام خالد وبعد أن أنهى شادي حديثه، بإخراج محفظته من جيبه، وأخرج منها مجموعة من الورقات النقدية من فئة المائتي جنيه، وقام بإعطائها إلى شادي وأخبره: "دول ألفين جنيه.. خليهم معاك"، قام شادي وبعد أن أخذ المال من أخيه وكتمَ فرحته بداخله، بشكر أخيه خالد.. ثم ذهب فَرِحًا إلى غرفته، وبدأ في تبديل ملابسه.

وفي هذه الأثناء كان فارس مصطحبًا باقي الأصدقاء في سيارته، وكانوا قد خرجوا من الجامعة، متجهين نحو منزل شادي، والذي كان الأصدقاء متفاجئين من غيابه اليوم عن الجامعة.. وكان يجلس على يمين فارس، طارق، والذي كان متحمسًا جدًّا للذهاب إلى الشرقية –موطنه الأصليّ– وكان هو الذي يوجه فارسًا نحو بيت شادي؛ لأنَّ فارسًا لم يأته من قبل.. وفي الخلف تجلس الفتيات واللاتي كنَّ يتحدثنَ ويثرثرنَ في أمورٍ عدة.. وكانوا جميعًا وعلى رأسهم فارس، على أهبة الاستعداد للذهاب إلى الزفاف.. وبعد مضي بعض الوقت، أوقف فارس سيارته أمام مبنًى مكون من ستة طوابق، ونظر إلى ذلك المبنى.. ثم أخذ يسأل طارقًا وهو لا يزال ينظر إلى ذلك المبنى: "أنت متأكد إن شادي ساكن في العمارة دي؟". فأجاب طارق والذي كانت الثقة بادية على وجهه: "آه متأكد.. أنا جيت بيتهم قبل كده كذا مرة

يبني". فالتفت فارس إليه سائلاً: "طيب هو ساكن في الدور الكام؟". أجاب طارق وهو يفتح باب السيارة حتى يخرج منها: "التالت".

وأثناء ما كان طارق يفتح باب السيارة سألته غادة عن سبب قيامه بذلك، فأجابها: "برن عليه ومبيردش.. هنادي عليه بقا".. وبعد أن يئس طارق من أن يرد عليه شادي، قرر أخيرًا أن يتصرف.. حينها نظر طارق إلى أعلى، نحو ذلك المبنى، وتحديدًا نحو شرفة الطابق الثالث.. ووضع يده اليمنى بجانب فمه من اليمين، ويده اليسرى بجانب فمه من اليسار، وأخذ ينادي بأعلى صوته: "شادي.. يا شادي".. فوجئ طارق عندما رأى شخصًا غاضبًا ينظر إليه من شرفة منزل شادي، وكان هذا الشخص هو خالد، والذي كادت نظرته تقتل طارقًا من حدّتها.. حينها شعر طارق بأنه ارتكب جرمًا ما، فقرر أن يصلح الموقف قائلًا: "شادي مبيردش على تيليفونه ليه؟، هو فين؟!" أرجع خالدٌ رأسه، دون أن يجيب عن سؤال طارق، حينها استدار طارق وأمال جسده وأدخله من نافذة السيارة، وبدأ يتكلم إلى فارس والذي كان مشغولًا بالتحدث مع الفتيات، دون رؤية ما حدث مع طارق: "مش هيتغير أبدًا، هيفضل غريب زي ما هو.. ده حتى مردش عليا".

أدار فارس وجهه من ناحية الفتيات إلى ناحية طارق، وسأله عمَّن يتحدث، فأجابه طارق: "أخو شادي ياعم، معبرنيش!". حينها سمع طارق صوتًا قادمًا من أعلى، وذلك الصوت يعود إلى شادي.. فقام طارق بجسده مجددًا، ليجد شادي يقول: "نازل أهه". حينها هزهز طارق رأسه إيجابًا، وكأنَّه خاف أن يتكلم مرة أخرى، حتى لا يغضب عليه خالد.. وبعدها فتح طارق السيارة وجلس مرة أخرى في مكانه.. وبعد مضي بعض الوقت نزل شادي وركب السيارة بجانب الفتيات بالخلف،

ولم يزل لم يركب، حتى باغته طارق بكلامه قائلًا: "أنت يبني مبتردش على تيليفونك ليه؟ وبعدين أنت مجتش الجامعة ليه النهارده؟".

– كنت بغير هدومي ومسمعتش التيليفون.. وراحت عليا نومة، علشان كده مجتش الجامعة.

حينها كان فارس قد أدار محرك السيارة وانطلق مسافرًا إلى الزقازيق–حيث الفرح– وكانت الساعة عندها الثانية والنصف عصرًا.. وكان طارق لا يزال يتحدث إلى شادي، إذ كان يقول: "أخوك ده غريب يبني.. أنت ازاي عايش معاه كده". فأجاب شادي والذي لم يندهش من كلام طارق: "من ساعة ما بابا الله يرحمه مات من عشر سنين.. وأخويا خالد اتغير خالص.. بقت طباعه غليظة كده وبقا غامض.. ده حتى أنا وماما منعرفش هو شغال إيه.. هو مجرد إنه قال لنا إنه شغال في مطعم، لكن إحنا منعرفش هو شغال إيه في المطعم ده، ولا حتى نعرف اسم المطعم ده إيه، ولا مكانه".

– هو أخوك عنده كام سنة يا شادي؟

– تلاتة وتلاتين سنة.

قامت هند بتوجيه حديثها إلى فارس، قائلة: "ما تشغل لنا شوية أغاني يا فارس، يسلونا في الطريق".. حينها نظرت إليها نور نظرة حادة، فهمت هند إثرها بشاعة ما فعلته، فلم يمر الوقت الكافي بعد، حتى يتسنى لفارس أن ينسى ما حدث لأمه، فكيف له أن يقوم بتشغيل الأغاني، وكادت نور تهمس إلى هند معاتبة لها، إلا أنها فوجئت عندما سمعت صوت الأغاني المرتفع، فنظرت إلى الأمام لتجد فارسًا هو الذي قام بتشغيلها بنفسه، وسط استغراب من الجميع، عندها تحدث فارس قائلًا: "أظن إحنا رايحين فرح صح؟! يعني رايحين ننبسط".. حينها تغيرت ملامح الجميع،

وبدأوا يصفقون ويتمايلون، تفاعلًا مع الأغنية التي قام فارس بتشغيلها، وظلت نور خلسة، تسترق النظر نحو فارس، دون أن يشعر بها أحد.

وبعد مرور بعض الوقت، أخذ شادي يسأل: "هو أنتم رحتوا الجامعة بالهدوم دي ولا إيه؟".. فأجابته غادة عن سؤاله، حيث قالت: "لأ طبعًا يبني، فارس بعد ما خلصنا الكلية، قال لنا كلنا نروَّح نجهز، وهو هيعدي علينا واحد واحد، بعد كده هنيجي لك في الآخر".. وبعد أن هزهز شادي رأسه، مشيرًا بأنه قد فهم، قامت نور بسؤال طارق: "أنت بقالك قد إيه مروحتش الشرقية يا طارق؟".. ليميل طارق رأسه إلى الوراء، مريحًا إياها على مسند الكرسي الذي كان جالسًا عليه، ثم يقول: "يااا‌ه يا نور، بقالي كتير قوي، يمكن بقالي خمس ولا ست سنين".

– ياه كتير فعلًا.. طيب أنت عارف مكان القاعة اللي إحنا رايحينها دي؟

– هي اسمها إيه القاعة؟

حينها نظرت نور إلى هند، وكأنها تسألها هي الأخرى عن اسم القاعة، فأجابت هند: "أشهر قاعة في الزقازيق، قاعة الدرر النفيسة". حينها تحدث طارق مرة أخرى: "آه طبعًا عارفها، دي قاعة مشهورة جدًّا هناك، أوصل بس أنت الزقازيق يا فارس، وأنا هعرفك الطريق من هناك".

وظلَّ الأصدقاء يتحدثون فيما بينهم، ويستمعون أيضًا إلى الأغاني، حتى مرَّ وقت سفرهم، ووصلوا أخيرًا إلى الزقازيق، وكانت حينها الساعة الرابعة عصرًا.. وأخذ طارق في توجيه فارس الذي كان لا يعلم شيئًا في الزقازيق، لأنه لم يأتِ إليها آنفًا، وكانت نور والفتيات لازلن يتحدثن عن أمور الزفاف، وأخذت نور وغادة يعرفن من هند معلومات عن العروسين.. ومر الوقت بهم، إلى أن وصلوا إلى تلك القاعة الضخمة جدًّا، والتي كانت كقاعات المؤتمرات والاجتماعات الخاصة.. وكانت

الأنوار التي زُيِّنت بها القاعة مبهرجة، فعلى الرغم من ضوء النهار، إلا أنَّ تلك الأنوار كانت واضحة جدًّا.. نزل الرفاق من السيارة جميعًا، وذلك بعد أن قام فارس بوضع سيارته جانبًا.. وقالت نور: "أنا أول مرة أحضر فرح الصبح كده". ضحكت هند من كلامها، ثم قالت: "صراحة عندك حق، وإحنا كلمناه في الموضوع ده.. بس قال لنا إنه هياخد عروسته بليل، ويسافروا باريس يقضوا شهر العسل هناك.. علشان كده مرضيش يعمل الفرح بليل". وبعد أن فسَّرت هند لنور سبب عقد ذلك الزفاف بالنهار، ابتسمت نور، مؤكدة بابتسامتها أنها رأت أنَّ العريس قد فعل الصواب بفكرته تلك.

توجهوا جميعًا نحو بوابة القاعة الضخمة، وقاموا بالولوج فيها، لكي ينبهروا جميعًا بتلك الأضواء الرائعة جدًّا، والتي زَيَّنت القاعة من الداخل، حيث كانت الأنوار الزرقاء والحمراء والصفراء تُشِعُّ من جميع الجوانب، وكان النور الأبيض أمامهم في الوجه، وعلى بعد عشرين مترًا تقريبًا، حيث يجلس عنده كلا العروسين، وكان الحضور منقسمين إلى مجموعات، وكل مجموعة تجلس على طاولة محاطة بستة كراسي، وكان الحضور كُثْرًا، حيث كانت الطاولات هنا وهناك وفي كل مكانٍ في القاعة.

توجهت هند بأصدقائها نحو العروسين، وأخذت في أن تعرِّفهم على بعضهم البعض.. وبعد أن تم التعارف، توجه ستتهم نحو طاولة من الطاولات، وكان يجلس عليها أهل هند.. أمها وأبوها وأخوتها الصغار.. اقتربت هند من ذلك الرجل الذي يرتدي نظاراتٍ طبية، ويرتدي بذلة أنيقة، وأخذت تشير إليه وهي ناظرة إلى أصدقائها، ثم قالت: "أحب أعرفكم بالدكتور سامح عايش، بابا".. ثم نظرت إلى

والدها، لتجده وقف من كرسيه، فأخبرته: "بابا.. دول أصحابي اللي حكيت لك عنهم كتير".

بدأ والد هند في مبادلة التحية مع أصدقائها، ثم قامت هند بنفس الحركة، وذلك عندما قدمت والدتها لأصدقائها والعكس، ومن ثَمَّ توجهت بالإشارة نحو ثلاثة أطفالٍ، كانوا هم الثلاثة في السابعة من عمرهم، لديهم جميعهم نفس الهيئة والمنظر، فكان لديهم نفس الوجه البريء الأبيض، ونفس الشعر السلس الذي يسقط على أعينهم، ونفس الطول أيضًا، ثم قالت هند: "أما الأشقياء دول بقا، اخواتي التوأم، اللي معنديش أعز منهم في الدنيا، هادي وفادي وراضي".. قام أصدقاء هند باحتضان هؤلاء الأطفال، وبدأوا في تقبيلهم والمزاح معهم، وتوجهت نور بالحديث إلى هند: "الله يا هند، دول كيوت قوي".. ابتسمت هند في وجهها، ثم وضعت يدها على كتف نور وقالت: "بتهايألك يا نور يا حبيبتي، دول هادين علشان بابا هنا بس، لكن في البيت ولما بابا بيكون في الشغل، بيتحولوا وحياتك".

وبعد عشرِ دقائقَ قضاها فارس وأصدقاؤه رفقةَ عائلة هند، ذهب جميعهم نحو طاولة بعيدة منزوية، وأخذوا في الجلوس على كراسيها، وما إن جلسوا حتى قُدِّمَ لهم بعض الحلوى والمشروبات الغازية، وأخذوا يتناولونها ويمرحون ويضحكون، ومن حولهم تلك الأصوات الصاخبة، أصوات الغناء المزعجة التي كانت تصيب فارسًا بالضجر.. ظلت نور في اختلاسها النظر من فارس، وما إن تقع عينا فارس عليها، حتى تبعد عينيها سريعًا نحو شخصٍ آخر.. ويبدأ وجهها في الاحمرار خجلًا، خوفًا من أن يكون فارس قد رآها وهي تنظر إليه.

وظل الوقت يمضي إلى أن وصلت الساعة الثامنة ليلًا، حينها قام شادي من كرسيه قاصدًا دورة المياه، ولكنَّه كان ينظر إلى غادة؛ حيث كانا يتحدثان سوية.. والتفت وراءه مسرعًا.. حيث رأى غادة تفتح عينيها باتساعٍ، مُنْبِهَةً إياه أنَّ شيئًا ما سيحدث خلفه، إذ قالت له: "خلِّي بالك يا شادي".. حينها نظر الجميع إلى ما يوجد وراء شادي وبما فيهم شادي نفسه، ولكنَّ الأوان قد فات.. فكان هناك شابٌ عمره كعمر شادي والآخرين، كان يحمل بيده اليمنى طبقًا به قطعة من الحلوى، وباليد الأخرى زجاجة مياه غازية، وكان هذا الشاب ناظرًا خلفه لا أمامه، ويسير مهرولًا تجاه شادي.. ولكن بالطبع دون أن يرى شادي.. لأنه كان ينظر خلفه تجاه شاشة العرض، والتي كانت تعرض العروسين وهما جالسين يتحدثان فيما بينهما.. أغمض شادي عينيه، وانتظر الصدمة التي سيتلقاها الآن، حيث إنه تجمَّد مكانه ولم يستطع أن يفعل أي شيء.

وما هي إلا أجزاءٌ من الثانية، وكانت ملابس شادي كلها مياهٌ غازية، وحلوى بنكهة الشوكولا.. حينها فتح شادي عينيه مجددًا، خاصة بعد أن سمع الصرخةَ الهادئةَ منخفضةَ الصوتِ، والتي كان مصدرها هو غادة.. فوجد عندما فتح عينيه شابًّا شعره مُسرَّحٌ على جنبه الأيمن، ويرتدي النظارات الطبية، وكان طويلًا نوعًا ما.. وكاد شادي ينهر ويسب هذا الشخص، إلا أنَّ ذلك الشخص تكلم وقال: إنِّي آسف.. لم أتعمَّد ذلك.. سامحني أرجوك. نظر شادي حينها إلى باقي أصدقائه، والذين كانوا جالسين في مقاعدهم، لم يتحركوا بعد، فوجدهم شادي يضحكون جميعًا.. فلم يعلم سبب ضحكهم، هل من اتساخ ملابسه والصدمة التي تلقاها، أم من الطريقة التي يتحدَّث بها ذلك الشاب.. ثم أدار شادي وجهه مجددًا تُجاه ذلك الشاب.

وكان يعتلي على ملامح شادي الغضب عندما نظر إلى ذلك الشخص.. فخاف الشاب من نظرة شادي الغاضبة له.. فأخذ يُهدِّئ من روعه ويقول: كُنتُ أنظرُ خلفي.. صدِّقني لم أَرَك. جمع شادي ما كتمه من غضب في جملة واحدة، قال فيها بصوتٍ عالٍ: "وفي حد بيمشي وهو باصص وراه؟! وبعدين أنت بتتكلم كده ليه!". أخرج ذلك الشاب من جيبه منديلًا وأشار به نحو شادي وقال: خُذ هذا المنديل، قد يُفيدُ ملابِسَك. اشطاط شادي غضبًا من هدوء ذلك الشخص، فقام فارس محاولًا مداراة ضحكاته، وذلك بعد أن شعر أنَّ الأمر قد وصل إلى ذروته؛ فقام حتى يُسكن من غضب شادي الشديد.

وصل فارس إلى شادي ومسكه من يديه وقال: "خلاص يا شادي، روح الحمام زي ما أنت كنت رايح.. وغسل هدومك هناك.. وكلها نص ساعة وهدومك هتنشف".. فلم يزل لم يكمل فارس جملته، حتى قال ذلك الشاب: إنَّ ما يقولُهُ هذا الشابُّ صحيح.. سَتَجِفُّ ملابِسُكَ سَريعًا. فكاد شادي ينقض على ذلك الفتى ضربًا إلا أنَّ فارسًا قد منعه من ذلك.. حيث أخذ في سحبه من يديه، وذهب به إلى دورة المياه، وذلك بعد أن سأل أحد العمال في القاعة عن مكانها.

انتظر فارس أمام دورة المياه، وذلك بعد أن طلب من شادي أن يغسِّل ملابسه، وبعد مضي لحظات، خرج شادي وملابسه مبتلة ولكن نظيفة.. فقال له فارس: "كلها نص ساعة والهدوم تنشف.. روَّق بقا، روَّق ياعم".. وذهبا هما الاثنان مجددًا نحو أصدقائهما، ليجدا ذلك الشخص غريب الأطوار قد جلس معهم على الطاولة، وكانوا يضحكون جميعًا.. حينها قال شادي مخاطبًا فارسًا: "هضربه.. سيبني اضربه يا فارس.. الواد ده بارد أصلًا"

– اهدى بقا يا شادي.. تعالَ بس نشوف حكاية الواد ده إيه.

وبعد أن ذهبا نحو الأصدقاء، قام الشاب من كرسيه وتحدث إلى شادي في تودد وكان يقول: هل تَحَسَّنَ مزاجُك؟. ظلَّ شادي صامتًا لم يجبه، ولكن تحدث فارس وقال: "آه.. هو أحسن دلوقتي.. المهم أنت مين وبتعمل إيه هنا؟ أنت قريب العريس ولا العروسة؟".. أجاب الشاب، وعلى وجهه ابتسامة كاد فمه يقطع من اتساعها: أنا لَيْثْ.. اسْمِي هو لَيْثْ. قالها الشاب وهو مخرجٌ لسانه في حرف الثاء.. حينها ضحكوا جميعًا.. فقاطعهم ليث سائلاً إياهم: هلْ مِنْ شَيءٍ مُضحِكٍ في اسمي؟! حاول أن يصلح فارس الموقف إذ قال: "لأ لأ.. مفيش طبعًا حاجة تضحك.. اسمك بالكامل إيه طيب؟". حينها عادت ابتسامة ليث إلى ما كانت عليه، ثم قال: لَيْث السِبَاعِي لَيْث. انهاروا جميعًا ضاحكين خاصة الفتيات.. ولكنَّ فارسًا قد تماسك، ومنع نفسه من أن يضحك، حتى لا يحزن ليث.. ثم أخذ فارس في سؤاله: "أنت قريب العريس ولا العروسة يا ليث؟".

قال فارس حرف الثاء دون أن يخرج لسانه، فطلب منه ليث أن يفعل ذلك، قائلًا: أَرجوكَ انطقْ اسمي صحيحًا.. قل يا لَيْث. قالها ليث وهو يخرج لسانه في حرف الثاء.. فأومأَ فارس برأسه موافقًا على طلبه، ثم قال ليث: أنا قريبُ العَرُوس.. والِدُها هو ابْنُ عمِّ والدي. حينها قال طارق والذي كانت كثرة الضحك قد أصابته بالسعال: "أنت بتتكلم كده ليه طيب؟!". صمت الجميع وانتظروا إجابة ليث، والذي رفع رأسه لأعلى، وكأنه يتذكر شيئًا قد حدث منذ زمنٍ بعيد.. ثم قال ليث وهو يُنزل رأسه مجددًا: هذه قِصَّةٌ طَويلَة.. دَعْني أَقُصُّهَا عليكم.. والدي ومنْذُ زَمنٍ بَعيدٍ قَدْ سَمَّانِي ليثًا على اسم جَدِّي.. وعندما كَبُرْتُ في العُمر، وكانَ عُمري خَمسَ سنوات.. قامَ والدي بتعليمي اللغةَ العربيةَ الفصحى.. حتى صِرتُ اتقنها كما كان يفعلُ هو وجدي.. وطلب مني عندها ألا أتكلمَ نهائيًا إلا بها.. وعندَ موتِ والدي

وصَّاني قائلًا.. عليك باللغةِ العربيةِ يا ليث.. لا تتحدثنَّ إلا بها يا ليث.. ثم فارقَ الحياة.. ومنذ مماته وأنا لا أتحدث إلا باللغة العربية الفصحى.. ولكن بالطبع أفهم العامِّية المِصْرية، ولكن أريد الحِفاظَ على وصيةِ والدي لي، والحِفاظَ أيضًا على تراث أجدادنا.. فاللغةُ العربيةُ هي لغتنا التي نزل بها القرآن الكريم، وهي أيضًا لغةُ الشِعْرِ والشُّعراء.. وعلى ذِكْرِ الشعر، هل تودون أن تسمعوا أبياتٍ أنا مُؤلفُها؟

وعند انتهاء ليث من حديثه تأثر المستمعون جدًّا بكلامه، واختلط هذا التأثر بالاندهاش من شدة حرص ليث على تحقيق وصية والده له.. ثم حدثت نورٌ ليثًا وعيناها تلمعان، قائلة: "الله.. أنا بحب الشعر خالص.. قول كده الأبيات اللي أنت مألفها دي".. حينها تأثر ليث تأثرًا شديدًا من كلامها، وأصابته فرحةٌ، أسرها في نفسه ولم يبدها لهم.. ثم أخذ في استنشاق بعض الهواء، ثم أردف يقول:

لغــةَ الضــادِ يا لغــةَ الأكــارمِ الأُوَلِ ... تحــدَّثَ بــكِ خــيرُ الأنبيــاءِ والرُّسُــلِ
مشــهورةٌ في كثــيرٍ مِــن البلــدانِ والــدولِ ... لكــنَّ شَــعبَكِ جاهــلٌ أصــرَّ علــى التَّحــوُّلِ
صِــرْنَا نقلِّــدُ الغَــربَ في جميــعِ الفعــلِ ... إلى أنْ نَســــينا لغــــةَ الأكــــارمِ الأُوَلِ
أهملـوا نطقَـكِ عمـدًا فـارتكبوا أكـبرَ الزلـلِ ... حتى أصبحوا حمقى لا يُجيدون غيرَ التبوُّلِ

ضحك الجميع بعد انتهاء ليث من سرده قصيدته، وذلك بعد سماعهم كلمة التبول التي أنهى بها ليث قصيدته، وأخذوا جميعًا يصفقون له، وعلى وجوههم ابتسامة كبيرة.. وعلى الرغم من أنهم كانوا منصتين بتركيز لما يقوله ليث، لدرجة أنَّ أعينهم لمعت جرَّاء ما يسمعونه، إلا أنَّ ليثًا أصرَّ على أن يضحكهم بقوله كلمة التبول في آخر كلامه.. ثم حدَّث فارس ليثًا، وذلك بعد أن أنهى ما ألقاه من شعر: "شكلك متمسك باللغة العربية قوي يا ليث".. قال فارس ذلك وهو مخرجٌ لسانه في حرف الثاء؛ فسعد ليث من ذلك وأجاب فارسًا: وكيف لا وهي لغةُ أجدادي.

سأله حينها شادي، والذي أصابته السكينة والهدوء، ونسي ما بدر من ليث: "أنت منين وتعليمك إيه؟". فأجاب ليث والذي التفت نحو شادي وبدت عليه ملامح السعادة لأنه رأى أنَّ شادي قد نسي ما حدث: أنا كنتُ أقطنُ في مدينة الزقازيق.. أمَّا الآنَ انتقلتُ حديثًا إلى القاهرة.. وأنا أدرسُ الآنَ في كليةِ الحقوقِ جامعة القاهرة.. الفرقة الثانية.. ولديَّ من العمر عشرون عامًا.

صُعقَ فارس مما سمعه، وتفاجأَ الآخرون أيضًا، وأخذ فارس يتمتم قائلًا: "أنتَ كمان!".. قالها فارس عندما تذكر راجيًا وقوله للرائد سليمان بأنه زميل فارس في الجامعة. فقالت نور والتي تفاجأت من تمتمة فارس: "بتقول حاجة يا فارس! تفاجأت من كلام ليث ولا إيه؟". حينها قاطعها ليث قائلًا.. اسمي هو لَيْثْ.. لَيْثْ.. أرجوكُمْ أَخْرِجوا أَلسِنَتَكُمْ عندَ نُطقِكم لاسمي. ضحكت نور، ثم قامت بالرد عليه قائلة: "أنا آسفة.. أوعدك هحاول أقول اسمك زي ما أنت عايز.. المهم يا فارس كنت بتقول حاجة؟".

نظر الجميع إلى فارس، منتظرين إجابته عن سؤال نور، فوجدوه يقول وهو يهزهز رأسه نافيًا: "مفيش يا نور.. مفيش". ظلَّ فارس حائرًا لأنه تذكر راجيًا وتذكر ما حدث منذ عدة أيام أمامَ منزل خالته، وأمامَ القصر الخَرِب أيضًا، وتذكر مايو ورجبًا والعصابة، وأرهقه كثيرًا تذكره لأمه.. ولكن سرعان ما استعاد تركيزه، وذلك بعد أن تحدث طارق قائلًا لليث: "صدفة غريبة، إحنا الكل كمان في حقوق القاهرة".. ثم أضافت هند: "مش كده وبس، ده إحنا في سنة تانية برده، وعندنا عشرين سنة".. فتحدَّث ليث قائلًا: هل أستنتجُ من حديثِكم أنَّكم تدرُسُونَ في كليةِ الحقوقِ جامعة القاهرة.. وأيضًا في الفرقة الثانية.. فأجابته غادة على الفور: "أيوة.. أمال إحنا بنقول إيه من الصبح! إحنا كده يعتبر زملاء".

ظلَّ الجميع يتحدثون مع ليث فيما بينهم، حتى توقفت الأغاني ذات الصوت المرتفع، وأخذ الحضور في الانصراف.. وقام العروسان من مكانهما لتوديع أهلهما؛ لأنهما سيسافران إلى باريس -عاصمة الحب- وأخذت هند تقول لأصدقائها: "طيب يا جماعة أنا هسيبكم بقا علشان هروّح مع بابا وماما واخواتي.. أشوفكم على خير بكرة في الجامعة.. مع السلامة يا ليث، خليني أشوفك في الجامعة أنت كمان".. أجابها ليث والابتسامة لم تفارق وجهه: مؤكَّدٌ سيحدث.. خاصةً أنّكِ قد نطقتِ اسمي كما أحبه أن يُنطق. ابتسمت هند لهم وقامت بتوديعهم وذهبت تجاه أهلها.. ثم قام فارس من مكانه، وذلك بعد رحيل هند، ثم أخذ يتحدث: "يلّه إحنا كمان يا جماعة.. الساعة داخلة على تمانية ونص.. وزمان أهل البنات قلقانين عليهم".

قام الجميع من مكانه عندما أنهى فارس حديثه، وخرجوا جميعًا رفقة ليث.. وذهبوا إلى سيارة فارس، وأخذ فارس يودع ليثًا قائلًا: "أنت عملة نادرة يا ليث.. اوعى تغير مبادئك.. عايز أبقا أشوفك في الجامعة بقا.. مع السلامة".. نظر له ليث باستغراب ثم سأل: لمَ تودِّعني وأنا سوفَ آتي معكم إلى القاهرة، وفي سيارتكم أيضًا. نظر فارس إلى أصدقائه في تعجب، فوجدهم مبتسمين وصامتين.. فقطع ليث لحظة السكون تلك قائلًا: لن أجدَ من يقلني بتلك السهولة الآن.. دعني آتي معكم.. لأني صراحةً أريدُ أن أكونَ صديقَكم.. فأنا مؤخرًا لم أحظَ بأصدقاءَ جُدُد.

لم يستطع فارس أن يحرجه، فلم يجد مناصًا من أن يقول: "خلاص يلّه يا ليث، مفيش مشكلة، تفضل اركب في الكرسي اللي قدام". ثم فتح فارس السيارة وركب في كرسي القيادة وركب ليث إلى جواره في الكرسي الأمامي، وركب باقي الأصدقاء في الخلف.. وما إن ركب ليث في السيارة، حتى قال محدثًا فارسًا: سيارتُك جميلةٌ يا

فارس. فضحك فاس ثم قال: جُزيتَ خيرًا يا أخ ليث. فضحك ليث هو الآخر من مزاح فارس له، ثم أخذ فارس في التحرك بينما كانوا يتكلمون ويتحدثون فيما بينهم.

غطَّ ليثٌ في النوم بعد بضع دقائق من تحركهم، جاعلًا الجميع يتعجب من قدرته على الخلود إلى النوم بتلك السرعة.. وفي هذه الأثناء كان طارق يوجه فارسًا حتى يتمكن من الخروج من الزقازيق.. وما إن مرَّ فارس من أمام مركز تجاري ضخم، حتى طلبت منه نور أن يتوقف، لأنها تريد أن تشتري بعض الهدايا لإخوتها.. فقال فارس متأففًا: "الوقت تأخر يا نور، معرفتينيش من بدري ليه طيب إنك عايزة تشتري". فأجابته نور بصوتٍ حزين: "معلش يا فارس آسفة.. مش هطول والله.. هشتري لهم لبس ولا أي حاجة، وآجي على طول".

قام فارس بإيقاف السيارة، ونزل جميع الراكبين بالخلف، فقط تبقَّى فارس وليث في السيارة.. فقام فارس بإيقاظ ليث والذي كان صوت شخيره في النوم أعلى من صوت محرك سيارة فارس: "ليث.. ليث اصحى يبني". حينها فتح ليث عينيه في تعجب وقال متثائبًا: ماذا حدث؟! هل وصلنا بتلكَ السرعة! فأجابه فارس: "لأ، إحنا لسه في الطريق.. بس البنات عايزة تشتري حاجة من المول ده وهنرجع على طول.. قوم يلَّه تعالَ معانا".

– لم أستطعْ النومَ من صوتِكم المرتفعِ يا فارس.. والآنَ تريدني أن أقطعَ نومي لكي نشتريَ بعض الأغراض؟ هل تُمازحُني أم ماذا؟!

– لم تستطع النوم؟! أمال مين اللي كان بيشخَّر جنبي ده؟! أبويا الله يحرمه؟!

– ماذا؟ يُشخِّر! أنا لا أُشخِّرُ أثناءَ نومي.

– يلَّه أنزل علشان أقفل العربية.. مش معقولة يعني هقفلها عليك وأنت نايم فيها.

نزل ليث من السيارة، بعد أن رأى علامات الغضب جلية على وجه فارس؛ ومن ثَمَّ قام فارس بإغلاق السيارة، ثم توجهوا جميعًا نحو ذلك المركز التجاري.. وكان ليث لا يزال يتثاءب، وكان يستند على كتف شادي.. وشادي يتأفف منه ويبعد يدي ليث عنه، فيذهب ليث ويستند على طارق.. فيفعل طارق ما فعله شادي.. ظلوا يسيرون إلى أن وصلوا إلى بوابة المركز التجاري، وكانت بوابة كبيرة وضخمة.

أخذت نور رفقة غادة تتجولان في أرجاء المركز التجاري، باحثَتَيْن عن ملابسَ مناسبة لأخوتها.. وكان الشباب جالسين على المقعد بجوار بوابة الدخول، ومن أمامهم قسم الحسابات، والذي سوف تأتي نور وغادة إليه بعد قليل، عندما تجدان ما تبحث عنه نور.. كان فارس وطارق يتحدثان فيما بينهما.. وليث لا يزال يستند على كتف شادي، وشادي يغضب عليه.. حتى سمعوا صوتًا مرتفعًا قادمًا من الخارج، فنظروا جميعًا نحو تلك الأصوات، ليتفاجأ كل من نظر بأنَّ مجموعة من الرجال الملثمين.. يحمل كلُّ واحد منهم سلاحًا آليًا.. يدخلون مسرعين إلى المركز التجاري، وعدد هؤلاء الرجال هم خمسة تحديدًا.. وكان كل رجلٍ منهم كالثور.. إذ كانوا ضِخام الجثث، وغِلاظ الصوت.. فزِع كل من في المركز التجاري عندما قام أحد هؤلاء الرجال بإطلاق النار في السقف قائلًا بصوتٍ كاد يضاهي صوتَ إطلاق النار: "عايز كل واحد في المول ده يجمع قدامي هنا فورًا.. وعايز الكل يقعد على الأرض من سكات.. واللي هيفكر يعمل بطل، أو يهرب، أنا مش مسئول عن اللي هيحصل له.. وعايز مدير المول ييجي هنا حالًا".

أنهى ذلك الرجل حديثه، ثم ذهب وأغلق البوابة الحديدية الضخمة، وقام بتعيين أحد الرجال الذين كانوا معه عليها، قائلًا له: "اللي هيقرب من البوابة أضربه بالنار يا واحد".. فأجابه المدعو واحد ذاك: "تمام يا قائد".. ثم قال ذلك الرجل لرجلين آخريْن من أتباعه: "روح يا اتنين أنت وتلاتة، وجيبوا لي كل واحد في المول ده، وارموه قدامي هنا.. مش عايزكم تسيبوا مكان غير لما تدوروا فيه.. حتى الحمامات دوروا فيها.. وجيبوا كل اللي تلاقوهم هنا". وعندما أنهى هذا القائد أوامره لهما أجاباه على الفور: "تمام يا قائد".

ذهب ذانك الرجلان إلى حيث تم أمرهما.. وكان فارس حينها والآخرون مصدومين مما يحدث أمام أعينهم.. وكان الصمت والخوف يعلوان ملامحهم، إلا أنَّ ليثًا لم يكن مهتمًا لما يحدث، أو على الأحرى لم يكن خائفًا مما تراه عيناه، فقد كانت الثقة تعلو وجهه، والابتسامة بادية على ملامحه.. وفجأة نظر ذلك الرجل المدعو بالقائد، إلى ناحية فارس والآخرين، ثم أخذ في أمر الرجل الأخير في اتباعه قائلًا له وهو يشير ناحية فارس والآخرين: "أربعة.. هاتلي العيال اللي قعدة هناك دي، وخليهم يترموا على الأرض هنا قدامي".

ذهب الرجل لينفذ الأوامر التي أُمليتْ عليه، حتى وصل إلى فارس وأصدقائه، وأخذ يأمرهم بالوقوف، وبأن يسيروا معه.. فوقف الجميع.. وسار بهم إلى أن وصل إلى القائد، فأمره القائد أن يجلسهم على الأرض أمامه، كما سيُجْلِسُ الرهائنَ الآخرين أيضًا إلى جوارهم، عندما يأتي بهم اثنان وثلاثة.. كان فارس يراقب الوضع في صمتٍ تام، وتركيزٍ شديد، فكان يفعل كل ما يؤمر به، دون مناقشة أو إبداء أيِّ ردة فعل، ولم يكن من طارق وشادي، إلا أن فعلا كما فعل صديقهم فارس، فقد تملك الخوف من قلبيهما، وبدا الخوف جليًّا عليهما.

وبعد أن أجلس المدعو أربعة فارسًا وأصدقاءه، اقترب ليث وجلس إلى جوار شادي وطارق، ثم أخذ يقول: ماذا سنفعل؟ هل نقاتِلُهم الآن؟ أم ننتظر حتى تسنحَ الفرصة؟ ليرد عليه طارق بصوتٍ هامس، سمعه ليث بصعوبة: "اسكت الله يخرب بيتك.. اسكت هتودِّي نفسك في داهية". فأجابه ليث بصوتٍ طبيعيٍّ، ولكن بسبب الخوف ظنَّه طارق مرتفعًا: ماذا! أتريدُنا أن نغضَّ الطرفَ عمَّا يحدثُ يا طارق!

– وطي صوتك ليسمعونا.. آه هنسكت، عايزنا نعمل إيه يعني، مش شايف الآلي اللي معاهم!

– لا وربِّ الكعبةِ لا أكونُ جبانًا قَطّ، ولا أهابُهم أبدًا.. وكما قال الشاعرُ المغمورُ ليث السباعي ليث:

إنَّ الشجاعةَ شرفٌ أنتَ حاملُهُ فأَرْحِبْ بشرفٍ يَكْسُوكَ إجْلالا

وانْزَعْ عنْ عَاتِقَيْكَ ما لَسْتَ تَقْبَلُهُ فإنَّ الخَوْفَ سَيُورثك أنْكالا

وإنِّي شجاعٌ والخوفُ لَسْتُ أَعْرِفُهُ وسَأُقاتِلْهم الآنَ وأُسقيهمو إذلالا

وضع طارق يده على رأسه، وقام بمسح وجهه تأسفًا على جنون ما قاله ليث، وأخذ يتحدث إلى نفسه بصوتٍ لم يسمعه أحد قائلًا: "وده وقت شعر أنت كمان! هنموت وده عمال يشعر لي".. وما إن اقترب طارق لكي يهمس إلى ليث بألا يفعل أيَّ حماقة قد يندم عليها، إلا أنَّ ليثًا سبقه، قبل أن يسمع ما سيقوله طارق.. فقد وقف ليث من مكانه مبتسمًا، ناظرًا تارة في وجه الشخص الذي جاء بهم وأجلسهم هنا، وتارة في وجه القائد.. مما دفع الشخص المدعو بأربعة أن يذهب إليه سائلًا بكل عنف: "وقفت ليه يله! اقعد تاني".. حينها نظر ليث في عينيه، إذ لم يكن يرى

غيرهما، فقد كان القناع يغطِّي وجهه كاملًا، تاركًا فقط العينين؛ ثم قال ليث متحدثًا: إِنِّي أُحذركم.. فأنا أجيدُ فنونَ الدفاعِ عن النفس.. لا تعبثوا معي.

انهال الرجل على ليث ضربًا حتى سقطت نظارته إثر ذلك الضرب.. حينها أخذ ليث يصرخ ويقول: آسف.. آسف.. سوفَ ألتَزِمُ الصمتَ وأجلِسُ دونَ حَرَاك. فأمره بالجلوس، وهدده إن فعل ما فعل مرة أخرى، لن يكتفي بالضرب في المرة القادمة.. ثم جلس يتحسس الأرض بحثًا عن نظارته، حتى وجدها فارتداها مسرعًا، وجلس في مكانه ملتزمًا الهدوء.. ضحك فارس مما فعله ليث، لكن سرعان ما تذكر أنَّ نورًا وغادة معرضتان للخطر أيضًا.. وأصابته الحيرة لأنه لم يعلم بعد ما هدف هؤلاء الرجال، والذي يبدو أنهم لا يمزحون.

كانت نور وغادة وقبل أن يصدر صوت الطلق الناري، وقبل أن تدخل العصابة إلى المركز التجاري الضخم ذي الطابقين الكبيرين.. في الطابق الثاني تذهبان هنا وهناك، بحثًا منهما عن أشياء مناسبة، تصلح لأن تكون هدايا لإخوة نور، وبعد مضي عشر دقائق على ذهابهما، سمعتا صوت عيارٍ ناري.. كان هذا الصوت كفيلًا بأن يصيب كلتيهما بالفزع والهلع الشديدين.. ظلت كلتاهما تتبادلان النظر وعلى وجه كل واحدة منهما علامة استفهامٍ، وحيرة لم تُصَب أيٌّ منهما بمثلها من قبل.. كادتا تنزلان من على الدرج مسرعتين لتريا ما يحدث.. ولكن فوجئتا عندما رأتا شخصين يرتدي كلٌّ منهما قناعًا لا يُبرز إلا عيونهما، وكان كلاهما يحملان سلاحًا، لم تريا مثله قط، وكانا يقفان على الدرج وكأنهما يحرسانه ويمنعان أي شخص من الاقتراب منه. كان الطابق الثاني مليئًا بالناس الذين أصابهم الهلع، عندما صاح أحد هذين الشخصين قائلًا بصوت حاد: "كل اللي هنا يجمع قدامي فورًا.. واللي مش هينفذ اللي بقوله بالحرف الواحد.. هضربه بالنار".

أخذت حينها النساء اللاتي كن في المكان، بالصراخ والركض بعشوائية كبيرة، ومنهم نور وغادة، واللتان لم يختلف فعلهما عن فعل غيرهما من النساء.. فلم تمنعن الصراخ والركض، إلا عندما أطلق أحد الشخصين النار في الجدار من الأعلى وتحديدًا في السقف وقال: "المرة الجاية الرصاص مش هيبقا في السقف، لأ هيبقا في اللي مش هيهدى، وهيفضل يصرخ ويجري".. وأخيرًا هدأ الجميع، وذلك بعد أن هددهم ذلك الشخص المدعو ثلاثة.. ثم اجتمع كل من في الطابق الثاني أمامهما.. ثم قال ثلاثة مخاطبًا اثنان: "روح أنت دور في الحمامات، وشوف باقي المكان برده، وجيب الناس الباقية وحصلني عند القائد".

ذهب اثنان لكي يبحث عن باقي الناس، وأخذ ثلاثة ما جمعه من رهائن، ونزل إلى الطابق الأول متجهًا صوب القائد، آمرًا للرهائن بالتوقف والصمت، حتى تأتيهم الأوامر الجديدة. بدأ ثلاثة في التحدث إلى القائد: "دول اللي كانوا في الدور التاني يا قائد.. واتنين بيدور في الحمامات وباقي الأماكن وهيجيب الناس الباقية". ظلَّ القائد صامتًا قليلًا، مفكرًا في أمرٍ ما، ولكنَّ ليثًا شقَّ ذلك الصمت، مخاطبًا القائد، مستفسرًا: ماذا ستفعلون بنا؟! هل ستقتلوننا؟! حينها نهره القائد والذي كان صوته أغلظ من الغلظة نفسها: "اسكت يله أنت خالص علشان متبقاش أنت أول ضحية".

ارتعد ليث وأقفل فمه دون أن يقول كلمة أخرى.. ثم ذهب القائد ناحية المكان الذي كان فارس يجلس فيه، لأنه ليس فارس وأصدقاؤه فقط من كانوا هناك.. بل كان هناك أيضًا العامل الذي يقف على الحسابات، والذي كان مكان عمله بالقرب من البوابة الحديدية.. وكان جالسًا إلى جوار فارس.. ذهب إليه القائد مخاطبًا إياه بلهجة قاسية عنيفة: "مديرك فين؟ مجاش لحد دلوقتي ليه؟!". أجابه العامل والذي

كان مرتبكًا للغاية ولسانه يتلعثم من الخوف: "حضرتك أنا لسه مدتوش خبر.. اتصل بيه؟".. حينها اقترب القائد منه ووضع السلاح الآلي نحو قلبه، وأخذ يدفع بفوهة السلاح دفعًا، ثم قال في نبرة جادة حادة: "قدامك عشرين ثانية.. لو مردش عليك، اعتبر نفسك ميت، يلَّه اتصل بيه، وخلي المايك مفتوح علشان أسمعكم".

فزع الشاب المسكين وأخرج وهو يرجف هاتفه من جيبه، وقام بالاتصال بمديره والذي كان في بيته الذي لا يبعد كثيرًا عن المركز التجاري.. ظلَّ الفتى يحاول والمدير لا يجيب.. والقائد ينظر في ساعته الرقمية يحسب الثواني، ومع كل ثانية تمر، كانت دقات قلب ذلك الشاب تتزايد.. والذي كان في عقده الثالث.. ومرَّ من الوقت ثلاثة أرباعه.. أي خمس عشرة ثانية.. حينها أخذ الشاب في نطق الشهادتين، لأنه يئس من أن يجيبه المدير، ولكن وكأنه أذان المغرب والذي ينتظره الصائمون بفارغ الصبر.. أخيرًا أجاب المدير، وكأنه بإجابته تلك قد أزاح جبلًا من على صدر الفتى العامل بالحسابات، والذي قد أخرج زفيرًا قويًّا، ثم أخذ نفسًا عميقًا وأجاب مضطربًا على المدير، والذي سأله عن سبب اتصاله: "تعالَ حالًا المول.. فيه ناس اقتحموا علينا المول ومعاهم أسلحة، وطالبين يقابلوك وإلا هيقتلونا".

دُهش المدير من كلام محمد الفتى العامل بالحسابات، وأخذت حدقتا عينيه في الاتساع، وكأنما قد سمع خبر وفاة عزيزٍ عليه.. وأخذ يجيب محمدًا وهو يلهث ويقول: "أنت بتقول إيه! أنا هبلغ الشرطة حالًا".. عندها تدخَّل القائد مخاطبًا المدير: "متستعجلش على تبليغ الشرطة.. تعالَ أنت بس وأنا هكلمهم لك بنفسي.. لو مجتش في أسرع وقت ممكن، أنا مش مسئول عن اللي هعمله في الناس دي".. تفاجأ المدير من ذلك الصوت العنيف والذي تحدث دون سابق إنذار.. وبدأ

المدير في الإجابة بكل توتر وخوف: "طيب أنا جاي حالًا وأوعدك مش هبلغ الشرطة.. بس متأذيش حد.. أنا تلات دقايق بالضبط وأكون عندك".

نزع القائد الهاتف من يد محمد، ثم أغلق الهاتف في وجه المدير، ثم رماه بكل ما أوتي من قوة على الأرض، كاسرًا إياه أمام ناظري محمد، والذي حزن على كسر هاتفه، ولكن بالطبع لم يستطع التكلم.. حينها قد وصل اثنان ومعه مجموعة من الناس ليست بالكثيرة.. وعندما رآه القائد التفت نحوه وأخذ بصوتٍ عالٍ يأمره: "عايزك تقعّد كل الرهاين الموجودين هنا بسرعة، اللي أنت جبتهم، واللي تلاتة جابهم، واللي كانوا في الدور الأول من البداية، وعايزك تعدلي الرهاين اللي هنا كام".

عمَّ الصمت أرجاء المكان، وذلك أثناء ما كان اثنان يحسب عدد الأشخاص الموجودين في المركز التجاري، مستخدمًا في ذلك سبابته.. وبعدما انتهى من العد قال رافعًا صوته مخاطباً القائد: "أربعة وخمسين شخص يا قائد".. حينها أمر القائد اثنان وثلاثة بصوتٍ لم يكن أهدأ من سابقه: "عايزكم تقعدوهم صفوف.. بحيث كل ستة يكونوا في صف واحد.. يعني كده يبقا فيه تسع صفوف".

أخذا في تنفيذ ما أمرهما به قائدهما، وبدآ في إجلاس الرهائن؛ وبعد انتهائهما.. كان هناك تسعة صفوف، بين كل صف والآخر، مسافة نصف متر تقريبًا.. والصف مكون من ستة أشخاص، جالسين كل منهم على الأرض، لا يصدرون أي صوت ودون حراك.. في الصف الأول يجلس فارس أقصى اليمين، وعلى يساره ليث، وعلى يسار ليث، يجلس شادي، ثم طارق على يساره، وعلى يسار طارق، يجلس محمد، وأخيرًا وعلى يسار محمد، تجلس فتاة تبلغ من العمر سبعة وعشرين عامًا.. ومن ورائهم ثمانية صفوف مكتظة بالناس.. فكان هناك رجال ونساء وفتيات وفتية.. لكن لحسن الحظ لم يكن هناك أطفال.

التفت فارس وراءه لكي يرى نورًا وغادة، ويرى مكان جلوسهما، فوجدهما تجلسان في الصف الرابع، إذ كانت نور في أقصى اليمين، وعلى يسارها غادة، وعلى يسار غادة، فتاة أخرى في مثل عمرهما تقريبًا، ثم باقي الصف يجلس رجل كهل وشابان.. أخذ القائد بالاستمرار في إلقاء الأوامر إلى أتباعه قائلًا لهم: "لفوا عليهم واحد واحد، وخدوا منهم تيليفوناتهم وأقفلوها".. عندها أسرع اثنان والذي كان يحمل كيسًا كبيرًا، تجاه الصف التاسع، وأخذ منهم جميعًا هواتفهم.. وكان كلَّما أخذ هاتف أحد، وضعه بالكيس.. وظلّ يأخذ هواتف مَنْ بالصفوف، إلى أن وصل إلى الصف الرابع.. حينها كانت نور مرتبكة.. ولكنها ارتاحت قليلًا عندما رأت فارسًا ينظر تجاهها، ويطمئنها بنظراته لها.. وصل اثنان إلى الصف الذي تجلس فيه نور وغادة، وطلب بكل قسوة أن يخرج جميع من بالصف الهاتف.. فأخرجت نور وغادة هاتفيهما، وأخرج باقي الجالسين أيضًا هواتفهم المحمولة.. ظل اثنان يأخذ هواتف الجميع حتى وصل إلى الصف الأول.. حينها بدأ بفارس آمرًا له أن يخرج الهاتف، فنظر فارس في عيني اثنان هذا بكل غرور وهدوء، مما جعل اثنان يتفاجأ ويتساءل، أن كيف لهذا الشخص ألَّا يخافَ مما يحدث.

أخرج فارس هاتفه بهدوء وبرودة أعصاب، ثم قام بوضعه في الكيس الكبير الذي كان اثنان يحمله معه.. ثم جاء دور ليث والذي قال: إنِّي لا أمتلكُ أيَّ هاتفٍ معي. حينها نهره اثنان بصوتٍ حادٍ: "يعني عايز تفهمني إنك الوحيد في الموجودين دول اللي ممعكش تيليفون.. ثم أنت بتتكلم كده ليه؟!".. أجابه ليث متحمسًا للإجابة: هذه قصةٌ طويلة، دعني أقصها عليك.. والدي وعندما كنتُ صغي....

قاطعه اثنان بكل قسوة: "أنت هتحكي لي قصة حياتك.. قوم اقف وريني معاك تيليفون ولا لأ".. وقف ليث وأخذ اثنان يفتش جيوبه، ولكنَّه لم يعثر على أي هاتف

معه، لم يعثر إلا على منديل قد جاء عليه الزمن.. أو ليس الزمن حتى نكون منصفين، بل جاء عليه أنف ليث، حتى جعله أقذر من الجيفة المتعفنة، حينها رمى اثنان بالمنديل في وجه ليث قائلًا له: "إيه القرف ده.. اتنيل اقعد".. رد ليث عليه وهو يجلس بصوتٍ متمتم لم يستطع اثنان أن يميزه: سوفَ تندمُ على فَعْلَتِكَ تلك. حينها سأله اثنان بعنف شديد: "بتبرطم تقول حاجة؟!"

– لا لا، فقط أقول أنَّ هذ المنديل كان عزيزًا عليّ، لقد بدأتُ استخدامه في الصباح، وأشبعته بمحتوياتِ أنفي حتى صار....

– أنت مبتبطلش كلام ليه يا حيوان أنت.. بالع راديو؟!

حينها وبعد أن أنهى اثنان حديثه، ظل ليث صامتًا يبتسم فقط.. ومن ثم أكمل اثنان ما كان يقوم به من عمل، وأخذ هواتف باقي الجالسين ولكن بالطبع، محمد لم يكن لديه هاتف؛ لأن القائد قد كسره.. ذهب اثنان بالكيس الذي يحتوي على جميع الهواتف المجموعة إلى القائد سائلًا إياه: "إيه المطلوب دلوقتي يا قائد".. أجابه القائد على الفور: "حط الكيس ده دلوقتي جنب البوابة عند واحد".

ذهب اثنان على الفور وقام في التنفيذ.. وفجأة ظهرت أصوات طرق على البوابة من الخارج، وإذ بمن بالخارج يقول: "أنا المدير.. افتحوا الباب".. حينها ذهب واحد مسرعًا نحو القائد وقال: "ده المدير".. فأجابه القائد: "طيب افتح له بسرعة".. ذهب واحد وفتح البوابة، ودخل المدير مسرعًا والتوتر بادٍ عليه.. ثم ذهب نحو القائد وأخذ يتحدث إليه: "طلبتني وجيت لك لحد عندك أهه، عايز إيه بقا مني؟".

بدأ القائد في التحدث إلى المدير وقال: "أنت يا سيادة المدير هتتصل من تيليفونك دلوقتي بالشرطة، وتقول لهم اللي حصل في المول، وإن فيه عصابة جات

المول ومعاهم أسلحة، وفيه رهاين كتيرة في المول، وهتقول للشرطة إن العصابة عايزة نص مليون جنيه فدية عن كل واحد.. وعدد اللي هنا أربعة وخمسين واحد، وبيك يبقوا خمسة وخمسين واحد.. يعني إحنا عايزين سبعة وعشرين مليون جنيه ونص.. وكرمًا من الشرطة خليها تمانية وعشرين.. وبلاش يستنصحوا ويجيبوا الفلوس في شنط كتيرة، علشان تلاخمنا وإحنا بنهرب، هما تَمَنْ شنط كبار كفاية، يعني كل شنطة فيها قيمة تلاتة مليون ونص.. ومع كل نص ساعة الشرطة هتتأخر فيها، فيه واحد من الرهاين دي هيتقتل".

حينها أخذ الرهائن ينظرون بعضهم إلى بعض ويتمتمون بالكلام.. إلى أن نهرهم القائد بنبرته الغليظة تلك: "اسكت يا حيوان منك له.. واللي هشوفه بينطق بحرف واحد، هضربه بالنار".. ثم عاد القائد بناظريه مجددًا نحو المدير، ثم بدأ في التحدث إليه: "يلّه.. اتصل وقول اللي طلبته منك".. حينها أخرج المدير هاتفه من جيبه وقام بالاتصال بالشرطة، وقصَّ عليهم ما حدث، وأخبرهم بطلب القائد وأنه يريد فدية، وقدرها عشرون مليونًا وثمانية.

وقام بإخبارهم عن عدد الرهائن، وبأنَّ مع كل نصف ساعة ستمر، سيُقتل شخصٌ من الرهائن.. وبعد أن أنهى المدير حديثه أمره القائد أن ينهي المكالمة، ففعل المدير ذلك.. ثم أخذ القائد ينظر في ساعته فوجدها التاسعة ليلًا، فرفع ناظريه تجاه الرهائن الجالسة على الأرض، إذ كانوا هادئين وكأنهم من سكان القبور، فقال القائد لهم: "تسعة ونص، لو الفلوس مكنتش جات، هنبدأ بقتل أول واحد فيكم".

ارتبكوا جميعًا وظلوا يتمتمون، إلى أن تكلَّم القائد مجددًا وطلب منهم التزام الهدوء.. وكان فارس مرتبكًا، لأنَّ عدد هؤلاء الرجال كبير، فهم خمسة أشخاص لا يستطيع مجاراتهم بمفرده، خوفًا على نفسه وعلى الآخرين أيضًا.

ظل الوقت يمر إلى أن وصلت سيارات الشرطة الكثيرة أمام المركز التجاري، ونزل منها أفراد الأمن المركزي، وبعض الضباط أصحاب الرتب العالية.. ولا يعلم أحد كيف لقنوات التلفاز والصحافة أن علمت بالخبر.. فكانوا هم أيضًا واقفين أمام المركز التجاري.. وكانت الحشود من المواطنين والذين أتوا على أصوات سيارات الشرطة، تقف هنا وهناك مترقبين لما سيحدث.. وبعد مشاهدة الضباط لهذا المشهد.. طلب أحدهم من المواطنين أن ينصرفوا، حتى لا يُؤذى منهم أحد، ولكن بالطبع لم يلتفت منهم أحد إلى كلامه، ولم يلقِ أحدٌ له بالًا.

حينها طلب هذا الضابط من أفراد الأمن المركزي، والذين كانوا أكثر من ثلاثين شخصًا.. أن يُبعدوا المواطنين ولو قليلًا من أمام بوابة المركز التجاري.. فأسرع أفراد الأمن بالتنفيذ، وما كان من المواطنين إلا أن أخذوا يتدافعون فيما بينهم، وظلوا يرجعون رويدًا رويدًا، إلى أن صاروا واقفين على بعد خمسة عشر مترًا تقريبًا من بوابة المركز التجاري.. حينها قال الضابط للأفراد بأن هذا كافٍ.

وعلى صعيدٍ آخر، كان القائد لازال واقفًا جنبًا إلى جنب مع المدير، والذي لم يكن يعلم ما يجري من حوله، وكانت الحيرة والدهشة باديتين عليه.. أخذ القائد في التكلم قائلًا: "الساعة تسعة وربع دلوقتي.. فات ربع ساعة من ساعة ما كلمنا الشرطة، ولسه لحد دلوقتي مفيش جديد منهم".. لم يزل لم ينهِ القائد مقولته، حتى رنَّ هاتف المدير، إذ كان المتصل رقمًا خاصًا.. حينها طلب القائد من المدير أن يجيب ولكن في وضع مكبر الصوت.

حينها أجاب المدير، وبعد أن سأل عن هوية المتصل، أجابه المتصل: "أنا اللواء شريف أحمد.. وأنا دلوقتي بكلمكوا من قدام المول.. حضرتك مدير المول مش كده؟".. رد المدير بارتباكٍ شديد، وذلك عندما طلب منه القائد ذلك: "آه أنا

المدير".. فعاود اللواء التحدث مرة أخرى: "ممكن تدينا حد من العصابة نتفاهم معاه".. نظر المدير في عيني القائد وكأنه يسأله عمَّا سيخبره.. فسحب القائد الهاتف من يدي المدير وأخذ بصوتٍ واثقٍ يقول: "أنا القائد.. وأحب أعرف الفلوس جاهزة ولا لأ؟"

– مفيش فايدة من اللي أنتو بتعملوه ده.. قوات الشرطة محاوطة المكان كله.. يعني مستحيل تخرجوا من هنا.

– يا سيادة اللواء.. تسعة ونص لو مكنش التمانية وعشرين مليون جنيه عندي هنا.. جثة واحد من الموجودين هنا دول هتبقا مرمية قدامكو برة.

– أنت عبيط.. ازاي هنقدر نجهز مبلغ ضخم جدًّا زي ده.. في مجرد الوقت البسيط ده.

– مش شغلتي، عندكم البنك المركزي.. اتصرفوا وجيبوا منه الفلوس.

– طيب إحنا نضمن منين إننا بعد ما نجيب لك الفلوس.. مش هتأذي حد من الرهاين؟

– مش شغلتي دي برده والله.. أنا ليا الفلوس تكون عندي، وأنتو ليكو إن الرهاين محدش يتأذي منهم.

– طيب إدينا مهلة أكبر من دي، علشان نلحق ندبر المبلغ.

– عشر دقايق لو المبلغ مكنش هنا.. جثة أول واحد من الرهاين هتكون عندكم.

أنهى القائد الكلام، ثم أقفل الهاتف في وجه اللواء، فأخذ اللواء يسب وينهر، ثم أمر العقيد أشرف والمقدم بيومي أن يتواصلا مع البنك المركزي، وأن ينسِّقا معه المبلغ المطلوب، على الرغم من ضخامته.. وقام اللواء بنفسه بالتواصل مع الوزارة حتى تتكفل هي بتسهيل الإجراءات التي سيحتاجها العقيد والمقدم، لكي يتمكنا من

أخذ المبلغ المطلوب.. وجلس اللواء ينظر يمنة ويسرة حتى رأى سيارة اللصوص الضخمة. حينها طلب من أحد الموجودين أن يتصل بخبراء الاتصالات.

وبالفعل قام ذلك الرجل بالاتصال بأحد الأفراد المتمكنين من هندسة الاتصالات.. ولم يستغرق حضوره عشر دقائق، ثم طلب منه اللواء أن يضع له جهاز تتبع في سيارة اللصوص، من خلاله يستطيعون أن يتتبعوهم بحرص ويعلموا مكانهم.. فأخذ الرجل التقني هذا يفعل ما بوسعه.. وكانت المهلة المحددة قد مرت، ولم تتمكن الشرطة من تجهيز المبلغ المطلوب، غير أنها قد وضعت جهاز التعقب في سيارة اللصوص، وعلم بذلك اللواء شريف، عندما جاءه مهندس الاتصالات قائلًا: "تمام سعادتك كده، أنا حطيت جهاز التتبع في الميكروباص بتاعهم، نقدر نعرف مكان الميكروباص في أي وقت إحنا عايزينه".

وبعد أن مرت أول نصف ساعة، ولم يجد القائد المال قد حضر، ذهب نحو الصف الأول والذي كان جالسًا به فارس، ثم قام بإيقاف محمد فتى الحسابات، ثم توجه به صوب باب المركز التجاري، وبعد أن صوَّب السلاح نحو جسده، طلب منه أن ينطق الشهادتين، فلم يبدأ محمد بعد بقول الشهادتين، حتى استقرت بعض الرصاصات التي قد خرجت من سلاح القائد في جسده، جاعلة الصمت يخيم على أرجاء المكان، إذ كانت الصدمة في نفوس جميع الرهائن كافية أن تجعلهم لا ينطقون ببنت شفة.

أخذ فارس وبعد ما رآه، يتحدث إلى نفسه ويقول: "الراجل ده جريء جدًّا.. مش هامه كل قوات الشرطة اللي برة دي، واضح جدًّا إنه مبيهزرش، ربنا يستر والشرطة تعرف تجهز الفلوس قبل ما نص ساعة تانية تعدي".. قاطع تفكير فارس

صوت هاتف المدير، إذ كان المتصل هو اللواء شريف، وبعد أن تحدث القائد إلى اللواء، وبعد أن سأله اللواء عن مصدر ذلك الصوت، أجابه القائد قائلًا: "دقيقة ومعاليك هتعرف السبب".

بعد أن أغلق القائد الهاتف في وجه اللواء مرة أخرى، جاعلًا إياه يستشيط غضبًا، سار القائد مرة أخرى نحو الصف الذي كان يجلس به فارس، وقام هذه المرة بإيقاف ليث، والذي ارتعد عندما طلب منه القائد الوقوف، وأخذ يقول: أرجوك.. لازلتُ صغيرًا على أن أموت.. لا أريدُ الموتَ الآن.. أتوسلُ إليكَ ألَّا تقتُلَني. حينها أخذه القائد من يده، وسار به نحو جثة محمد الملقاة على الأرض، ثم أخذ يقول في غلظة: "دلوقتي هتشيل الجثة دي، وتخرج بيها برة توريها للشرطة، وبعدين هتسيبها برة وترجع تاني".

نظر ليث في عيني القائد فوجدهما مليئتين بالشر والغدر، فأكمل القائد الحديث: "وأحب أطمنك إنك لو مرجعتش تاني في خلال دقيقتين، أنا هقتل صحابك التلاتة".. حينها أجابه ليث على الفور: سأعود سأعود لا تقلق. ثم قام ليث بحمل جثة الشاب المسكين على ظهره، مما جعل ملابسه تتسخ بالدماء، وبعد أن قام المدعو واحد بفتح الباب له، خرج ليث فوجد أمامه جمعًا هائلًا من سيارات الشرطة ومن الضباط أيضًا، واقفين هنا وهناك.

كان أفراد الشرطة قد تأهبوا لإطلاق الرصاص على من سيخرج من باب المركز التجاري، إلا أنَّ ليثًا قد صاح قائلًا فور ما خرج: لا تطلقوا النيران.. أنا لستُ فردًا من المجرمين.. أنا من الرهائن. ثم نزل ليث سائرًا نحو تجمع ضباط الشرطة ليجد اللواء شريف قد سار نحوه سائلًا في لهفة: "مين اللي أنت شايله ده!".

-هذا موظفٌ يعملُ في المركز التجاري، قد قامَ القائدُ بقتله عندما تأخرتم في المجيءِ بالمبلغِ المطلوب.

– أنت بتتكلم كده ليه يبني! أنت مين!

– أعلمُ أنها قصة مشوقة، والجميعُ يريدُ أن يعلَمَهَا، لكن لا وقتَ لديّ.. إنْ لمْ أعدْ في أسرعِ وقت، فسوفَ يقومُ القائدُ بقتلِ أصدقائي.

وبعد أن أنزل ليث محمدًا من على ظهره.. عاد راكضًا نحو باب المركز التجاري، وقامت أفراد الشرطة حينها بالتعامل اللازم مع جثة الفتى المسكين محمد.. وبعد أن دخل ليث من الباب، وجده يغلق من خلفه، ثم يطلب منه القائد أن يعود ويجلس في مكانه مرة أخرى، دون إصدار أي صوت.

مرت نصف ساعة أخرى، كانت خلالها الرهائن في حالة فزع وهلع، لأنهم لم يعرفوا بعد، هل تمكنت الشرطة من تجهيز المبلغ أم لا، وإن لم تكن الشرطة قد تمكنت من تجهيزه، فمن هو الشخص المسكين الذي سيكون عليه الدور.. وبعد أن رأى القائد أنَّ مهلة أخرى قد مرت، أخذ القائد ينظر إلى باقي أفراد جماعته، وأخذوا يبادلونه النظر، مما استدعى دهشة فارس عندما علم من ساعة معصمه أن المهلة قد مرت.. وازدادت دهشته عندما مرت خمس دقائق أخرى دون أن يفعل القائد شيئًا.. وعندها رنَّ هاتف المدير، إذ كان اللواء يخبرهم بأنَّ المال قد صار جاهزًا، فأخذ القائد في التحدث إلى اللواء شريف: "تَمَن شنط زي ما اتفقنا!".

– آه.. كل حاجة تمام.

– طيب بص معاليك بقا.. هنبعت لك الوله اللي خرج لكم قبل شوية، وهو اللي هيجيب الثمان شنط على أربع مرات، وأي حركة غدر من حركاتكم الفالصو دي، هقتل كل اللي هنا في غمضة عين.

وبعد أن أغلق القائد الهاتف، سار نحو ليث مرة أخرى، وبعد أن أوقفه، قال: "أظن سمعتني وأنا بكلمهم، دلوقتي أنت هتطلع تجيب شنطتين وتيجي، وبعدين هتجيب شنطتين وتيجي، وهكذا لحد ما التَمَن شنط كلهم يبقوا هنا.. فهمت!".. فابتسم ليث في وجه القائد، ثم أخذ يقول: لقد تعبتُ مَعَكُم.. أليس من حقي مقاسمتكم المال!

– أنت تحمد ربك إن الشرطة لحقت تجهز الفلوس، لأنك أنت اللي كان هيبقا عليك الدور.. يلَّه بسرعة روح نفذ اللي قلت لك عليه.

فُتِح باب المركز التجاري مرة أخرى، ليخرج منه ليث مجددًا، ذاهبًا نحو اللواء شريف، والذي كانت حقائب المال موضوعة أمامه.. فبدأ ليث بحمل أول حقيبتين، ثم عاد بهما دون كلام إلى المركز التجاري.. ثم قام بمعاودة الكرَّة، حتى تمكن من حمل الحقائب كلها وإدخالها إلى المركز التجاري.. ومع كل مرة كان ليث يأتي فيها بالحقيبتين، كان القائد يتأكد من محتوياتهما، ويتأكد أيضًا من عدم وجود أي أجهزة تتبع أو تنصت فيهما.

وبعد أن عاد ليث بآخر حقيبتين، وبعدما أُغلق باب المركز التجاري مجددًا.. طلب القائد من رفاقه الأربعة أن يحمل كل واحد منهم حقيبتين، وطلب منهم أيضًا التأهب للخروجِ من هذا المكان.. ثم سار القائد نحو الرهائن، وتحديدًا الصف الرابع، وقام بإيقاف نور وغادة والفتاة التي كانت بجانب غادة، وأمرهن بالتحرك معه دون إصدار أي صوت أو فعل أو حركة، حتى لا يكون مصيرهن كمصير محمد.

وعلى الفور قامت الفتيات الثلاث بالوقوف مع القائد، سائرين جميعًا نحو باب المركز التجاري، وفي هذه الأثناء كانت نور تنظر إلى فارس نظرة استغاثة، وكأنها تطلب منه أن يفعل شيئًا لإنقاذها وغادة.. ولكنَّ فارسًا لم يكن بوسعه شيء.. ومع

فتح الباب، وجدت الشرطة خمسةَ رجالٍ ملثمين، يحمل أربعة منهم حقائبَ المال، والخامس يحمل سلاحًا، بواسطته يهدد ثلاثَ فتياتٍ كنَّ خاضعاتٍ له.. ثم أخذ ذلك الرجل الذي يهدد الفتيات في التكلم قائلًا: "أي حد منكم هيفكر يعمل حاجة، زي إنه يضرب علينا نار، أو إنه يمشي ورانا، مش هيحصل للبنات دي طيب".

ثم توجه الرجال الخمسة رفقة الفتيات نحو سيارتهم، ثم قاموا بالتحرك بعيدًا عن المركز التجاري الضخم، ثم دخل اللواء شريف رفقة باقي القوات، إلى المركز التجاري، ليجدوا مجموعة من الرهائن المساكين جالسين على الأرض، والذين عندما رأوهم، قاموا جميعًا فرحين، لأنهم علموا بأنهم قد نجوا من تلك الحادثة الأليمة، وطلب منهم اللواء الانتظار في الخارج وعدم الرحيل، حيث إن الضباط سوف يأخذون أقوالهم وإفاداتهم.

خرج الجميع من المركز التجاري، وذلك بعد أن قام كل واحد منهم بأخذ هاتفه مرة أخرى، ولم يبق بالمركز إلا فارسًا وأصدقاءه، والمدير واللواء.. فأخذ طارق يحدث اللواء قائلًا: "سعادتك دول أخدوا نور وغادة صحابنا معاهم".. فأخذ اللواء يطمئنه: "متقلقوش.. كل شيء تحت السيطرة.. إحنا زرعنا جهاز تتبع في عربيتهم، والخبراء متابعين تحركاتهم دلوقتي".. عندها دخل شخصٌ يركض من الخارج مهرولًا نحو اللواء يقول: "إلحق سعادتك.. وإحنا بنتابع خط سير المجرمين، لقيناهم وقفوا في مكان قريب من هنا، ولقينا الإشارة مبتتحركش من مكانها، فلما روحنا وشوفنا، لقيناهم سايبين الميكروباص اللي كانوا فيه، يعني شكلهم سعادتك كانوا عاملين حسابهم على عربيتين من الأول"

– نعم! وازاي ده يحصل! هيفلتوا يعني ولا إيه!

– سعادتك تؤمرني بإيه!

– كلم كل القوات خليهم يعملوا كماين على كل مخارج المنطقة والمحافظة، وعايزهم يفتشوا كل العربيات، مش عايز عربية واحدة تعدي من الكمين من غير تفتيش.

– تمام سعادتك.. حالًا.

ثم قام اللواء بالالتفات نحو فارس وأصدقائه، ثم قال: "دلوقتي يا جماعة متقلقوش على صحباتكم، إن شاء الله هنقدر نتصرف ونجيبهم سالمين ليكم ولأهلهم.. المهم دلوقتي عايزكم تخرجوا زي باقي الرهاين، علشان تدلوا بإفادتكم للضباط برة".. ذهب حينها فارس نحو شادي هامسًا في أذنه: "بص يا شادي، خد ليث وطارق، واعملوا اللي طلبه حضرة الضابط، وأنا هفضل معاه هنا شوية".

قام شادي باصطحاب ليث وطارق معه، خارجين من المركز التجاري، تاركين فارسًا رفقة اللواء شريف ومدير المركز.. حينها سأل اللواء فارسًا عن سبب عدم خروجه رفقة أصدقائه، فأجابه فارس: "بص سعادتك فيه طرف خيط نقدر نمشي عليه".. تفاجأ اللواء مما قاله فارس وأبدى تعجبه، ثم أخذ في سؤاله: "طرف خيط! وإيه هو بقا طرف الخيط ده؟!".

– دلوقتي سعادتك إحنا نقدر نعرف من مدير المول مكان المختطفين دول.

تفاجأ اللواء والمدير مما قاله فارس، فأخذ المدير في محادثة فارس متسائلًا: "وأنا إيه اللي يخليني أكون عارف مكانهم!".. ثم تكلم اللواء مرة أخرى متحدثًا إلى فارس: "صحيح إيه اللي يخليه يكون عارف مكانهم؟!".. عندها قلَّب فارس النظر بين اللواء والمدير، وبعدما استقرت عيناه على اللواء أخذ يقول: "ببساطة لأن المدير واحد من العصابة، فطبيعي يكون عارف مكانهم".. تفاجأ اللواء شريف مما يقوله فارس، فعاود يقول: "بتقول إيه! وعرفت ازاي؟!".

– اللي خلاني أقول إن المدير واحد منهم، إن المدير أول ما جه ودخل المول، راح مباشرة على القائد وبدأ يتكلم معاه، على الرغم من إن كلهم كانوا ملثمين، يعني مفروض ميعرفش مين فيهم القائد، أو يعرف يميز شخصيته، إلا إنه أول ما دخل من باب المول، راح على طول ناحيته، فده يفسر ليه أنا قلت إنه واحد منهم.

نظر اللواء في وجه المدير ليجده يتصبب عرقًا وعلامات التوتر بادية عليه، فأخذ اللواء في سؤاله: "تفسر بإيه اللي بيقوله ده؟".. فلم يجد المدير ما يقوله، فضغط عليه اللواء مرة أخرى: "عملت كده ليه؟ استفدت إيه من عملتك دي؟!".. حينها بدأ المدير الكلام قائلًا بصوتٍ يملأه الحزن: "أنا عليا دين كبير جدًّا، تحديدًا خمسة مليون جنيه للبنك، ومكنش معايا ميزانية تغطي الدين ده، ففكرت في فكرة إني أتفق مع ناس تيجي تاخد الزباين اللي في المول كرهاين، ونطلب فدية ليهم من الشرطة، لكن أنا متفقتش معاهم على إنهم يقتلوا حد من الرهاين أو يأذوهم.. كل اللي اتفقنا عليه إننا هناخد الفلوس ونتقاسمها بينّا".

– طيب هم كانوا ناويين على إيه بعد ما يخرجوا من هنا.

– المفروض سعادتك إنهم بعد ما ياخدوا رهاين من هنا، يضمنوا من خلالهم سلامتهم، هيروحوا مكان إحنا متفقين عليه، هيستخبوا فيه أسبوعين، وبعد كده هروح لهم أنا ونتقاسم المبلغ، وقبل ما هم يوصلوا للمكان اللي بقول لحضرتك عليه ده، ويكونوا ضامنين إن محدش من الشرطة ماشي وراهم، هيسيبوا الرهاين اللي كانوا أخدوهم.

– وفين المكان ده؟

وبعد أن أخبر المديرُ اللواءَ شريف بعنوان المكان الذي حكى عنه، تواصل اللواء مع أتباعه مخبرًا إياهم عن المستجدات التي علم بها، وطلب منهم التوجه في أسرع ما

يمكن، إلى ذلك المكان.. ولما انتهى اللواء من حديثه إلى أتباعه، أخذ فارس يتحدث إلى اللواء مجددًا: "بص سعادتك مش عايز حضرتك تتفاجأ من اللي هقوله ده، بس المدير من الأول كان هدفه إنه يقتل موظف الحسابات، وإن دي غايته الوحيدة أصلًا، وإنه ملوش رغبة في الفلوس اللي كان هيتقاسمها معاهم دي، ومفيش دين ولا حاجة، وكل القصة اللي حكاها دي وهم في وهم".

تفاجأ اللواء شريف من الثقة التي كان يتحدث بها فارس، ومن حديثه الذي يبدو غريبًا نوعًا ما، ولما أنهى فارس مقولته، صاح فيه المدير قائلًا: "أنت بتقول إيه يبني أنت! أنا زي ما لسه قايل لحضرة الضابط، كان عليا دين للبنك، علشان كده اتفقت مع الناس دي على موضوع الفدية ده، بس مكنش من ضمن خطتنا إن حد يموت، ثم إن أصلًا اختيار القائد لمحمد علشان هو يموت كان صدفة".. نظر اللواء إلى فارس بعدما أنهى المدير كلامه، وكأنه ينتظر منه سببًا مقنعًا جعله يقول كلامه السابق، فبدأ فارس يدلي بدلوه قائلًا: "بص سعادتك أولًا: محمد عمل كل اللي طلبه منه القائد ده، يعني مفيش سبب مقنع يخلي القائد يكون حانق عليه وعايز يقتله بسببه، ثانيًا: صاحبي ليث عصبهم خالص، ومع ذلك القائد مقتلوش، يعني أقصد أقول القائد مش متعطش للدماء، والدليل على كده، لما حضارتكم تأخرتم في المهلة التانية، وكان عدَّى نص ساعة وزيادة كمان، فضل القائد يبص لباقي أتباعه، وكأنه بيقول لهم هنعمل إيه، يعني هو كان عارف إنه مش هيقتل حد تاني خلاص، لأن الخطة بتنص من الأول على قتل واحد بس، تحديدًا على قتل محمد بس".

صمت فارس قليلًا، ثم نظر إلى المدير فوجده منكِّسًا رأسه، فأكمل فارس كلامه، وذلك بعد أن أعاد النظر إلى اللواء مجددًا: "مش حضرتك برده مستغرب هم ليه حطوا مهلة صغيرة من الأول، مش مفروض ناس مكانهم، وفي موقف زيهم، وطالبين

مبلغ ضخم زي اللي هم طلبوه ده، كانوا ادوا مهلة للشرطة ساعتين أو تلاتة مثلًا، علشان تلحق تدبر المبلغ".

– فعلًا أنا المهلة الصغيرة قوي اللي حطوها دي، استدعت اندهاشي واستغرابي.

– أهو ده بيفسر لنا بقا سعادتك، إنهم أصلًا كان نيتهم من الأول إن الشرطة متلحقش تجيب المبلغ في المهلة الصغيرة دي، فبالتالي يضطروا يقتلوا ضحية، فيبان إنهم صدفة وقع اختيارهم على محمد.. وبما إن أغلب الظن إن المدير هو الوحيد فيهم اللي يعرف محمد، بحكم شغلهم مع بعض، وبما إن المدير بنفسه لسه قايل إنه هو اللي متفق معاهم ييجوا هنا، فده يعرفنا إن المدير هو اللي طلب منهم يقتلوا محمد.. وصدقني حضرتك أنا آه معرفش طبيعة العلاقة اللي بين المدير والناس دي، بس أنا متأكد إن المدير متأكد إن الناس دي هتخونه، ومع ذلك مكنش فارق معاه إنهم على كلامه يفضلوا أسبوعين كاملين ميتواصلوش، لحد ما يقسموا الفلوس بينهم، فده يدل إن غاية المدير إن محمد يموت وخلاص، وإنها تبان إنه مات من شوية مجرمين كانوا في المول وقتلوه لأن الشرطة ملحقتش تجهز الفدية، ومكنش يتوقع إننا هنعرف إنه واحد منهم، بالعكس ده هو القائد الحقيقي ليهم، والعقل المدبر للخطة، وده زي ما هو لسه قايل، إنه هو اللي دبر للخطة دي، بس ادعى قصة الدين اللي عليه للبنك.. واللي خلاني أقول إنه ادَّعاها إنه لو كان فيه فعلًا دين، كان أكيد المدير هيبقا خايف على نصيبه من الفلوس، بس كونه ميكنش خايف على الرغم من يقينه بإن العصابة هتخونه، فده يدل إنه ملوش غاية من الفلوس، يعني مفيش دين ولا حاجة، وإلا لو فيه دين زي ما هو بيقول، يقول لنا اسم البنك علشان حضرتك تتواصل معاهم وتتأكد، أو يورينا إيصال بالدين ده، بس أنا متأكد إنه مش هيعرف يعمل حاجة من الحاجات دي.. وأكبر دليل على

قتل المدير لمحمد، إنه هو على الرغم من كل الخطة المعمولة دي علشان الفلوس، إلا أنه مضحي بيها، وده ليه؟ ده لأنه حقق هدفه خلاص من العملية دي، ألا وهو قتل محمد، واللي مخليني أتهمك بتهمة زي دي، على الرغم من معرفتي بدخولك كده كده السجن، حتى لو معرفناش إن نيتك هي قتل محمد، إن فيه فرق بين الجريمتين، أنت كده هتدخل السجن في قضية قتل مع سبق الإصرار، يعني بمعنى أصح هتاخد جزاءك الحقيقي.

ظلَّ اللواء والمدير يحدقان إلى فارس في تعجب شديد، ثم قام اللواء بالنظر إلى المدير قائلًا: "أظن مفيش حاجة تتقال بعد الكلام المقنع ده، مش كده!".. لم يجب المدير على اللواء مما دفع اللواء إلى الصراخ فيه قائلًا: "ما ترد!".. عندها بدأ المدير الكلام: "من شهر تقريبًا وبالصدفة اكتشفت إن محمد بيعمل علاقة مع بنتي المتجوزة، وعرفت برده إنها مش أول مرة، وإنهم في الموضوع ده من زمان، ولأن زوج بنتي راجل محترم وإنسان عظيم، وهو مسافر ومتغرب علشان يسعدها، ومع ذلك محمد الحيوان قدر يضحك على بنتي ويعمل اللي عمله ده، وكان مستغفلني طول الفترة دي، فلما عرفت بالموضوع، قررت إني أقتله ومخدش فيه ساعة حبس.. فزي ما الولد ده قال، أنا فكرت في القصة دي كلها، ولا كان هدفي الفلوس ولا حاجة، ولا كان فيه دين أصلًا".

صمت المدير لبرهة، ثم نظر في عيني اللواء بكل حزم وقال: "بص حضرتك، أنا هقول كل اللي حصل بالضبط، لأني مش ندمان على اللي عملته ده، لأن محمد يستاهل اللي حصل له ده.. أنا بعد ما عرفت اللي حصل بين محمد وبنتي، قررت أقتله، ففكرت أأجر حد يقتله، بس ساعتها خفت من أسئلة الشرطة ليا لما الشرطة تيجي تحقق مع كل اللي يعرفوا محمد، وكنت عارف إن الشرطة هتوصل بطريقة ما

للعلاقة اللي بين محمد وبنتي، عن طريق مثلًا إن حد من صحاب محمد يكون عارف بالموضوع ويقوله في التحقيق، فالشرطة تسألني عن الموضوع وتشك في إني أكون عرفته، فقررت أقتل محمد بسببه، ففكرت في فكرة الرهاين دي، وأبين أن محمد مجرد إنه مات بسبب إنه رهينة، وبسبب إن الشرطة ملحقتش تجيب المبلغ المطلوب، لأني كنت عارف إن مستحيل في نص ساعة تقدروا تجهزوا المبلغ الضخم اللي هينطلب، واللي آه مكنتش عارف هيكون كام، بس كنت عارف إن المول على طول مليان ناس، فلما نطلب نص مليون على كل واحد، أكيد هيكون مبلغ ضخم جدًّا.. المهم أنا جبت ناس مسجلة خطر من البلد الأصلية بتاعتي، واتفقت معاهم على القصة كلها، ووريتهم صورة محمد، وعرفتهم إنه هو اللي شغال في الحسابات، وقلت لهم الطريقة اللي هيقتلوه بيها، واتفقت معاهم على عدم قتل أي حد تاني مهما إيه حصل، وبعدها عرفتهم الطريقة اللي هيخرجوا بيها من المول، وعرفتهم هيروحوا يستخبوا فين بالضبط.. وأنا عارف إنهم هيخونوني، وخصوصًا إنهم عارفين إني مش هقدر أروح أبلغ عنهم بعد خيانتهم ليا، لأنهم عارفين إني هخاف إنهم يقولوا إني أنا اللي متفق معاهم، وإني اللي طلبت منهم قتل محمد مخصوص.. وأنا كان كل هدفي من الحدوتة دي، إني أبعد الاشتباه عني لما محمد يتقتل".

رنَّ هاتف اللواء شريف، وبعدما أجاب على المتصل، قاموا بإخباره بأنهم ذهبوا على عنوان المكان الذي أخبرهم به آنفًا، ولكن لم يجدوا سوى فتاتين من الفتيات المخطوفات، وتلك الفتاتان تقولان بأن العصابة قد اختطفت الفتاة الثالثة، ورحلوا بها من هذا المكان.. وبعد أن رأى فارس الدهشة في عيني اللواء شريف، أخذ يسأله عمّا حدث، فأجابه اللواء: "قواتنا راحت على العنوان فعلًا، بس ملقوش غير بنتين بس كانوا مربوطين، ولما فكوهم البنتين دول قالوا، إن العصابة فضلت محتفظة

بالبنت التالتة، وإن العصابة مشيت من المكان ده". ولمّا أنهى اللواء كلامه بدأ المدير التحدث مرة أخرى قائلًا: "شفت بقا سعادتك إنهم خانوني أهه، ومشيوا من المكان اللي مفروض إننا متفقين عليه".. ثم قال فارس محدثًا اللواء شريف: "طيب بعد إذن حضرتك كده شوف إيه هي أسماء البنتين دول".. وبعد أن قام اللواء بسؤال الشخص المتحدث على الطرف الآخر عن أسماء الفتاتين، أخبره ذلك الرجل بالأسماء، فعاد اللواء مرة أخرى للتحدث إلى فارس مخبرًا إياه، أنَّ إحداهما كانت تُدْعى نورًا وأما الأخرى فتدعى غادة. عادت الروح مرة أخرى إلى فارس، بعدما علم أنَّ كلتا صديقتيه بخير ولم يمسسهما سوء.. وبعد أن أغلق اللواء الهاتف مع المتصل عاد إلى التحدث مرة أخرى إلى المدير قائلًا: "يعني عايز تقنعني إنك متعرفش مكانهم دلوقتي فين بالضبط!".

– صدقني حضرتك والله ما أعرف، أنا كل اللي أعرفه قلته، ثم زي ما الولد ده قال لحضرتك بالضبط، أنا كنت عارف إنهم هيخونوني من الأول، وأهو ده اللي حصل أهه.

– يعني إيه! يعني رجعنا لنقطة الصفر تاني! طيب أنا عايز منك أسماء وعناوين الناس دي.

– هديها لحضرتك حاضر.

وبعد مضي بعض الوقت، كان المدير قد أعطى اللواء أسماء وعناوين أولئك الأشخاص، وبعدها طلب اللواء من بعض أفراد الأمن التوجه إلى تلك الأماكن ومراقبتها على مدار اليوم بأكمله، ثم أخبر اللواءُ المديرَ بأنهم إن لم يتمكنوا من الإمساك بتلك العصابة، فسوف يتحمل العواقب بمفرده، وبعد يأسٍ من اللواء دام لعشر دقائق، رنَّ هاتفه مرة أخرى، ليخبروه أنهم هذه المرة قد رأوا سيارة المجرمين

قادمة نحو إحدى الكمائن التي نصبوها عند مخرج المحافظة، من الناحية الغربية لها.. وعلموا بأنها سيارتهم، لأنه عندما رأت هذه السيارة الكمين، قد حاولت الهرب، فقاموا على الفور بمطاردتها.

وأخبر المتصلُ اللواءَ أنهم وبعدما حاصروهم في إحدى البنايات، قام أفراد هذه العصابة بالتهديد بقتل الفتاة التي كانت رهينة لديهم، وهم الآن لازالوا يحاصرونهم ويريدون معرفة ما عليهم فعله.. فأخذ اللواء يتحدث رافعًا صوته: "أهم حاجة حياة الرهينة، مش عايزين حد تاني يتقتل، القضية بقت رأي عام، الصحافة والإعلام هنا قالبين الدنيا بسبب موت شخص واحد بس، ما بالك لو واحد تاني مات، أهم حاجة حياة الرهينة. وفي هذه الأثناء كان شادي رفقة طارق وليث بالخارج أمام بوابة المركز التجاري، وكان ليث واقفًا رفقة إحدى الفتيات اللاتي تعملن في مجال الإعلام، وكانت تصور لقاءً مع ليث، وتسأله عن شعوره عندما كان محتجَزًا، فأجابها ليث: بسم الله الرحمن الرحيم، أُحِبُّ أن أشكرَ حضراتكم على سرعةِ المجيءِ إلى المكانِ وتغطية كلِّ ما يحدث من قلب الحدث، وأحب أنْ أشكرَ حضرتك على وجه الخصوص، لأنك اخترتِ الشخص الأنسب لكي تسأليه عمَّا قد حدث.. فأنا الوحيد في المخطوفين، الذي لم يكن خائفًا منهم، وكدت أضربهم جميعًا لولا أنَّ الحظ قد فعل فعلته.. نعم هم كانوا خمسة أشخاصٍ مسلحين وكنت وحدي، إلا أنَّ ما لديَّ من قوة فهو كافٍ لمثل تلك المواقف.

دُهش ليث بعدما رأى أن تلك الفتاة تركته يتحدث، ثم قامت بأخذ الشخص المسئول عن التصوير ورحلت قاصدة أشخاصًا أُخَر، تاركة خلفها ليثًا، والذي كان يؤلف قصصًا لم تحدث، ثم توجه ليث نحو طارق وشادي، قائلًا: لِمَ رحلت تلك المرأة، ألم تكن تريد أن تعرف حقيقة ما جرى بالداخل! عندها تحدث إليه شادي

قائلًا: "أنت قلت بنفسك أهه، عايزة تعرف حقيقة اللي حصل، مش الهري اللي أنت بتقوله ده". ولمَّا أغلق اللواء الهاتف مع المتصل، بعدما أخبره أنَّ حياة الرهينة هي أهم شيء، وأنَّ عليهم التعامل مع العصابة دون أن يتسببوا في أذية للفتاة بأي نوعٍ من الأنواع.. قام فارس بالتحدث إلى اللواء قائلًا: "بص سعادتك اتصل بيهم تاني، واديهم أمر بالهجوم على العصابة دون خوف على حياة الرهينة".. تعجب اللواء، وأخذ يسأل مستغربًا: "ليه يعني!".

– علشان هي واحدة منهم برده.

– واحدة منهم! بتقول إيه! وعرفت ازاي؟!

– أولًا سعادتك البنت دي كانت الوحيدة في التلاتة اللي مكنتش خايفة، كانت نوعًا ما ماشية بإرادتها ومكنش باين عليها توتر، ثانيًا ليه سابوا نور وغادة بس! ليه مثلًا مسبوش نور وهي، ومسكوا غادة، أو سابوها هي وغادة، ومسكوا نور، ليه هي اللي فضلت معاهم! ليه القائد على الرغم من إن كان فيه صفوف تانية فيها بنات، إلا إنه راح الصف اللي البنت دي بالذات فيه، وخدها هي والبنتين اللي جنبها، والأهم من ده كله، إن نور وغادة مقعدوش جنب البنت دي بشكل عشوائي، أقصد يعني أقول مش بإرادتهم، لأنهم هم اللي قعدوهم جنب بعض، يعني نيتهم من الأول ياخدوا البنت دي وأي بنتين هيكونوا جنبها، فوقع اختيارهم على نور وغادة، فقعدوهم جنبها.

نظر اللواء قليلًا نحو فارس يتأمل في ملامحه، ثم قام بالالتفات نحو المدير سائلًا: "الكلام اللي بيقوله ده صحيح؟!".. فأجابه المدير: "صدقني حضرتك معرفش حاجة عن الموضوع ده".. حينها نظر اللواء إلى فارس مرة أخرى قائلًا: "كلامك فيه

نسبة مجازفة، وفيه احتمال يكون غلط".. ابتسم فارس ابتسامة ثقة، ثم قال: "متقلقش سعادتك، أنا هتحمل العواقب لو كان كلامي غلط".

أخرج اللواء هاتفه ثم قام بالاتصال بالشخص الذي كلمه منذ قليل، ثم أخذ اللواء ينظر في عيني فارس بينما كان يقوم بالمكالمة، ولم يرفع عينيه عن فارس، حتى عندما أجابه الشخص الآخر، وبينما كان ينظر إلى فارس أخذ يقول: "بص يا شوقي، فيه احتمال كبير جدًّا إن البنت الرهينة دي، تكون واحدة منهم، يعني اتصرفوا على الأساس ده، اقتحموا فورًا بعد ما أقفل معاك".

أخذ اللواء يتحدث إلى فارس بعدما أغلق الهاتف سائلًا إياه عن اسمه وعمله.. فأجاب فارس: "فارس متولي النبراوي، أنا لسه طالب في كلية حقوق سعادتك".

– تعرف يا فارس لو فعلًا كلامك صح، والبنت دي طلعت واحدة منهم، أنا هشهرك في البلد كلها، شايف كل الإعلام اللي برة ده، هعرفهم إنك أنت اللي ساعدتنا في معرفة إن المدير واحد منهم، وساعدتنا في القبض عليهم عمومًا، وهطلب لك مكافئة من الوزارة، وهتتكرم من سيادة الوزير شخصيًا..

ابتسم فارس في وجه اللواء ولم يبدِ تعليقًا على ما قاله.

بعد مضي بعد الوقت أتى اتصالٌ يخبر اللواء شريف، بأنَّ كلَّ شيءٍ تمَّ على ما يرام، وأنَّ العصابة تم القبض عليهم، وأنهم لم يؤذوا الفتاة، لأنها بالفعل واحدة منهم، وهذا ما قالوه بعدما ضغطوا عليهم للاعتراف.. وبينما كان اللواء شريف فرحًا ويتكلم في الهاتف، تركه فارس وذهب خارجًا ليجد أنَّ نورًا وغادة قد وصلتا رفقة بعض أفراد الشرطة، وكانتا واقفتين رفقة طارق والآخرين.. فذهب إليهما فارس وقال: "الحمد لله إنكم بخير، مكنتش هسامح نفسي لو كان حاجة حصلت لكم..

المهم يلّه نمشي لأن أكيد أهل البنات قلقانين جدًّا دلوقتي، وبالمناسبة يا غادة أنتِ ونور، تيليفوناتكم معايا، أنا جبتها من الكيس الكبير اللي هم حطوا فيه التيليفونات".. وبعد أن أعطى فارس الفتاتين هاتفيهما، وجدتا أن أهليهما قد اتصلوا كثيرًا، وبعد أن نظر فارس هو الآخر في هاتفه، وجد أنَّ أهل غادة ونور أيضًا قد اتصلوا به، فطلب منهما فارس التواصل مع أهلهما لكي يطمئنوهم، ولكي يخبروهم بأنهم عائدين في أسرع وقت إلى القاهرة.

ولما أنهى اللواء شريف المكالمة، لم يجد سوى المدير فقط بجانبه، فلما سأله عن مكان فارس، أخبره المدير أنه قد خرج، فخرج اللواء هو الآخر ساحبًا المدير خلفه، ومع وصوله إلى خارج المركز التجاري، طلب من أحد أفراد الشرطة إلقاء القبض على المدير، واصطحابه إلى قسم الشرطة، ثم ظلَّ يلتفت يمنة ويسرة، باحثًا عن فارس، ولكن دون جدوى، فكان فارس قد رحل بالفعل.. فأخذ اللواء شريف يحدث نفسه بصوتٍ مرتفع: "مين الولد ده بالضبط! وازاي يمشي كده بعد ما حل هو القضية بنفسه! ده واحد غيره يطلب مكافئة فيها دي".

وبعد مضي ساعة ونصف تقريبًا، كان فارس قد قام بإيصال الجميع إلى بيوتهم، ولم يتبقَّ معه سوى ليث في السيارة، فسأله فارس عن المكان الذي يريد أن ينزل فيه، فأخبره ليث أنه سيبيت اليوم وغدًا في فندق، وبعدها سينتقل إلى الشقة الجديدة التي اشتراها أهله.. وبعد أن أوصله فارس إلى حيث أراد، وبعد أن قام بتوديعه، عاد فارس إلى بيته ليجدها قد تجاوزت منتصف الليل، فيغطّ في نومٍ عميق.

*****

الفصل الثامن

أمجد عز الدين، والذي اقترب من عامه الستين، هو دكتور مادة القانون الدولي العام، وكان فارس والأصدقاء جلوسًا في محاضرته، بعد مرور يومين على حادثة الزقازيق، وكان هذا الدكتور لا ينزع أبدًا تلك النظارة السوداء من عينيه.. فلم يستطع أحدٌ قطُّ أن يراه بدون تلك النظارات المعتمة، والتي لا يعلم أحدٌ سبب ارتدائه لها.. كان الصمت يخيم على أرجاء القاعة، حيث كان لا يجرؤ أيُّ شخص على التحدث، خوفًا من العواقب التي سوف يلقاها من الدكتور أمجد، والذي لا محالة سوف يأخذ اسم المتحدث ويجعله يرسب في مادة القانون الدولي العام.

كان الدكتور منهمكًا في شرحه وتوجيهاته للطلاب، وفجأة ذُهل الجميع وبما فيهم الدكتور نفسه، وذلك عندما وجدوا باب القاعة يُفتح بطريقة سريعة جدًّا، وكأنَّ من فتحه قد فتحه بقدمه لا بيده، فمن هذا الذي يملك القدر الكافي من الجرأة لكي يدخل المحاضرة بعد الدكتور أمجد، وتحول الذهول إلى ابتسامة قد رُسمت على وجوه الجميع، وذلك لِمَا كان يرتديه الشاب الذي فتح الباب، حيث كان مرتديًا قميصًا، لا يوجد لونٌ خلقه الله لم يكن بهذا القميص، وكأنَّ قوسَ قزحِ هو الذي قد فتح الباب، وكان بأسفل القميص يوجد سروال أو بالأحرى مُلاءة، فلا أحد سيظن أنَّ هذا سروال من شدة اتساعه، وكان هذا الشاب مرتديًا أيضًا للنظارات الشمسية، وكان واضعًا القميص بداخل السروال.. جاعلًا الحزام الضخم الذي كان يرتديه، واضحًا جليًّا للجميع.

تفاجأ فارس وأصدقاؤه كما الآخرين، ولكن سبب تفاجئهم لم يكن إلا لأنَّ هذا الشاب هو صديقهم ليث.. دخل ليث في صمت تام والابتسامة بادية على وجهه،

ودون أن يلتفت ناحية الدكتور أمجد، ودون أن يفكر حتى في أن يقفل الباب من خلفه، وظلَّ ينظر يمنة ويسرة بين الطلاب.. وكان الدكتور أمجد متعجبًا مما يراه أمام عينيه، وظلَّ جميع من في القاعة يقلبون النظر بين ليث والدكتور، وظل ليث سائرًا ينظر بين الطلاب، إلى أن وقعت عيناه على فارس، والذي كان جالسًا إلى جوار شادي.. هنا حدَّث شادي فارسًا هامسًا له: "يلاهوي! قابل يا معلم.. هنبقا مسخرة المحاضرة".

رفع ليث يديه عاليًا ونطق بأعلى صوته: فارس! شادي! كيفَ حالُكُما؟! أهناكَ متَّسعٌ بجَانِبِكُما؟ هنا لم يستطع أحدٌ من الموجودين أن يمنع نفسه من أن يضحك، فقد ساد صوت الضحك أرجاء القاعة، وظل كلُّ صديقٍ يلتفت نحو صديقه، متسائلًا عن مدى غرابة ذلك الشخص، وعن سبب ارتدائه ما يرتدي، وعن سبب تكلمه بتلك الطريقة. سمع شادي وفارس الفتاتين اللتين تجلسان أمامها وهما تتهامسان، حيث قالت إحداهما للأخرى: "إيه الوله الأراجوز ده.. أنتِ شايفة لابس إيه؟! لا وشايفة بيتكلم ازاي؟!".. ردت صديقتها ضاحكة: "شكله لسه جاي حالًا من قناة سبيستون".. ثم ضحكت مع صديقتها كما يفعل الجميع، مما جعل من شادي وفارس يقلبان النظر بين بعضهما البعض، ويشعر كلٌّ منهما بالإحراج.

سار ليث صوب فارس وشادي، واللذان كانا يجلسان في منتصف المقعد، وعلى يمينهم ويسارهم يجلس طلاب آخرون، فصعد ليث فوق الطاولات، وظلَّ يقفز من طاولة إلى أخرى، وفي كل مرة يقفز بها، كان يصطدم بأحدٍ ما قائلًا: معذرةً.. معذرةً.. أرجو المعذرة. وأخيرًا وصل ليث إليهما، فألقى بنفسه بينهما، ثم جلس وأخذ يحدث فارسًا: ألم أُنادِك! يبدو أنك لم تسمعني، كيف حالك؟ ثم التفت نحو شادي وأخذ يقول: وأنتَ يا شادي، كيف أنت؟.

هنا فزع الجميع عندما سمعوا صوت الصياح القادم من الدكتور أمجد، والذي أخذ يقول بعصبية تامة: "أنت يا حيوان! أنت مين أذن لك إنك تدخل؟! وأنت مين أصلًا؟ أنا أول مرة أشوفك معانا هنا؟ أنت جاي من أنهي داهية! واسمك إيه يله؟". علم ليث أنَّ الكلام موجه له، فهنا قام من مكانه وأخذ يتحدث إلى الدكتور أمجد: اهدأ أرجوكَ يا دُكتور.. لا تتعصب، إنَّ التعصُّبَ لا تُحمدُ عواقِبُهُ.. أنا ليث، انتقلتُ حديثًا إلى جامعة القاهرة، وهذه أُولَى محاضراتي. ما إن أنهى ليث حديثه، حتى عاد جميع من في القاعة إلى الضحك مرة أخرى، ساخرين من الطريقة التي يتكلم بها ليث، ولم يمنعوا الضحك إلا عندما أمرهم الدكتور أمجد بذلك.

عاد الدكتور أمجد إلى التحدث إلى ليث مرة أخرى، والذي كان لا يزال واقفًا: "أنت بتتكلم كده ليه يا سي ليث أنت؟".

–أرجوكَ قلْ يا لَيْث، أَخْرِجْ لسانَكَ في حرف الثاء. ضحكت نور والفتيات بصوت منخفض على كلام ليث، وتذكرن عندما قال لهنَّ ليث نفس الجملة السابقة.. استمر الدكتور أمجد في حديثه مع ليث قائلًا: "أنا محدش بيدخل المحاضرة بتاعتي بعدي، ومحدش بيتكلم في محاضرتي، ومحدش يستجري يلبس نظارة شمس في محاضرتي، وأنت ما شاء الله عملت التلاتة".

– لم أكن أعلم ميعاد أو مكان المحاضرة؛ لذلك تأخرت إلى أن وصلت، ولم أكن أعلم أيضًا أنَّ الكلامَ ممنوع، حسنًا فهمت.. لذلك إذًا لم تُجبني يا فارس، أليس كذلك؟ قالها ليث مخاطبًا فارسًا، فقام فارس في يئس منه بوضع يسراه على جبهته ناظرًا إلى الأرض دون كلام.. عندها صرخ الدكتور في وجهه: "أنت مبتفهمش يله.. مش لسه قايل لك الكلام ممنوع!".

– متأسفٌ يا دكتور.. اعذرني أرجوك.

– اخلع الهبابة اللي على وشك دي.

– ألستَ ترتدي مثلها يا دكتور؟

– اااااه.. شكلك كده عايز تسقط السنادي.

– حسنًا حسنًا.. سوف أنزعُها.

– أنت بتتكلم كده ليه يا أستاذ ليث.

– سرَّني أنك سألت.. دعني أقصُّ عليكَ القصة.. قد أصرَّ والدي في صغري أن....

قاطعه الدكتور قائلًا مبتسمًا: "شكلك هتحكي قصة حياتك، لا مش وقته، اقعد دلوقتي وبعد المحاضرة أو في وقت تاني، تبقا تيجي لي على مكتبي وتحكي لي قصتك بقا.. بس اخلع النظارة قبل ما تقعد". قام ليث بخلع نظارته الشمسية، ثم قام بإخراج نظارته الأخرى، والتي من خلالها يستطيع أن يرى ما حوله، وأصبح في وجهه ابتسامة فرح؛ لأنه شعر أنَّ الدكتور قد رضي عنه، ومرَّ الوقت سريعًا، وانتهت بذلك أولى محاضرات ليث، وانتهى معها اليوم الدراسي، وخرج الجميع وهم ينظرون صوب ليث ويضحكون في وجهه، وهو لم تزل الابتسامة على وجهه، وخرج رفقة صديقيه فارس وشادي، وقاموا بالتوجه نحو حديقة الجامعة، حيث يجلسون دائمًا، حيث مكان تجمعهم. وجاءت من ورائهم نور وبرفقتها غادة وهند، وتبادلن التحية مع فارس والآخرين، وكان جميع من يمر بجانبهم من باقي الطلاب، ينظرون إلى ذلك الشخص الغريب، والذي كانت ملابسه غريبة، وكانوا يضحكون ساخرين منه، والعجيب أنه لا يُلقي لهم بالًا، وأخذ شادي في سؤال ليث: "إيه يا ليث! عجبك أول يوم ليك هنا؟". ابتسم ليث قائلًا: لا بأسَ به، ولكني انزعجت عندما طلب

مني الدكتور نزع نظارتي، لا أدري لم فعل ذلك، على الرغم من أنه يرتدي نظارة هو الآخر.

– أيوة يا ليث مهو مش من المنطقي برده إنك تلبس نظارة شمس في قاعة المحاضرة!

تدخلت غادة في الحديث حيث أضافت: "وبعدين يا ليث الدكتور أمجد معروف عنه أنه مبيحبش يشوف حد لابس نظارة شمس، وإحنا أصلًا عمرنا ما شفناه من غير نظارته الشمس، ومحدش يعرف سبب لبسه ليها، فيه ناس بتقول إنه ممكن يكون عامل عملية في عينه، وعلشان كده بيفضل لابس النظارة ومبيخلعهاش، وأنا برجَّح كده برده". ابتسم فارس بعدما أكملت غادة كلامها، وبعد أن نظر إليه الجميع بسبب ابتسامته، أخذ يقول: "أنا النهارده بس عرفت ليه الدكتور أمجد مبيخلعش نظارته".

تفاجأ الجميع من كلامه، وأخذت نور في شغفٍ تسأله: "ليه يا فارس.. ليه؟".

– كلنا عارفين إن دكتور أمجد طرد ناس كتير كانت لابسة نظارة، لأنه بيكون فاكرهم بيتريقوا عليه، لكن الغريب أنه مطردش ليث، ودي أول مرة تحصل، أنه ميطردش اللي لابس نظارة، وطبعًا أكيد كلنا سمعنا إن الدكتور عز الدين الله يرحمه، أبو الدكتور أمجد.. هو كان مدرس مادة القانون الدولي العام قبل الدكتور أمجد، والكلام ده من تلاتين سنة تقريبًا، ولما مات جه الدكتور أمجد ومسك تدريس المادة دي من بعده، والغريب بقا إن لما ليث جاب سيرة والده، الدكتور أمجد مطردهوش، لأ، والأغرب إنه طلب من ليث إنه يعدي عليه علشان يكمل له القصة بتاعت والده، فأنا متأكد إن النظارة اللي الدكتور أمجد بيلبسها مش بتاعته، وإنما بتاعت

الدكتور عز الدين الله يرحمه، والدكتور أمجد مبيخلعهاش، لأنه واضح إنه متأثر بوالده خالص، وكان بيحبه قوي للدرجة اللي تخليه ميخلعش النظارة نهائي.

دُهش الجميع من استنتاج فارس الغريب، ولم يبدِ أحدٌ رأيه في ذلك الاستنتاج، ولكنَّ هندًا أخذت تقول: "زي العادة، بتدهشنا ديمًا باستنتاجاتك الغريبة دي يا فارس". فما كان من فارس إلا أن ابتسم ببرود تام، وكأنه لا يبالي بكلامها.. وفي حين صمتٍ من الجميع صاحت غادة: "أنا لازم أروح دلوقتي، عندي ميعاد مهم الساعة واحدة، والساعة بقت اتناشر وربع، فارس ممكن لو سمحت توصلني بعربيتك! لأني لو اخدت مواصلات مش هلحق أوصل قبل الميعاد بتاعي".

أومأ فارس برأسه موافقًا دون كلام.. وهنا وكأنَّ الغيرة قد دقت باب نور، إذ احمرَّ وجهها، وقالت خجلةً: "خلاص يلَّه يا هند، فارس هيوصلنا إحنا كمان بالمرة بعد ما يودي غادة". ضحك فارس وعلَّق ساخرًا: "اه ما أنا الشوفير بتاع معاليكم". ابتسموا جميعًا من تعليقه، وما إن أرادوا أن يذهبوا، حتى سأل شادي: "إلا صحيح هو طارق مجاش ليه النهارده يا فارس".

– اتصل بيا امبارح وقال لي إنه مش جاي النهارده لأنه تعبان، عنده شوية برد.

– تعبان! يلَّه طيب بعد ما توصل البنات نروح ونزوره؟

– مفيش مشاكل، هودي البنات ونطلع نزوره.

تدخل ليث في الحديث وقال متطفلًا: زيارةُ المريضِ واجبة.. فلا بدَّ لي وأن آتيَ مَعَكُمَا إليه.

نظر شادي إلى فارس وكأنه يقول له ماذا نفعل في أمر ليث هذا، فحرَّك فارس رأسه لشادي في هدوء، وكأنه يجيبه بأن لا بأس من مجيئه معهما إلى طارق. خرج فارس والآخرون من الجامعة وركبوا جميعًا سيارة فارس، حيث ركب ليث إلى جانب

فارس، وكان الآخرون في الخلف، ذهب فارس إلى منزل غادة، وقاموا جميعًا بتوديعها، وفعل المثل مع نور وهند، ولم يبقَ سوى شادي وليث في السيارة، وقام فارس باصطحابهما إلى منزل طارق، وكانت الساعة عندما وصلوا إلى منزله الواحدة والنصف ظهرًا.. أخرج فارس هاتفه متصلًا بطارق مخبرًا إياه بأنه بالخارج، فحينها طلب طارق من أخته سعاد بأن تذهب هي وتقوم بإدخال فارس، لأنه لا يمكنه الحراك.. فنفَّذت سعاد ما طلبه منها أخوها.. وخرجت وفتحت باب الشقة وقامت بتحية فارس وشادي قائلة: "ازيك يا فارس؟! أخبارك إيه.. وأنت يا شادي ازيك عامل إيه؟!". فبادلاها التحية، ثم سألا عن حالها، فأجابت: "الحمد لله أنا كويسة.. تفضلوا طارق مستنيكم جوة.. أدخل يا فارس تفضل أنت مش غريب، أنت عارف أوضة طارق فين".

توجه فارس مصطحبًا معه شادي وليثًا الذي لم يترك زاوية في المنزل إلا وتفحصها بعينيه.. ومن ثَمَّ دخل فارس غرفةً كانت مغلقةً، ومن ورائه شادي وليث، ليجدوا أنَّ طارقًا جالسٌ في سرير هذه الغرفة، لونه شاحب وصوته عندما بدأ يتكلم كان مبحوحًا إثر المرض: "إيه ده يا فارس، أنت مش لوحدك؟!".

– لا يا سيدي.. الأستاذ شادي والدكتور ليث معايا.

ابتسم شادي وقال ممازحًا: "إيه يا عم طارق نمشي؟!". فأجابه طارق مبتسمًا وهو يتألم من المرض: "لا طبعًا وأنا أقدر أقول حاجة زي كده.. ازيك يا ليث أخبارك إيه.. أنت قابلت الشباب في الجامعة ولا إيه؟".

–كيف حالُكَ يا طارق.. لا بأسَ عليك.. نعم لقد تقابلنا في الجامعة اليوم.. وكان يومًا حافلًا بالأحداث.

تدخل فارس قاطعًا لما بينهما من حديث، وتوجه بالكلام إلى طارق: "باين من وشك وصوتك إنك محتاج من أربع إلى خمس أيام راحة في البيت.. ومفيش داعي لدكتور يشوفك ولا حاجة.. خد بس شوية الأدوية اللي جنبك دول بانتظام، وهتبقا كويس". أخذ طارق نفسًا عميقًا ثم أخرجه ببطء شديد، ثم قال: "عييت فجأة كده امبارح.. تقريبًا لأني استحميت وجيت قعدت قدام المروحة على طول".

دخلت سعاد ذات السبعة عشر عامًا عليهم الغرفة، ماسكة بيديها أكوابًا من عصير التفاح الشهي، وطبقًا به قطع من الكعك، حينها صاح ليث: لقد أتيتِ في وقتِك.. أوشكتُ أن أموتَ جوعًا. حينها نظر شادي إلى فارس ونظر فارس هو الآخر إلى شادي، وظلَّ كلاهما يحاولان أن يكتما الضحك.. إلى أن قال طارق: "بألف هنا يا ليث.. حطي يا سعاد الصينية والترابيزة قدام ليث".

ذهبت سعاد ناحية ليث، متعجبةً من طريقة كلامه، ومن ثيابه أيضًا، فهي ومنذ أن فتحت لهم الباب وهي متفاجئة مما يرتديه.. وقامت بوضع العصير أمامه وأخذت تنظر خلسة نحو وجهه، لتجده غير مبالٍ تمامًا بها، وكلُّ ما يشغله هو العصير والكعك، فلم تفارق عينا ليث الكعك والعصير أبدًا.. فوضعتْ ما تحمل، ثم قامت بسؤال أخيها عما إذا كان يريد شيئًا آخر أم لا.. فأجابها: "شكرًا يا حبيبتي.. لو احتجت لك هنادي لك". فخرجت ومعها ألف سؤال في رأسها، لم تجد لهم إجابة، وقامت بإغلاق الباب من خلفها.. وظلَّ الأصدقاء يتحدثون فيما بينهم ويطيلون الحديث.

وما مر من الوقت لم يكن قليلًا، فقد قال فارس: "طيب.. يلَّه يا جماعة بقا، إحنا كده طولنا على طارق خالص.. وهو محتاج للراحة دلوقتي". فأجاب طارق: "طولتوا إيه بس! أنتم لحقتوا تقعدوا".

– الساعة بقت تلاتة العصر يا طارق.. يعني بقالنا عندك ساعة ونص.. يدوب كده.

حينها قاموا جميعًا وأراد طارق هو الآخر أن يقوم من سريره لكي يودعهم.. إلا أنَّ فارسًا منعه من ذلك.. وقام فارس وشادي بتوديعه.. وقام ليث هو الآخر بفعل ذلك قائلًا له: شكرًا على الطعامِ يا طارق.. ومرةً أخرى لا بأسَ عليك يا صديقي.. كنت آملُ أن آكلَ بعضَ الطعامِ كالدجاجِ واللحوم، ولكن لا أدري لِمَ فارس متعجلٌ بالرحيل هكذا.. حسنًا لابأس بالرحيل الآن.. وفي المرة القادمة سنأكل من طعامك يا طارق. ضحك طارق من كلامه.. وقال شادي وهو ممسكٌ به ليصطحبه: "يلَّه يا طفس خلينا نمشي".

نادى طارق أخته لكي تقوم بإخراجهم، وأتت في الحال وقامت بإخراجهم، وتوجهت مسرعة بعد خروجهم من المنزل نحو أخيها، سائلة إياه عن ذلك الشاب غريب الأطوار، حيث قالت: "طارق! مين صاحبك الغريب ده.. أنا أول مرة أشوفه.. وإيه اللبس اللي هو لابسه ده.. وهو بيتكلم كده ليه.. ده بيتكلم لغة عربية فصحى يا طارق". أجاب طارق ضاحكًا إثر كلامها: "ليث؟! ده ليث ده حكايته حكاية يا بنتي.. جيبي لنا بقا كبايتين عصير، وحتتين كيكة، وتعالي أحكي لك ليث ده قابلناه فين وإمتى وقصته كلها".

توجه ثلاثتهم نحو سيارة فارس، وأثناءَ سيرهم سأل شادي ليثًا: "أنت وقعت في الحب قبل كده يا ليث؟". فأجاب ليث مندهشًا: "ولِمَ السؤالُ يا شادي؟!".

– لا مفيش، بسأل عادي.

– انظر إلى سؤالِكَ يا شادي، ففيهِ الإجابة، لقد قلتَ هل وقعتَ في الحب! تعني بقولِكَ أنَّ الحبَّ كما الحفرة، من يقعُ فيهِ قد لا يستطيعُ الخروجَ مرةً أخرى، حتى

وإن خرج، فسيخرج وعليه آثارُ الترابِ وآثارُ السقوطِ في الحفرة، فسيخرجُ يا شادي منه وقد تحطَّمَ قلبُه وفؤادُه وتحطمت نفسيته أيضًا، وسيتحطَّمُ كلٌّ منَّا على حسبِ الحفرةِ التي سقط بها، فلو كانَ الحبُّ كبيرًا، لكانت الحفرة كبيرة، ولو كان الحبُّ صغيرًا، فسيأتي يومٌ ويكبر هذا الحب، إلى أن تصير حفرته كبيرةً أيضًا. تعجبَّ فارس وشادي من كلام ليث، والذي بدا جادًّا فيما يقول.. ثم أضاف شادي: "يعني أفهم من كلامك إنك محبتش قبل كده؟".

– ما لي وللنساءِ يا شادي وقد قالَ فيهم علقمةُ الفحلُ ما قال.

– مين قال إيه يا ليث؟

ضحك ليث من كلام شادي ثم قال: "علقمةُ الفحلُ كان شاعرًا في الجاهلية".

– أهي هيا الجاهلية دي يا ليث، هيا الجاهلية دي اللي أنا شاكك إنك جاي لنا منها.. المهم علقمة بتاعك ده قال إيه؟

– قد قالَ علقمةُ الفحل في النِّساءِ قولتَهُ الشهيرة.. إذ قالَ:

فإن تسألوني بالنساءِ فإنني ... بصيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ

إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُهُ ... فليسَ لهُ من وُدِّهنَّ نصيبُ

تبادل فارس وشادي النظر وكان على وجه كلٍّ منهما علامة استفهام، حيث كانا متعجبين من تعمق ليث الشديد في اللغة.. وأخيرًا قد وصلوا جميعًا إلى السيارة، وبعد ركوبها قام فارس بالرجوعِ من الطريق الذي أتوا منها، ولكنها كانت مغلقة بسبب شجارٍ عنيفٍ كان دائرًا بين أهل المنطقة وبعضهم البعض.. فتفاجأ فارس من الكم الهائل والضخم من الناس في ذلك الشجار.. فقال ليث والذي تعجب هو الآخر من ذلك الشجار: يا لهُ من شجارٍ عنيف.. دعنا نستمتع بالمشاهدة يا فارس. فأجاب فارس وهو يقوم بإرجاع السيارة: "نتفرج مين! خلينا نروَّح يا عم ليث".

وقام فارس بالذهاب من طريق ثانية لم يكن يعلمها.. وبعد مضي بعض الوقت أخذ شادي في سؤاله: "أنت عارف إحنا ماشيين فين يا فارس".

– والله يبني أول مرة أمشي من هنا.

– طيب اقف طيب نسأل حد ولا حاجة.. إحنا بقالنا نص ساعة سايبين بيت طارق ومع ذلك مش عارفين إحنا ماشيين فين.

– خلاص حاضر.. هقف أهه علشان نسأل.

أوقف فارس سيارته على جانب الطريق، ونزل الثلاثة من السيارة منتظرين مرور شخص ما لكي يسألوه.. وكان بالجوار يوجد منزل ضخم مكون من طابقين كبيرين على الناحية الأخرى من الطريق، وبجانبه بعض المنازل الصغيرة.. فجاءت من هذا المنزل صرخة مدوية.. كانت كفيلة بأن تصيب فارس والآخرين بالهلع.. أسرع إثرها فارس ومن ورائه شادي وليث تجاه المنزل الضخم هذا.. وكان بابه مفتوحًا، وبدخوله المنزل بدأ يسمع صوتَ بكاءٍ قادم من الطابق الثاني.. وكان هذا البكاء لشخص يقول وهو يبكي: "بابا.. بابا".

صعد فارس مسرعًا على الدرج إلى مصدر ذلك الصوت، وبعد وصوله إلى الطابق الثاني، سمع صوت الشخص الذي كان يبكي وهو لا يزال مستمرًا في البكاء، وكان الصوت قادمًا من تلك الغرفة التي كانت في وجه الدرج مباشرة، فتوجه فارس رفقة شادي وليث –واللذين لحقا سريعًا– به نحو الغرفة لتكون الصاعقة؛ حيث وجدوا شخصًا جالسًا على كرسيٍّ في منتصف الغرفة الضخمة جدًّا، وهذا الشخص كان متلقٍّ لعيارٍ ناريٍّ في رأسه من الجهة اليمنى، وكان يرتدي نظارةً شمسية.. وسبب صدمة فارس والآخرين أنَّ هذا الشخصَ هو نفسه الدكتور أمجد.

وكان يوجد أيضًا في الغرفة شخصان آخران، أحدهما جالسٌ على الأرض على ركبتيه، واضعًا يديه على ركبتي الدكتور أمجد.. وواضعًا وجهه على يديه، وكان هو صاحب صوت البكاء.. وأما الشخص الآخر فكان جالسًا على الأرض، مستندًا على الجدار، معالم الدهشة والصدمة واضحة جدًّا على وجهه، وكان وجهه في وجه باب الغرفة.. ومع ذلك لم يلتفت حتى إلى فارس ومن معه عند قدومهم ودخولهم إلى الغرفة.. قام فارس بإخراج هاتفه واتصل بالرائد سليمان مخبرًا إياه ما حدث، وأخبره بأنَّه لا يعلم عنوان المنزل تحديدًا، ولكن قام بوصف الطريق للرائد، فعلم الرائد من وصف فارس عنوان المنزل.. ثم قاما بإنهاء المكالمة.

ومن ثمَّ توجه فارس نحو الشخص الذي كان يبكي وطلب منه الوقوف، وطلب من الشخص الآخر النهوض أيضًا، وقال لهم بأنَّ عليهم الخروج من الغرفة إلى أن تأتي الشرطة.. فسأله الشخص الذي كان يبكي: "أنت مين؟ ودخلت هنا ازاي؟". فأجابه فارس: "أنا طالب عند دكتور أمجد.. والباب كان مفتوح.. المهم يلَّه لازم كلنا نسيب الأوضة ونطلع لحد ما الشرطة تيجي.. أنا بلَّغتهم وهم في الطريق".

أمسك فارس بالشخص الذي كان يبكي وقام بإسناده، وطلب من شادي وليث بأن يمسكا بالشخص الآخر؛ لأنه من المؤكد أنَّ الصدمة كانت شديدة عليه ولن يستطيع النهوض من الغرفة بمفرده.. وخرجوا جميعًا من الغرفة وقام فارس باصطحاب الشخص الباكي نحو الأريكة، وأخذ يجلسه عليها بخارج الغرفة.. وقام شادي وليث بإقعاد الشخص الآخر بجانبه.. ثم همس فارس إلى شادي وليث قائلًا: "لو حد منهم تحرك أو عمل أي حاجة مريبة، نادوا عليا فورًا.. أنا داخل الأوضة أشوف إيه اللي حصل بالضبط". اندهش ليث من كلام فارس الذي قاله، ودُهش

أكثر عندما سمع شادي يجيبه ويقول: "تمام يا فارس متقلقش، روح أنت شوف اللي حصل، وإحنا واقفين هنا".

ذهب فارس وتركهم.. وأخذ ليث يسأل في شادي بصوت منخفض لا يسمعه الشخصان: ماذا عنى فارس بقولهِ إنَّه سيذهبُ لكي يعلمَ ما حدث.. ولماذا لم ينتظرْ مَعَنَا قدومَ الشرطة.. عليهِ يا شادي ألَّا يعبثَ في الغرفة، حتى لا يعرقل مسارَ التحقيقِ على الشرطة. فأجاب شادي في تأفف من سؤال ليث: "يا ليث افهم بقا.. فارس تعرض لمواقف زي دي كتير.. وحل قبل كده جرايم كتير.. وساعد الشرطة كتير قوي.. أصلًا الرائد سليمان اللي جاي ده واللي فارس اتصل بيه.. بيعتمد على فارس في قضايا كتير.. فارس يا ليث عنده ذكاء خارق كفيل إنه يخليه يحل أي قضية".

مرَّ بعض الوقت إلى أن سمع ليث وشادي صافرات سيارات الشرطة قادمة من بعيد.. وحينها كان فارس قد خرج من الغرفة، وتوجه نحو الدرج، ونزل عليه وتوجه إلى باب المنزل، لكي يستقبل الرائد سليمان.. وكان الرائد ومعه فريق البحث الجنائي وطاقم العمل بأسره، قد وصلوا وفي أهبة الاستعداد للتحقيق فيما حدث.. قام فارس باصطحابهم جميعًا نحو الغرفة الكبيرة والتي وجدوا القتيل فيها.. ودخل الرائد سليمان مع فارس إلى الغرفة، ليجد الرائد نفسه في غرفة فارغة تمامًا من أي أثاث، عدى طاولة مكتب وعليها جهاز الحاسب المحمول، وبجانبه هاتف جوال، وكرسي أيضًا ويوجد عليه الضحية.. فيما عدى ذلك، فلا يوجد أيُّ شيءٍ آخر في هذه الغرفة الضخمة والفسيحة.

توجه فريق البحث الجنائي نحو الجثة، وبدأوا بالعمل، ومن ورائهم الرائد يراقب ويعاين الجثة من الخلف، وتوجه الرائد ناحية الطاولة ليجد جهاز الحاسوب يعمل

ومتروكٌ عليه رسالة مفادها كالآتي: "أنا الدكتور أمجد.. قررت أنهي حياتي في أوضة مراتي الغالية رحمة الله عليها، وكمان وأنا لابس نظارة والدي الله يرحمه.. كانوا هما الاتنين أغلى شخصين عندي، أغلى حتى من عيالي التلاتة.. أنا زهقت من وحدتي وحياتي الروتينية البائسة، ومليت من كوني عايش لوحدي بين أربع حيطان.. أظن كفاية لحد هنا".

بدأ الرائد سليمان يقرأ ما ورد في نص هذه الرسالة بعينيه ويتعجب مما يقرأه، وبعد أن أنهى ما قرأه.. توجه بالحديث نحو البحث الجنائي قائلًا: "اعرفوا لي زمن الوفاة.. وطابقوا بين الرصاصة اللي لقيناها على الأرض، وبين نوع رصاص المسدس.. وشوفوا هل هي فعلًا الرصاصة اللي دخلت رأس الضحية ولا لأ.. وعاينوا هل فيه بصمات غير بصمات الضحية على المسدس ولا لأ، وشوفوا برده الكيبورد بتاع اللاب توب عليه بصمات الضحية ولا لأ". ثم أخرج الرائد علبة سجائره، وقام بإخراج ولاعته وبدا عليه الغضب الشديد؛ ثم قام بإشعال السيجارة وأخذ في تدخينها.

وبعد مضي لحظات أخذ الرائد سليمان في النظر ناحية باب الغرفة حيث يقف الجميع.. ثم بدأ في التحدث إلى الشخص الذي كان يبكي بين قدمي الضحية وأخذ يسأله: "اسمك وسنك؟ وعلاقتك إيه بالضحية؟". فأجابه ذلك الشخص في توترٍ قد بدا جليًا عليه: "اسمي شريف أمجد عز الدين، عندي تلاتين سنة.. أنا ابنه".

– ابنه؟! وشغال إيه بقا يا سي شريف؟

– مدرس ثانوي في مدرسة الثانوية المشتركة.. بدرس رياضيات.

– طيب يا شريف والدك كاتب في الرسالة إنه عايش لوحده.. ممكن تفهمني ازاي؟ أقصد يعني اخواتك وأنت ساكنين فين؟

– يا فندم أنا متجوز وعايش أنا ومراتي بعيد عن هنا مسافة بالعربية مدتها ساعة تقريبًا، وأخويا يوسف عايش في السكن الجامعي، لأنه لسه طالب.. أما بقا أخويا أحمد فعايش مع مراته وعياله في المقطم.. يعني بعيد عن هنا حوالي نص ساعة.. وبابا من ساعة ما ماما ماتت من خمس شهور، وهو مش مضبوط.. وهو حاسس إنه ناقصه حاجة.. حاسس بوحدة شديدة.. لأنه كان بيحبها جدًّا حضرتك.

– تمام تمام فهمت.. احكِ لي بقا اللي حصل بالضبط، وياريت بالتفصيل الممل، من أول اكتشاق الجثة تم ازاي.. لحد ما وصلنا إحنا هنا.

– حضرتك أنا خرجت من المدرسة في الميعاد المعتاد بتاعي، الساعة واحدة الظهر.. وبعد كده روحت البيت بتاعي، وكانت ساعتها في حدود واحدة ونص.. أخدت دش سريع كده وكلتلي لقمة خفيفة.. وبعدين خرجت من البيت وقررت آجي أزور بابا، لأنه زي ما قلت لحضرتك بقاله فترة مش مضبوط.. وأصلًا أنا بقالي فترة مزرتوش، فوصلت البيت هنا على الساعة تلاتة تقريبًا، وطلَّعت المفتاح وفتحت باب الشقة.. آه نسيت أقول لحضرتك.. كل واحد فينا إحنا التلاتة، أنا واخواتي يعني، معانا مفتاح للشقة.. المهم طلَّعت المفتاح ودخلت لقيت جزمة بابا جنب الباب، مكان ما بيخلعها ديمًا لما يكون في البيت، ففهمت إنه رجع من جامعته.. أصل والدي دكتور في كلية حقوق جامعة القاهرة، فضلت أنادي عليه وأنا لسه في الدور الأول.. يابابا.. يابابا.. ملقيتش أي رد خالص، فطلعت الدور التاني، فاتصدمت لما لقيت باب أوضة والدتي مقفول، واللي من ساعة ما هيا ماتت، الباب ده عمره ما اتقفل.. وده بأمر من بابا.. قال لنا لما تبقوا تيجوا البيت، اوعوا تقفلوا الباب ده أبدًا؛ علشان ذكرى والدتكم متتنسيش.

صمت شريف قليلًا، وبعد أن التقط بعض الأنفاس، أكمل قائلًا: "وبعدين سعادتك أنا فضلت أنادي وأخبط على باب الأوضة، ومحدش بيرد برده.. فطلّعت تيليفوني واتصلت بأبويا.. فلقيت تيليفونه بيرن وصوته جاي من أوضة والدتي المقفولة.. ومع ذلك محدش بيرد.. فضلت أرن كذا مرة وأنادي وأخبط.. وبرده محدش بيرد لا على التيليفون، ولا من الأوضة.. فجيت أفتح باب الأوضة، لقيته مقفول من جوة.. فقلقت واتصلت بأحمد أخويا.. لقيت تيليفونه مغلق.. فاتصلت بيوسف فرد عليا بصوت نايم كده، فحكيت له اللي حصل فجه فورًا".

وبينما أراد شريف أن يكمل قصته، قاطعه الشخص الآخر والذي كان برفقته في الغرفة عندما اكتشفا الجثة، وأخذ هذا الشخص يقول: "هكمِّل أنا من هنا يا حضرة الضابط.. أنا يوسف أخو شريف، عندي اتنين وعشرين سنة.. زي ما شريف قال لحضرتك بالضبط، أنا لسه طالب، وبدرس في كلية طب.. وكنت في شقة السكن الجامعي بتاعتي نايم لما شريف اتصل بيا وحكى لي اللي حصل، فصحيت فورًا وجيت على طول، علشان ألاقي شريف أخويا مستنيني تحت البيت، وطلعنا أنا وهو على طول أول ما أنا جيت.. وفضلت أخبط وأنادي.. فشريف قال لي مفيش فايدة يا يوسف أنا بخبط وأنادي من زمان، إحنا لازم نكسر الباب.. ففضلنا نضرب الباب بكتفنا بالجامد لحد ما كسرناه.. وأول ما الباب اتكسر وشوفنا بابا في الوضعية دي، جرينا عليه إحنا الاتنين، وأنا اتفحصت نبضه، بس للأسف الوقت كان فات.. أنا الصدمة غلبتني ورجلي مكنتش شايلاني، فوقعت على الأرض ومقدرتش أقوم تاني، وشريف أخويا فضل يعيط ويزعق.. لحد ما الأساتذة دول جم على صوت زعيق شريف، وأكيد من لخبطتنا إحنا نسينا نقفل باب الشقة ورانا، علشان كده هم عرفوا يطلعوا".

بعد انتهاء يوسف من حديثه، أخذ الرائد سليمان يهزهز رأسه مشيرًا بأنه قد فهم مجريات الأمور.. ثم حرَّك رأسه ناحية ليث وتوجه صوبه وقال: "وطبعًا أنت أخوهم التالت أحمد.. ها عرفني شغال إيه.. وعرفت ازاي اللي حصل؟". ارتعب ليث من سؤال الرائد له، وأخذت قدماه تصطدمان ببعضهما البعض، وأجاب في توتر وقلق شديدين: أنا لستُ أحمد.. أنا ليث السباعي ليث.. أنا صديقُ فارسٍ وشادي، وكنتُ مَعَهُمَا عندما أتيا إلى هنا، وهما يشهدان على هذا، فإذًا أنا بريءٌ من هذه التهمةِ الشنيعة، وأنا لستُ من قتلَ الدكتورَ أمجد، وأنا أعترضُ على اتِّهَامِكَ لي، جِدْ دليلًا أولًا، ثم اتهمني كما يحلو لك، ولكن لا تلقِ بتهمك هكذا على الآخرين.

نظر الرائد في تعجب ودهشة إلى كل من في الغرفة، وعندما وقعت عيناه على فارس، قال متحدثًا إليه: "إيه ده! إيه الكائن ده!". فاقترب فارس مبتسمًا من الرائد، ثم أخذ يشرح له هامساً في أذنه: "ليث ده حضرتك صاحبنا فعلًا زي ما قال لحضرتك.. وهو بيتكلم كده لأن دي وصية والده ليه قبل ما يموت.. وهو ارتبك بس من سؤال حضرتك ليه.. هو طيب وغلبان ميقصدش حاجة يعني، المهم بس دلوقتي نعرف أحمد أخوهم ده فين، ومظهرش لحد دلوقتي ليه". بعد انتهاء فارس من تفسيره للرائد، قام الرائد بالنظر إلى ليث في تهكم وسخرية، ثم توجه نحو يوسف وشريف سائلًا إياهما: "أخوكم أحمد ده فين؟!". فأجابه شريف على الفور: "أنا لما اتصلت بيه كان تيليفونه مقفول.. ثانية أحاول اتصل بيه تاني حضرتك".

أخرج شريف هاتفه المحمول على الفور، وقام بالاتصال بأخيه، والذي بدوره أجاب هذه المرة، وبعد أن قص عليه شريف ما حدث.. صُدم مما سمعه، وقال بأنه قادمٌ حالًا، ثم أخبر شريف الرائد بأنَّ أحمدَ قادمٌ الآن، وبينما كان الرائد منهمكًا في الحديث مع الأخوين، جاءه أحد أفراد البحث الجنائي قائلًا: "حضرتك الجريمة

وقعت ما بين الساعة واحدة ونص لاتنين ونص، ولما طابقنا الرصاصة اللي كانت على الأرض، بطلق المسدس، لقيناهم من نفس النوع.. وفعلًا المسدس هو المستخدم في الجريمة، والمسدس مكنش عليه أي بصمات خالص غير بصمات الضحية، والكيبورد بتاع اللاب توب مش موجود عليه غير بصمات الضحية بس برده، ومفيش أي آثار للمقاومة على المجني عليه.. يعني على الأغلب ده انتحار، واللي يأكد كده إننا وبعد ما فحصنا الأوضة والجثة كويس جدًّا.. لقينا إن الأوضة كانت مقفولة من جوة بالترباس والمفتاح كمان.. والأخطر من كده إن المفتاح اللي الأوضة اتقفلت بيه، كان في جيب قميص الضحية، يعني مستحيل يكون حد قتله وخرج، وقفل الأوضة من برة بالترباس وبالمفتاح كمان، وبعد كده دخَّل المفتاح في جيب الضحية، وكل ده وهو برة الأوضة".

تعجب الرائد جدًّا مما سمعه، ثم التفت نحو شريف وسأل: "هو الأوضة دي ليها كام مفتاح؟". فأجاب الأخير: "مفتاح واحد سعادتك، وبيفضل مع والدي ديمًا".

– طيب المسدس اللي عرفنا إن الضحية ماتت بيه ده، مسدس مين؟!

– مسدس والدي سعادتك، والدي كان جايبه ومرخَّصه علشان يحمي بيه نفسه، لأنه زي ما قلت لحضرتك عايش لوحده هنا.

– إمممم، الموضوع مريب.

ثم توجه الرائد نحو نافذة الغرفة، ليجدها مغلقة بإحكام شديد، ثم وبعد أن نظر إليها قال: "الشباك ده مقفول كويس.. ومستحيل أصلًا إن حد يقدر يفط من الدور التاني من هنا.. وكمان لو عمل كده، يضمن منين إن محدش هيشوفه والوقت ساعتها كان الظهر، الجريمة بتقول إنها شكلها انتحار فعلًا.. المهم برده نستنى أحمد ييجي ونسمع أقواله".

بضع دقائق كانت كفيلة بأن يصل أحمد، والذي جاء مسرعًا وعلى عجالة من أمره، يتصبب العرق منه ويلهث، إذ كان لا يستطيع أن يلتقط أنفاسه.. فطلب منه الرائد بأن يهدأ، وبعد أن هدأ أخذ الرائد في سؤاله عن وظيفته وعمره، وعن سبب غلق هاتفه عندما اتصل به أخوه شريف في المرة الأولى.. فأجاب أحمد وهو يصارع الهواء، محاولًا سحب الهواء كله الموجود بالغرفة: "حضرتك أنا موظف في بنك القاهرة، عندي سبعة وعشرين سنة.. أنا مراتي كانت واخدة العيال وسافرت بلدهم، لأن والدتها عيانة.. فأنا قلت فرصة بقا أأجز لي من البنك النهارده، وأقعد في البيت، وأهو مش هتعب من دوشة العيال والخناق بينهم كل يوم والتاني.. فأخدت إجازة من البنك النهارده، وريحت طول اليوم في البيت، فكنت قافل تيليفوني، علشان محدش يزعجني".

أنهى أحمد مقولته ثم أخذ الرائد يهزهز رأسه في صمت، ثم توجه بالسؤال إلى يوسف: "أنت كنت فين يا يوسف من الساعة اتناشر لحد الساعة تلاتة؟". أجاب يوسف في شيءٍ من الربكة: "حضرتك أنا طلعت من الجامعة الساعة اتناشر، وروحت مع تامر صاحبي الشقة بتاعتنا، ودخلت الأوضة ومخرجتش منها غير لما شريف اتصل بيا، يعني على الساعة تلاتة كده، ولما وصلت هنا كانت تلاتة ونص".

– عندك دليل على كلامك ده؟!

– آه.. تامر صاحبي يشهد إني كنت معاه طول اليوم في الجامعة، وحتى بعد ما طلعنا من الجامعة وروحنا البيت سوى، لحد ما طلعت من الشقة على اتصال شريف.

– طيب اتصل لنا بتامر صاحبك ييجي على هنا.. هو عارف عنوان البيت؟

– آه عارفه.. هتصل بيه أهه.

دار الرائد بناظريه تجاه شريف ثم سأل: "وأنت يا شريف.. كنت فين من اتناشر لحد تلاتة؟".

– أنا الساعة اتناشر كنت في المدرسة، وخرجت منها على واحدة، وروَّحت زي ما قلت لحضرتك قبل كده على واحدة ونص تقريبًا، على ما طلعت من البيت تاني كانت اتنين، وكنت هنا الساعة تلاتة".

– وعندك شهود على كلامك ده؟

– آه.. مراتي تشهد إني كنت في البيت من واحدة ونص لحد اتنين، وزملائي في المدرسة كلهم يشهدوا إني كنت في المدرسة لحد اتناشر.

– طيب ومن اتنين لتلاتة؟

– حضرتك أنا قلت قبل كده إن الطريق من بيتي لهنا، حتى ولو راكب أسرع عربية في العالم، هياخد في حدود ساعة.. يعني حضرتك لو تأكدت من مراتي إني خرجت من البيت اتنين بالضبط.. يبقا أكيد أنا وصلت هنا على تلاتة مش هيكون قبل كده.

– خلاص ابعت لمراتك خليها تيجي، مع إن شهادة الزوجة في مثل المواقف دي، لا يعتد بيها، بس برده ابعت لها خلينا نحقق معاها.

سكت الرائد قليلًا، ثم نظر إلى أحمد وقال: "وأنت يا أبو حميد كنت فين من اتناشر لتلاتة؟".

– زي ما قلت لحضرتك أنا كنت نايم طول اليوم في البيت، ومكنش معايا حد في البيت.. يعني للأسف مفيش شهود على كلامي ده.

– إمممم مفيش شهود! كده بدأت اتوغوش يا أبو حميد.. عمومًا خلينا نتأكد الأول من أماكن تواجد اخواتك، ونتاكد من الناس اللي هما قالوا عليهم دول.

وفي هذه الأثناء أخذ ليث بصوتٍ عالٍ يقول: أنا لديَّ اقتراحٌ قد يفيد، أنا أقتر.... قاطعه الرائد سليمان ساخرًا يقول: "أنت تسكت خالص، ومش عايزك تنطق بكلمة واحدة".

–لماذا! قد يكونُ اقتراحًا جيدًا.

– يَلَه اسكت بقول لك.

–حسنًا أنت الخاسر، سأصمت.

ضرب الرائد بكفيه على بعضهما البعض من غضبه من ليث، وبعد لحظاتٍ قد مرت أخذ يمسك رأسه بشدة، وكأنَّ الحيرة ستقتله، وأخذ يتساءل في قرارة نفسه: "انتحار؟! طيب حد من عياله قتله؟! حد غريب أصلًا دخل البيت وقتله ومشي؟! بس الغريب هيدخل ازاي ويخرج من غير ما يسيب أي أثر على كده، وبعدين هيستفيد إيه إنه يبين إنها انتحار، ما كان قتله ومشي وخلاص..اااااه راسي هتنفجر".. وكان فارس في هذه الأثناء في قمة هدوئه، إذ كان يتجول في الغرفة بهدوء شديد، وقام بالوقوف أمام جثة الدكتور أمجد يدقق فيها بعينيه تدقيقًا شديدًا، لافتًا أنظار أفراد التحقيق، وكان الرائد يختلس النظر نحو فارس بين الفينة والأخرى، إذ كان منتظرًا منه أن يقول أيَّ شيء يساعد في مجريات التحقيق، كما يفعل دائمًا.

وكان الأخوة الثلاثة كأنَّ على رؤوسهم الطير، فلا يصدر من أيٍّ منهم أيَّ شيء.. حتى مرت ساعة، وفيها وصل تامر صديق يوسف، ورشا زوجة شريف، ومع وصولهما بدأ الرائد يمارس معهما تحرياته، فأخذ في سؤال رشا: "هل فعلًا شريف زوجك كان في البيت في الفترة ما بين واحدة ونص لحد اتنين؟". فأجابته مبدية ربكة على وجهها وفي كلامها: "آه.. هو فعلًا وصل البيت على واحدة ونص كده، واستحمى وكَل، وبعد كده خرج تاني على الساعة اتنين".

- وطبعًا كون حضرتك تاخدي ساعة في الطريق، من ساعة ما شريف كلمك لحد ما توصلي هنا، فده بيأكد صدق كلام شريف بأنه لما خرج من بيتكم الساعة اتنين وكان جاي على هنا، وصل هنا الساعة تلاتة فعلًا، يعني مكنش يلحق يوصل قبل كده، وده دليل براءة قوي لشريف، وفعلًا بعد الاطلاع على العنوان في البطايق بتاعتكم، المكان ده بيبعد عن هنا حوالي ساعة بالعربية.. بس برده منقدرش نهمل جزئية إن ممكن حضرتك تكوني متفقة معاه على الجريمة دي.

- نعم! ازاي حضرتك تتهمنا بتهمة خطيرة زي دي، أنا أعترض على الإهانة غير المقبولة دي.

- يا ستي ولا إهانة ولا حاجة، أنا بس بدردش معاكي، المهم.. أنت يا تامر تشهد إن يوسف كان طول اليوم معاك فعلًا زي ما قال لنا؟

أخذ تامر يخرج الكلام من فمه وكأنما يخرج الجمر من النار: "مضبوط حضرتك، أشهد بكده، إحنا كنا في الجامعة من الساعة سبعة الصبح لحد الساعة اتناشر الظهر، وخرجنا اتناشر روحنا شقتنا في السكن الجامعي، واللي بتبعد خمس دقايق عن الكلية، ولما رحنا الشقة، يوسف مخرجش من الأوضة بتاعته غير على الساعة تلاتة كده وهو مخضوض، ولما سألته فيه إيه، قال لي إن باباه شكله عيان وهو رايح يطمن عليه".

وبينما كان تامر يتحدث، أخرج الرائد سيجارته وهو منصت بتمعن لما كان يقوله تامر، وبعد أن أنهى تامر حديثه قال الرائد: "وده برده دليل براءة قوي ليوسف، لأنه وعلى كلام تامر، إن يوسف مخرجش من البيت من اتناشر لحد تلاتة، إلا بردك لو كان الاتنين متفقين على إنهم يقولوا الكلام ده للشرطة". فأخذ التوتر يسيطر على

تامر، وتهته قائلًا: "أنا.. أنا معرفش حضرتك بتتكلم عن إيه.. أنا قلت كل اللي أعرفه، وبعدين أنا هستفيد إيه لما أكدب يعني!".

حرك الرائد رأسه إيجابًا في صمت، ثم توجه بالنظر إلى أحمد وقال: "كده تأكدنا من حجة غياب اخواتك يا أحمد، لسه أنت". فأجابه أحمد في ثقة تامة: "مفيش داعي حضرتك تتعب نفسك.. الجريمة باينة إنها انتحار.. بابا من زمان هو بيفكر في الانتحار أصلًا وإحنا التلاتة عارفين كده كويس.. ثم تفسر بإيه الرسالة المكتوبة على اللاب بتاعه دي.. وتفسر بإيه اللي أنا عرفت إن التحقيق قاله، إن الباب كان مقفول بالترباس وكمان بالمفتاح، وفوق ده كله المفتاح كان في جيب بابا، وطبعًا أحب أقول لحضرتك إن الأوضة دي ملهاش غير مفتاح واحد، ففيه حد حضرتك يقدر يقفل الباب بالترباس من برة الأوضة! ويقفل بالمفتاح ويحطه في جيب الضحية! وكل ده وهو برة؟!".

صمت الرائد قليلًا ثم أردف يقول: "مخبيش عليك كلامك منطقي.. بس نضمن منين إن محدش منكم أنتم التلاتة عمل نسخة من المفتاح من غير ما الاتنين التانيين يعرفوا، ونضمن منين برده إنكم مش منسقين الكلام مع بعض أنتم التلاتة، وبتكدبوا بخصوص إن مفيش غير نسخة واحدة بس لمفتاح الباب". ابتسم أحمد ساخرًا وقال: "هفرض مع حضرتك جدلًا إننا فعلًا كدبنا بخصوص جزئية المفتاح.. تقدر تقول لي ازاي قفلنا الترباس وإحنا كنا برة الأوضة! وحضرتك متقوليش إننا كدبنا برده بخصوص إن الباب كان مقفول، لأن التحقيق أكد ده.. هي باينة معاليك إنها انتحار.. بابا أصلًا مش مضبوط بقاله فترة".

ظل الرائد صامتًا يفكر، ثم قطع شريف لحظة تأمله قائلًا: "للأسف يا حضرة الضابط كلام أحمد أخويا صح، بابا من ساعة موت ماما وهو تعبان، وكان حاسس

بالوحدة".. وبعد أن صمت شريف، أضاف يوسف: "وأنا كمان بأكّد لحضرتك كلام اخواتي يا باشا.. بابا فكر كتير في الانتحار وإحنا منعناه كذا مرة". ثم أخرج الرائد زفيرًا طويلًا جدًّا، وكان هذا الزفير مصحوبًا بدخان السجائر، والذي ساد أرجاء المكان، وكان الحزن باديًا على الرائد.. حينها نطق ليث مخاطبًا الرائد: لا يُصيبنَّكَ الحزنُ جرَّاءَ ما حدثَ يا حَضْرةَ الضابط.. ما حدثَ قد حدث، لن نستطيعَ تغييرَ الواقع.

نظر الرائد إلى ليث، وكان يضغط بكل قوته على السيجارة التي كانت في فمه، كاظمًا بذلك الغضب الذي يكنّه تجاه ليث.. وكاد يتكلم سابًّا ليثًا، إلا أنَّ فارسًا تدارك الموقف وقال محدثًا الرائد: "الجريمة أعقد من إنها تبقا انتحار معاليك". حينها ابتسم الرائد مجددًا وكأنما عادت إليه روحه التي سلبها الإخوة الثلاثة، وأخذ يسأل فارسًا: "تقصد إيه يا فارس بكلامك ده؟!".

– أقصد حضرتك أقول إني عارف إنها جريمة قتل مش انتحار.

تفاجأ الحضور جميعًا من كلام فارس، والذي كانت ملامحه مليئة بالثقة، وصاح ليث قائلًا: جريمةُ قتل! منْ يا فارس القاتلُ إذًا؟! فصاح الرائد سليمان قائلًا: "الشيء ده كل ما بيتكلم بيعصبني، سكِّتوه بدل ما أقسم بالله أحبسه هو". فاحمرَّ وجه ليث مما سمعه، وقام بإغلاق فمه، وأخذ شادي يتحدث إليه قائلًا: "يبني اسكت بقا بدل ما نلاقيك بتتحبس مع المجرم".

فلما رأى الرائدُ أنَّ ليثًا قد صمت، أدار وجهه نحو فارس ثم قال في شغفٍ لم يستطع أن يداريه: "ها يا فارس كمل.. عرفت ازاي إنها جريمة قتل مش انتحار؟". فبدأ فارس في سرد استنتاجه: "مبدئيًّا كده اللي عرفني إنها جريمة قتل مش انتحار، كذا حاجة.. وهما أولًا: ليه الدكتور أمجد هينتحر على الرغم من إنه كان في الجامعة

الصبح، وكان زي الفل ومبيعانيش من أي ضغوطات خالص، فلو كان بيفكر في الانتحار، مكنش جه الجامعة أصلًا، أو كان جه وعلى الأقل هيبان عليه التعب أو الضغط النفسي، ثانيًا: ليه كان قافل باب الأوضة اللي انتحر فيها على الرغم من إن محدش ساكن معاه في البيت؟! كلنا عارفين إن المنتحر لما بيقفل باب الأوضة أو باب الحمام عليه علشان ينتحر، فهو بيعمل كده علشان محدش من أهل البيت اللي عايشين معاه يدخل يمنعه من انتحاره، أو حتى يلحقه وينقذه بعد ما انتحر، فدكتور أمجد هيستفيد إيه من قفل الباب، مهو كده كده عايش لوحده في البيت، ثالثًا بقا والأهم: هو إن المنتحر بيبقا لازق فوهة المسدس في رأسه.. ونتيجة إطلاق النار بينتج حرق في رأس المنتحر بسبب سخونية فوهة المسدس، وطبعًا الحرق ده مش موجود، معنى كده إن الرصاصة مضروبة من بعيد في رأس الدكتور أمجد.. دي كل العلامات اللي عرفت من خلالها إنه مش انتحار سعادتك".

اتسعت حدقتا عين الرائد سليمان من استنتاج فارس، وبدأ كلامه المعتاد في مثل تلك اللحظات في قرارة نفسه، عن مدى قدرة فارس العجيبة على ملاحظة أصغر الأمور، وعن مدى براعته في ربط الأحداث ببعضها البعض.. ثم أخذ في سؤاله: "طيب والقاتل يا فارس، هنعرفه ازاي؟!". أخذ فارس شهيقًا طويلًا، ثم أكمل: "أنا أول ما دخلت الأوضة عرفت إنها كانت مقفولة واتفتحت عن طريق كسر بابها، وعرفت كمان إنها كانت مقفولة بالترباس والمفتاح، وده لأن لسان الباب كان طالع، وكمان الترباس كان مفتوح، ومكان قفله اللي في الحيطة كان مخلوع، ولما روحت لشريف علشان أشيله وأخرجه من الأوضة، لمحت المفتاح في جيب القميص بتاع الدكتور، فجه في بالي إنه ممكن يكون مفتاح الأوضة دي، وبعد ما خرَّجنا شريف ويوسف، رجعت تاني وتأكدت من كده فعلًا.. إنه هو مفتاح الأوضة".

صمت فارس قليلًا، وأخذ يقلب النظر في وجوه الجميع، ليراهم جميعًا منصتين في تركيزٍ شديد لما يقوله، ثم أكمل قائلًا: "طبعًا كونها جريمة قتل مش انتحار، فده معناه إن القاتل استخدم حيلة علشان يعرف من خلالها يخرج من الأوضة وترباس بابها مقفول، وكمان وهيا مقفولة بالمفتاح، وفوق ده كله المفتاح في جيب الضحية.. فعرفت إنه استخدم خيط علشان يقدر يقفل الباب وهو برة، وده اللي عرفته لما دققت النظر فوق جيب القميص بتاع الدكتور أمجد، فلقيت أثر صغير خالص لإبرة خيط دخلت في القميص".

مع سكوت فارس، طلب الرائد منه أن يكمل كلامه، فعاد فارس ليكمل قائلًا: "بص سعادتك المجرم عمل الآتي.. دخل مع الدكتور أمجد للأوضة، وأثناء ما هما بيتكلموا في أي حاجة بقا، قام مستخدم مسدس الدكتور أمجد واللي أكيد القاتل كان مخبيه معاه بحيث ميخدش الدكتور باله، والقاتل طبعًا كان لابس جوانتي وهو بيعمل كده، وأكيد مكنش لابسه من الأول علشان الدكتور كان هيحس بإن فيه حاجة غلط بتحصل، وبعد ما قتله والمكان اتغرق دم طبعًا، جه وحط الكرسي فوق بركة الدم، علشان يبان إن المجني عليه انتحر هنا في المكان ده، مهو مش معقولة هيكون الدم في حتة، وكرسي الانتحار في حتة تانية.. المهم بعد ما قتله وقعَّده على الكرسي.. فتح اللاب بتاعه وكتب الرسالة اللي إحنا قريناها دي، بس طبعًا كون التحقيق ميلاقيش غير بصمات الدكتور أمجد بس على الكيبورد، فده معناه إن القاتل استخدم ضوافره في الكتابة، لأنه لو كان استخدم جوانتي، كان هيمسح بصمات الدكتور أمجد من على الكيبورد، هو آه يقدر يستخدم جوانتي ويكتب من على طرف الكيبورد، بحيث ميمسحش البصمات بتاعت الدكتور، بس ساعتها كان التحقيق هيلاقي أثر من البارود على الكيبورد، والبارود ده هيكون فضل على

الجوانتي بعد عملية إطلاق النار، فبالتالي هيتبقا منه أثر على الكيبورد برده لو كان القاتل عمل كده، فأنا متأكد إنه استخدم ضوافره".

صمت فارس قليلًا، ليجد أنَّ الجميع مندهشٌ من كلامه، فيكمل ويقول: "نيجي بقا لجزئية هو قفل الباب ازاي وهو برة.. بعد ما القاتل كتب الرسالة على اللاب، وبعد ما أخد المفتاح من الدكتور، قام طلَّع إبرة وخيط من معاه، وجه من فوق الجيب بتاع الدكتور أمجد، ناحية الكتف الشمال كده، وقام عامل غرزة في المنطقة دي، وقام ساحب الخيط من الجهتين بتوعه، وفضل ماشي بالجهتين لحد ما وصل عند باب الأوضة، وبعد كده مرر الخيط من فوق الباب، وقام قافل الباب وخارج برة الأوضة، وبعد كده قام مدخَّل المفتاح من فتحته في طرف واحد من الطرفين بتوع الخيط، ولو نلاحظ هنلاقي إن المسافة اللي في الباب من فوق، تسمح بمرور المفتاح من خلالها، وتسمح باللي أنا بقوله ده، المهم هو بعد ما دخَّل المفتاح في طرف من الطرفين، وعدَّى المفتاح من الباب من فوق، فالمفتاح كده هيكون دخل الأوضة طبعًا، بس هيكون متعلق في الخيط لسه، فبفعل الجاذبية بقا المفتاح هيفضل ينزل ينزل، لحد ما يوصل لكتف الدكتور أمجد، يعني فوق الجيب اللي لقينا فيه المفتاح، والقاتل أكيد استنى من الوقت ما كان كافي إن المفتاح يوصل فيه لكتف الدكتور، وبعد كده قام بكل سلاسة ساحب الطرف التاني من الخيط، وبكده المفتاح هيقع في جيب الضحية، والخيط هيكون طلَّعه برة الأوضة".

أعرض فارس قليلًا عن الكلام، ليجد أنَّ الرائد سليمان منصتٌ بتركيزٍ شديد، وليس الرائد فحسب، بل الجميع أيضًا.. ثم أخذ يسأل الرائدُ فارسًا: "عظيم قوي يا فارس، أنا حاولت أتخيل الوصف اللي أنت بتقوله ده، ولقيته منطقي، بس هو كده

القاتل قدر يقفل الباب بالمفتاح من برة ويحط المفتاح في جيب الضحية، بس ازاي قدر يقفل الباب بالترباس من برة بقا!".

أخذ فارس نفسًا عميقًا ثم قال: "بالنسبة بقا سعادتك لجزئية قفل الترباس من برة فدي سهلة خالص، هو سعادتك قبل ما يقفل الباب، وقبل ما يخرج من الأوضة، وبعد طبعًا ما مرر الخيط من فوق الباب، الخيط اللي كان واصل بكتف الضحية زي ما أنا لسه موضح، قام مجهز خيط تاني على شكل رقم تمانية بالعربي، وحطه في حلقة الترباس، وسحب الخيط لبرة، وقفل الباب.. وبعد كده قام شادد بالجامد الخيط اللي على شكل رقم تمانية من الناحيتين بتوعه، وبكده الترباس اتقفل، وبعد ما الترباس اتقفل وسمع صوت قفله، قام شادد الخيط اللي على شكل تمانية من ناحية واحدة بس، وبكده سحب الخيط ده.. وبعد ما قفل الباب بالترباس وبالمفتاح، مشي من هنا خالص بقا، وأكيد رمى الخيطين دول في أي حتة بعيدة جدًّا عن هنا".

أنهى فارس حديثه وسط ذهول من جميع من سمع كلامه، حتى ليث نفسه لم يصدق ما سمعه، فقد اقترب من فارس وكان واضعًا يديه الاثنتين على رأسه، لا يصدق ما سمعته أذناه من فارس، وأخذ ينظر إلى فارس دون كلام، خوفًا من ردة فعل الرائد سليمان إذا قام بالتكلم.. وبينما كان يفعل ليث ما يفعل، اقترب الرائد سليمان منه، وقام بدفعه جانبًا، وبدأ تكلمه مع فارس: "عظيم يا فارس.. عظيم قوي، أنا حاولت اتخيل السيناريو وأنت بتتكلم، ولقيته مقنع جدًّا.. كمل يا بطل، هنعرف القاتل ازاي بقا؟!".

ضحك فارس على ليث الذي دُفع جانبًا، ولكن سرعان ما عاد إليه وقاره، وأكمل يقول: "طبعًا يبان من الاستنتاج ده إن القاتل حد من عيال الدكتور أمجد، مش حد غريب يعني.. لأن القاتل شخص عارف إن الدكتور بقاله فترة مش

مضبوط، فمش هتكون غريبة لو انتحر يعني، وقدر من خلال ده إنه يستغل التعب النفسي اللي كان الدكتور بيحس بيه، ويهيئ مسرح الجريمة على الأساس ده.. وبرده القاتل كان عارف إن مفتاح الباب نسخة واحدة بتفضل مع الدكتور ديمًا، ثم إن بشهادة شريف، المسدس المستخدم في الجريمة هو مسدس المجني عليه نفسه، فازاي بقا واحد غريب هيعرف إن المجني عليه عنده مسدس خاص بيه ويستخدمه لقتله.. وفوق ده كله المجرم كان عارف إن الأوضة دي هيا أوضة غالية عند الدكتور أمجد، فحب يخلي الموضوع يبان إنه انتحر فيها.. فكل الأدلة بتبين إن القاتل حد من عياله.. ومستحيل يكون حد من قرايبه.. لأني عارف إن الدكتور أمجد مقطوع من شجرة.. ومعندوش اخوات أو قرايب.. هما عياله التلاتة وبس".

استرق فارس بعض الأنفاس في اللحظات التي صمت فيها، ثم أكمل: "نيجي بقا لأننا هنعرف القاتل ازاي.. أولًا كده واضح من استنتاجي اللي قلته قبل شوية، إن القاتل ضوافره طويلة، وإن القاتل واحد من عيال الدكتور التلاتة، وأنا لاحظت إن محدش منهم عنده ضوافر طويلة وبارزة، غير واحد بس، وهو يوسف".

ظلَّ جميع الحضور صامتين وكأنهم من سكان القبور، مما سمعوه من فارس، ولكنَّ يوسف صاح في وجهه قائلًا: "أنت مجنون.. أنا هقتل أبويا؟! وهقتله ليه؟ وازاي؟!". ابتسم فارس ابتسامة هادئة، ثم قال في ثقة عمياء: "هتقتله ازاي! أنا لسه شارح الطريقة.. إنما هتقتله ليه.. ده أنا حابب أعرفه منك.. ها يا چو أنت قتلت الدكتور ليه؟!".. ارتبك يوسف قليلًا ثم نظر للرائد سليمان وقال: "ياباشا أوعى تصدقه.. ثم أنا ازاي هقتل أبويا وأنا كنت في شقة السكن، وتامر صاحبي شاهد على كده؟ ثم الاستنتاج اللي هو قاله ده غريب وصعب يطَّبَّق".

توجه فارس سريعًا بالسؤال نحو تامر قائلًا بصوتٍ تمكن الجميع من سماعه: "تامر! أنت في الفترة اللي كنت فيها في الشقة مع يوسف، كان معاك طول الوقت؟ يعني كان طول الوقت تحت عينيك؟". فأجابه تامر في دهشة بالنفي.. فعاود فارس السؤال: "أمال لما كنت متأكد إن يوسف كان في الشقة.. كنت متأكد من كده بناءً على إيه؟".

– لأن يوسف كان نايم، وهو لما بييجي ينام ديمًا بيقفل نور الأوضة بتاعته، وأنا لما بحتاجه بنادي عليه، لو ردَّ عليا بدخل الأوضة، لو مردش عليا بعرف إنه نام، فبالتالي مبدخلش.

ثم توجه فارس بالنظر إلى الرائد سليمان وقال: "كده بانت يا حضرة الرائد.. هو كان عارف طبيعة صاحبه، واحترامه للخصوصية، وعارف إن صاحبه مستحيل يخش عليه الأوضة طول ما هو فاكر إنه نايم، فبالتالي بعد ما رجعوا من الجامعة، عمل نفسه إنه هيدخل ينام، وبعد كده طلع من الأوضة من غير ما تامر ياخد باله، وقام نازل من الشقة وجه على هنا، قتل الدكتور أمجد بالطريقة اللي أنا قلت عليها دي، وبعد كده رجع تاني ودخل أوضته، وعمل نفسه بيخرج منها بقا لما أخوه شريف اتصل عليه".

لم ينتظر يوسف أن ينهي فارس كلامه، إذ قاطعه قائلًا: "هات دليل على كلامك ده.. ولو ممعكش دليل اسكت". فضحك فارس ضحكة مرتفعة الصوت وكأنه يسخر من يوسف، ولما انتهى من ضحكه، قال: "دليل! محتاج دليل صح؟!".. ثم نظر فارس إلى الرائد قائلًا: "سعادتك ممكن أطلب من البحث الجنائي حاجة!".. تفاجأ الرائد سليمان وسأل مستفسرًا: "حاجة! حاجة إيه دي!".

– أعتقد من خامة الهدوم اللي الدكتور أمجد لابسها إننا نقدر نرفع البصمات من عليها، فكنت حابب منهم إنهم يرفعوا البصمات اللي على الجزء اللي فوق الجيبة بتاعت القميص بتاعه..

توجه مسرعًا الرائد سليمان دون تفكير إلى البحث الجنائي طالبًا منهم فعل ما طلبه فارس.. وبعد قليلٍ من الوقت قد مرَّ، قال أحد أفراد البحث الجنائي: "سعادتك لقينا بصمات فعلًا في الجزء اللي فارس طلب إننا ندور فيه".. تفاجأ الجميع بما فيهم الرائد نفسه، ولكنَّ فارسًا كان مبتسمًا فقط، ليطلب الرائد أن يأخذوا بصمات أولاد الدكتور أمجد جميعهم، وبعد بعض الوقت، اكتشف أفراد البحث الجنائي أنَّ البصمات التي قد عثروا عليها، هي بصمات يوسف، وبعد أن أخبروا الرائد بذلك، ابتسم الرائد وأخذ ينظر إلى يوسف ليجده مرتبكًا بعض الشيء، ولكن سرعان ما قال يوسف: "ااااا يمكن وأنا بفحص نبض بابا لما جيت هنا مع شريف، أكون مسكته من غير ما آخد بالي، وده وارد يعني".. ففاجأه فارس قائلًا: "وارد! طيب أنا معاك إنه وارد إنك تمسكه زي ما أنت بتقول، لكن هل وارد إنك تمسكه بصباع واحد، أو صباعين حتى بس! وخصوصًا في لحظة زي دي! أنا متأكد إن التحقيق ملقاش غير بصمتين على الأكثر بس، يعني أنت كنت ماسكه يا أما بإبهامك وصابع تاني، يا إما بإبهامك والجزء الجانبي من السبابة، وده طبعًا ساعت ما أنت كنت بتعمل الغرزة بالإبرة في القميص بتاع الدكتور أمجد".. ثم توجه فارس إلى الشخص الذي أكدَّ منذ قليل أنَّ البصماتِ هي بصماتُ يوسف، ثم سأله: "كلامي صح ولا غلط حضرتك!".. ليجيبه: "فعلًا إحنا ملقيناش غير بصمات إبهامه وسبابته بس".

ابتسم فارس وعاد بالنظر إلى يوسف مرة أخرى ثم قال: "سيبك من أنك الوحيد في اخواتك اللي ضوافرك طويلة، وسيبك يا سيدي من البصمات اللي لقيناها على القميص دي، تعرف بقا تفسر لي الآتي!".. صمت فارس ليتفاجأ يوسف مما قاله فارس، إذ توجه بالنظر إلى تامر وقال: "تامر! هل دي الهدوم اللي يوسف كان لابسها الصبح وأنتم في الجامعة!".. فأجاب تامر قائلًا: "لأ مش هيا".

– إذن معنى كده إنه غيّرها، طيب هل أنت بحكم إنك ساكن معاه تعرف هدومه كلها! يعني لو كان فيه طقم ناقص من هدومه، هتعرفه!

– آه طبعًا، أنا بقالي كذا سنة ساكن مع يوسف ونعرف هدوم بعض أكيد.

– عظيم عظيم.

عاد فارس مرة أخرى نحو يوسف بناظريه ثم قال: "أنت أكيد لما جيت هنا كنت عامل حسابك في طقمين، سواء بقا في شنطة أو كيسة أيًّا يكن، المهم إنك عملت حسابك في طقمين علشان بعد ما تقتل والدك المكان هيكون كله دم، وعلشان ساعت لما تيجي تعمل الغرزة بالإبرة وكده، أكيد هدومك هييجي عليها من الدم ده، ومن الممكن برده إن جزمتك تكون اتعاصت دم هيا كمان، فطبعًا بعد ما خلَّصت الجريمة، قمت مغير الطقم بالكامل اللي أنت كنت لابسه، وقمت حاطه في شنطتك اللي كانت معاك، علشان تعرف تخرج من هنا طبيعي من غير ما حد يشوفك وأنت عليك دم، وأكيد بقا بعديها عملت حاجة من اتنين، يا إما رميت الطقم اللي كنت لابسه في أي حتة، يا إما الطقم يكون في البيت لسه عندك، وكنت مستني التحقيق يخلص علشان لما تروح تبقا تغسله كويس، وأكيد خبيته في البيت كويس، علشان لو صادف إن تامر دخل أوضتك وأنت مش موجود ميخدش باله منه، بس في الحالة الأولى تامر هيقدر يقولنا إن فيه طقم من عندك بالكامل اختفى،

وفي الحالة التانية هيكون دليل دامغ عليك، وسواء كده أو كده، فمتقدرش تهرب من كونك الجاني في الجريمة دي".

صمت يوسف والذي اتسعت حدقتا عينيه، ولم يجد ما يجيب به، فطلب الرائد سليمان من تامر بأن يرافق أحد أفراد التحقيق إلى المنزل لكي يبحثوا عمَّا قاله فارس، وعمَّا إذا كان هناك ملابس ليوسف قد اختفت، أم أنَّ هناك ملابس قد أخفاها يوسف وعليها دماء الدكتور أمجد.. ليتكلم يوسف بصوتٍ كلُّه حزن ويقول: "مفيش داعي سعادتك تبعت حد، فعلًا هتلاقي الهدوم اللي كلها دم أبويا مخبيها تحت السرير في أوضتي.. كل اللي قاله فارس ده يا حضرة الضابط حصل بالضبط، من أول إني قتلت أبويا بمسدسه، لحد إني حاولت أستخدم تامر صاحبي علشان أعمل لنفسي دليل براءة".

بدموعٍ تملأ العينين نظر يوسف إلى أخويه وقال في صوت أجهدته الدموع: "آسف يا شريف أنت وأحمد إني ورطتكم في المشكلة دي، وآسف إن الضابط اتهمكم وشك فيكم بسببي".. ثم أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال محدثًا صديقه تامر: "آسف يا صاحبي إني عملتك دليل براءة ليا.. أنا حقيقي متأسف".

وبعد أن أخذ يوسف في البكاء الشديد، ذهب إليه شريف واحتضنه وقال: "ليه! ليه يا يوسف؟! عرفني ليه عملت كده؟!".

– ليه؟! أنت اللي بتسأل ليه يا شريف.. نسيت إن من ساعة ماما الله يرحمها ما ماتت، وبابا مبيصرفش عليا جنيه واحد، ولولا أنت وأحمد أنا مكنتش هعرف أكمل تعليم.. نسيت إن بابا مكنش بيحب غير ماما ونفسه بس.. فضل يقرفنا بحبه لأبوه وحبّ أبوه ليه، ومع ذلك محبش حد فينا زي ما كان أبوه بيحبه.. كان بخيل وجشع.. جيت له من يومين أطلب منه فلوس، كنت محتاجها ضروري علشان

أشتري حاجات تبع الكلية، فهزقني وطردني من البيت، وقال لي روح أصرف على نفسك.. فقررت إني أقتله علشان أرتاح منه وأبرد ناري، والأهم علشان أورثه.. وقتلته في أوضة ماما.. قلت له تعالَ يا بابا الأوضة أوريك حاجة، وكنت أخدت مسدسه من الدولاب بتاعه من غير ما يشوفني، وبعدها لبست الجونتي بتاعي، وهو كان متفاجئ من اللي عمال يحصل قدامه، ورحت ضاربه بالنار، ولبسته النظارة بتاعته، بتاعت والده علشان هو كان بيحبها خالص، فحبيت إنه يموت وهو لابسها، والباقي زي ما فارس ده قال، أنا مستغرب ازاي فارس عرف يكشف خطتي كده بكل سهولة وبالسرعة دي، أنا مكنتش أعرف إن فيه ناس بالذكاء ده.

أنهى يوسف حديثه وقد غلبته الدموع، وبينما كان يبكي، ذهب إليه ليث، ثم أخذ يقول: لقد أخطأتَ يا يوسفُ في سؤالكَ المالَ من أبيك. رفع يوسف عينيه صوب ليث، وبعد أن قلَّب النظر فيه، أخذ يقول: "بص بعيدًا عن طريقة كلامك، وبعيدًا برده عن لبسك الغريب ده، بس تقصد إيه بأني غلطت لما طلبت من أبويا فلوس.. ده أبويا، يعني مفروض يساعدني". ابتسم ليث ابتسامة هادئة، وحرَّك رأسه نافيًا ثم قال: لا تسألنَّ بُنَيَّ آدمَ حاجَةً *** وَسَلِ الذي أبوابُه لا تُحْجَبُ

اللهُ يَغْضَبُ إنْ تَركتَ سُؤَالَهُ *** وبُنَيٌّ آدمَ حينَ يُسْأَلُ يَغضَبُ. لمعت عينا يوسف مما سمعه من ليث، ثم أكمل ليث قائلًا: هناكَ شاعرٌ عظيمٌ لا يَحْضُرني اسمه الآن.. قد قال ذانكَ البيتين.. فلذلك قلتُ إنَّك قد أخطأتَ في سؤالكَ المالَ من والدِك.

أمر الرائد باصطحاب يوسف نحو مركز الشرطة مع أخويه لاستكمال التحقيق، وبابتسامة عريضة توجه إلى فارس قائلًا: "كالعادة.. بتبهرني باستنتاجاتك وبذكائك الخارق ده يا فارس.. أنا بقول تسيبك من الكلية دي وتيجي تشتغل معايا في القسم". ثم ضحك وهو يضرب مازحًا على ظهر فارس، والذي ما كان منه إلا أن

ابتسم فقط على كلام الرائد.. ثم رحل الرائد ومعه سيارات الشرطة، وقام شريف وقبل أن يذهب مع الشرطة بإغلاق المنزل وهو في قمة حزنه على موت والده، وعلى مصير أخيه يوسف أيضًا.

ذهب فارس رفقة صديقيه إلى سيارته، وذلك بعد أن علم من شريف طريقة الخروج من ذلك المكان، وبعد أن شرح له طريقة الخروج إلى الطريق الرئيسة، ركبوا السيارة وبدأ ليث الكلام قائلًا: ما كلُّ هذا الذكاءِ يا فارس، من أينَ لكَ بمثلِه، لقد أسكتَّ الضابطَ ولم تجعلْهُ يتكلم ولا يفكِّر حتى في كلامِك، لقد اقتنع به سريعًا، وكأنَّهُ يثقُ بكَ ثقةً لا حدودَ لها.. لقد أبهرتني يا فارس، حقًّا أنا فخورٌ بصداقتي لك.

ابتسم فارس ولم يبد تعليقًا على كلام ليث، ثم قام بإيصال شادي إلى بيته، ومن ثَمَّ سأل ليثًا عن منزله الذي انتقل إليه حتى يقلَّه إليه، ولكنَّ ليثًا قال بأنه سيذهب إلى مكان ما قبل أن يذهب إلى منزله، وطلب من فارس بأن يوقفه عند أقرب موقف للمواصلات، فأخبره فارس بأنه سيوصله حيثما يريد، ولكنَّه رفض قائلًا: لقد مررتَ بيومٍ عصيبٍ يا فارس، ليسَ هناك داعٍ لإيصالي.. سوفَ استقلُّ المواصلات. وافق فارس على كلامه، لأنه كان بالفعل متعبًا.. ثم قام بإيصاله إلى موقف المواصلات، ثم ذهب فارس إلى البيت وكانت عندها العاشرة ليلًا.

*****

الفصل التاسع

لمَّا مرت خمسة أيامٍ على أولى محاضرات ليث في جامعة القاهرة، كان طارق نائمًا في سريره، وذلك بعد أن ظلَّ طوال الليل يصارع النوم، فحاله كحال غيره من الناس، إذا كان هناك شيءٌ ذا أهمية كبيرة، كما السفر، فلن تستطيع أن تنام في الليلة التي تسبق ذلك الحدث.. وها هي ذي غادة، توقظه من نومه برنَّةِ هاتفٍ قد أقلقته....

– اصحى يبني، الساعة بقت ستة، الأتوبيس هيمشي ويسيبنا كده.

– متقلقيش يا غادة.. صحيت خلاص.

– تمام تمام، أنا هقفل معاك وأتمِّم مع نور وهند، وأنت شوف بقيت الولاد.

– ماشي، هتصل بيهم أول ما أقفل معاكِ، سلام.

– سلام.

أغلق طارق متثائبًا الهاتف مع غادة، وظلَّ يبحث عن رقم شادي وهو مغمضٌ إحدى عينيه، محاولًا التغلب على الرغبة الملحة في النوم، وذلك بعد أن أيقظته غادة من نومٍ عميق.. وجد طارق أخيرًا رقم شادي، ثم قام بالاتصال به.. فأجاب شادي: "ألو يا طارق.. خير!".

– خير إيه يبني! أنت صحيت ولا لسه؟

– أنا مش جاي معاكم للأسف يا طارق.

– ليه يبني؟! حصل حاجة ولا إيه؟

– لا أبدًا.. مش حابب آجي وخلاص.. مخنوق شوية، وعلى فكرة ليث كمان مش جاي، لأنه كلمني امبارح وقال لي إنه مش جاي ومقلش السبب.

– والله بتهزروا أنتو الاتنين.. مفروض إننا ما صدقنا ناخد أسبوع إجازة، ثم إننا كنَّا متفقين من فترة.

– خلاص بقا يا طارق حصل خير.. روحوا انتو وانبسطوا.. وأنا يا سيدي هكون مرتاح هنا.. متزعلش يا طروقة، يلَّه سلام.

– ماشي يا شادي اللي يريحك.. مع السلامة.

أقفل طارق الهاتف غاضبًا، وكان غضبه هذا كفيلًا بأن يجعل النوم الذي كان في عينيه، يذهب أدراج الرياح، ثم أخرج زفيرًا طويلًا.. ثم نظر مجددًا إلى هاتفه، وأخذ يبحث عن رقم فارس هو الآخر، وما إن وجده، حتى اتصل به على الفور.. فأجاب فارس: "أيوة يا طارق.. بلبس أهه".

– كويس إني لقيت حد جاي أم السفرية دي معايا.

– إيه يبني فيه إيه.. بتقول كده ليه؟!

– شادي ياعم، بيقول إنه ولا هو ولا ليث جايين معانا.

– إممممم.. خلاص يخي مفيش مشاكل، نروح إحنا والبركة فينا بقا.

– اشطا يا معلم.. أنا هقوم ألبس وآخد الشنطة وأروح على هناك على طول، لأن الأتوبيس هيمشي سبعة، يدوب نتحرك.

– تمام يا طرووقة.. سلام.

– سلام.

قام طارق من سريره ذاهبًا إلى دورة المياه، ونادى على أخته وهو في طريقه إليها، فجاءته مسرعة، وكانت ممسكة بحقيبتها وقالت في لهفةٍ كانت بادية عليها: "أنا جاهزة، هنمشي امتى؟". فأجاب طارق بصوته الذي لا يزال نائمًا: "هدخل الحمام أغسل وشي، وأخرج أغير على طول.. واضح إنك جاهزة من بدري".

– مالك مضايق نفسك كده على الصبح، مفروض تكون مبسوط في يوم زي ده.

– شادي عكَّر عليا اليوم، لما قال لي إنه هو وليث مش جايين معانا..

تقلَّب مزاج سعاد فور سماعها لكلمات طارق الماضية، وقالت في حزنٍ كان واضحًا في كلامها: "إيه ده! ليث مش جاي؟!".. فتعجب طارق من تخصيصها ليثًا دونًا عن شادي، فأخذ في سؤالها: "ليث! وأنتِ كنتِ مستنياه ييجي ولا إيه؟!".. فارتبكت سعاد قليلًا واحمرَّ وجهها خجلًا، ولكن سرعان ما قالت: "لا أنا أقصد يعني إن ليث وشادي مش جايين معانا ليه؟".

– ما ده اللي مجنني يا بنتي، محدش فيهم قال سبب مقنع يخليه ميجيش معانا.. سيبك منهم بقا.

أنهى طارق كلامه مع أخته تاركًا إياها والحزن قد طرد الفرحة العامرة التي كانت عليها، واحتل مكانها في قلبها؛ وبعد قليلٍ من الوقت خرج طارق منتعشًا من دورة المياه، ماسكًا في يديه المنشفة، وظلَّ يمسح ما بقي من ماءٍ على وجهه، وأخذ في ارتداء ملابسه؛ وبعد أن انتهى من ارتداء الملابس والحذاء، وضع من عطره المفضل، وظل يردد متمتمًا في أغنية كان يحب الاستماع إليها، ثم نظر إلى المرآة وأخذ يسرح شعره المجعد؛ ثم حمل على ظهره الحقيبة التي أعدها بالأمس قبل أن يخلد إلى النوم، ثم خرج من غرفته وأغلق نورها.

توجه طارق نحو باب الشقة؛ ثم نادى على أخته والتي مع مجيئها اندهش طارق، لأنه قد رآها بدلت ملابسها، فسألها في تعجب: "إيه يا بنتي! غيرتي هدومك ليه؟!".. فأجابته ناظرة في الأرض تخرج الحروف من فمها بصعوبة: "مش هاجي معاك بقا معلش.. لأن صاحبتي اتصلت بيا قالت لي إنها هتعدي عليا النهارده،

علشان عايزة تقعد معايا".. أعطى طارق أخته ظهره، وفتح باب الشقة، ثم قال قبل أن يغلقه خلفه: "يعني جت عليكي.. برده مش هسمح لحد يعكنن عليا اليوم ده".

وبعد أن خرج من المنزل توجه في سعادة -اضطر أن يصطنعها- نحو الجامعة، متمنيًا لتلك اللحظات الضئيلة، والتي كانت تحول بينه وبين الوصول إلى الجامعة، أن تنتهي في أسرعِ وقت ممكن.. وها هي ذي أمنيته الصغيرة قد تحققت، وها هو ذا قد وصل إلى بوابة الجامعة الضخمة والتي كانت بالطبع مغلقة، حيث إنه لا توجد جامعة مفتوحة؛ إذ كانت هناك عطلة قد أعطتها الدولة للمواطنين تمتدُّ إلى أسبوعٍ كامل.. ومع وصول طارق أمام بوابة الجامعة ازداد اتساع عينيه إثر رؤيته لتلك الحافلة الضخمة جدًّا ذات الألوان الزاهية، وكان لهذه الحافلة ثلاثة مداخل، مدخلٌ خاصٌ بالسائق، ومدخلان لباقي الركَّاب، أحدهما في مقدمة الحافلة، والآخر في منتصفها، وكان زجاج هذه الحافلة معتم، فلا تستطيع أن ترى شيئًا بداخل الحافلة بسببه.. ثم رأى طارق أصدقاءه.. فارسًا ونورًا وغادة، إذ كانوا يقفون بجانب هذه الحافلة، يحمل كلُّ واحدٍ منهم حقيبتين، إحداهما على ظهره، والأخرى في يده.

كانوا عندما وجدهم طارق يتبادلون أطراف الحديث، ومن حولهم ذلك العدد الجم من الفتية والفتيات، والذي يبدو جليًّا عليهم السرور والفرح، ويحمل جميعهم أيضًا حقائب معدة خصِّيصًا لمثل تلك المواقف.. توجه طارق نحو أصدقائه فابتسموا لرؤيته، وأخذت نور تحدثه في سرور: "إيه يبني فينك ده كله! ها جاهز ولا إيه؟!".. فأجاب طارق بسرورٍ لم يكن مُصْطَنَعًا هذه المرة: "إلا جاهز.. ده أنا جاهز من امبارحِ".. ثم أخذ في سؤالهم: "إيه ده أمال هند مجاتش ليه لحد دلوقتي؟".

فأجابته غادة بشيءٍ من الحزن بدا على وجهها: "قالت إنها مش هتعرف تيجي، لأن مامتها عايزاها تروحِ معاها مشوار مهم".. فحك طارق رأسه، وبدا على وجهه

الامتعاض، ثم قال: "أمال لو مكناش مرتبين للرحلة دي بقالنا خمس أيام! حد طايل يطلع رحلة الجامعة اللي عملاها، لأ وكمان طالعين رأس شيطان أربع أيام؛ مين مجنون يفوت فرصة زي دي!".

"ما أنت شايف كمية الناس اللي طالعة قد إيه، زي ما يكون الناس ما صدقت".. قال فارس ذلك ضاحكًا، ثم أخذ يسأل طارقًا: "أمال سعاد مجاتش معاك ليه، مش مفروض إنها كانت جاية معانا؟".

– مش هتعرف تيجي يا سيدي، بتقول إن صاحبتها هتجيلها فهتقعد علشان تستناها..

ثم نظر طارق في ساعته وقال متسائلًا: "الساعة بقت سبعة وعشرة، ولسه برده محدش من المسؤولين عن الرحلة جه، مش مفروض كنا نمشي سبعة؟". فأجابته نور: "اه المفروض نمشي سبعة فعلًا، بس تلاقيهم مستنيين الناس تي....".

لم تنهِ نور كلامها، وذلك لأنها رأت شخصًا يفسح له الجميع الطريق، وكان يحدِّث شخصًا آخر ويقول له: "افتح لنا يا اسطى حنفي الباب".. فتوجه المدعو حنفي إلى باب السائق، ففتحه وركب الحافلة، وأغلق الباب خلفه، ثم ضغط على أحد الأزرار بجانبه؛ ليفتح الباب الأمامي، فيركب الشخص الذي أمره بفتح الباب، ثم يصعد هذا الشخص درجتين على السلم، ويلتفّ وينظر إلى تلك الحشود من الناس، والتي التزمت الصمت، منتظرين ما سيمليه عليهم ذلك الرجل.. نزع ذلك الرجل نظارته السوداء، وأخذ يضع يده على بطنه متحسسًا طبقة الدهون الكثيفة، وأخذ يقلب النظر بين جميع الواقفين.

وبصوتٍ عالٍ وكأنه يستخدم أحد مكبرات الصوت، أخذ ذلك الرجل يقول: "أنا الأستاذ مجدي، مشرف الرحلة دي، وطبعًا دي رحلة منظماها إدارة الجامعة

كلها، يعني أكيد أنتو طلبة من جميع الكليات ومن جميع الفرق برده، المهم علشان نكون على نور من أولها كده.. عايزين من حضراتكم تعرفوا الآتي؛ أولًا: التدخين في الأتوبيس ممنوع، ثانيًا: ممنوع منعًا باتًا مضايقة ناس أنت متعرفهاش، سواء بالكلام أو بالأفعال؛ ثالثًا: ممنوع تاكل أو تشرب حاجة وترميها في الأتوبيس، حضرتك مش في بيتكم هنا، أنت في أتوبيس محترم، فيا ريت كلنا نحترم البيئة اللي إحنا فيها؛ رابعًا بقا والأهم: كل واحد معاه تيليفون أو فلوس أو أي حاجة قيِّمة، يخلي باله منها، لأني مش مسؤول لو حاجة ضاعت أو حتى اتسرقت".

صمت الأستاذ مجدي لبرهة، وبعد أن قلَّب النظر في وجوه جميع الواقفين، أكمل وقال: "وأحب أوضح لكم إن الطريق تقريبًا كده هياخد مننا سبع أو تمن ساعات، وده بسبب الكماين والتفاتيش اللي هنقابلها في الطريق، يعني إن شاء الله بالكتير ثمان ساعات ونكون في رأس شيطان؛ ودلوقتي الاسطى حنفي هيفتح لكم مكان الشنط اللي تحت، علشان كلكم تحطوا شنطكم اللي فيها هدومكم؛ وطبعًا هتاخدوا أكلكم معاكم جوة لأن الطريق طويل، ومش هنقف في أي استراحات، بس متنسوش وأنتم بتاكلوا الشرط رقم تلاتة". ثم نظر الأستاذ مجدي مشرف الرحلة إلى السائق حنفي وقال: "افتح لهم يسطا حنفي مكان الشنط، والباب اللي في النص برده".. ثم عاد ناظرًا مرة أخرى إلى الواقفين، وذلك بعد أن نفذ حنفي أوامره، وتحدث وقال: "أهو الاسطى حنفي فتح مكان الشنط، اللي عايز يحط شنطه يحطها؛ وبعد ما تخلصوا هتيجوا تقفوا بنظام علشان هنادي عليكم بالأسماء، فمش هيدخل غير اللي هنادي عليه بس، وده طبعًا بعد ما يوريني بطاقته".

تزاحم الجميع على مكان إدخال الحقائب، بما فيهم طارق وفارس، واللذان كانا يحملان حقائبهما وحقائب الفتاتين أيضًا.. وبعد أن فرغ الجميع من وضع الحقائب،

أغلق السائق حنفي باب الحقائب.. ثم بدأ المشرف مجدي التحدث مجددًا: "دلوقتي هبدأ أنادي عليكم، واللي يسمع اسمه ييجي ويوريني بطاقته".

ثم بدأ في مناداة الجميع واحدًا تلو الآخر، إلى أن وصل إلى اسم فارس، والذي ذهب إليه مخبرًا إياه بأنَّ أحدًا من شادي وليث وهند وسعاد لن يأتي، فلا داعي لأن ينادي على أسمائهم، فقام المشرف بحذف أسمائهم من القائمة المسجلة عنده، ثم أكمل مناداته للأسماء إلى أن صعد جميع الحضور إلى الحافلة، وبذلك تم إغلاق باب الحافلة، وأخذت الرحلة في التحرك.. وكان فارس جالسًا رفقة أصدقائه في منتصف الحافلة تقريبًا، حيث كان بجانب النافذة مباشرة، وعلى يساره طارق، والممر الطويل على يسار طارق، ثم تجلس الفتاتان، بحيث تجلس غادة ثم نور بجانب النافذة، فكانت نافذة نور مقابلة لنافذة فارس مباشرة.

ومع مرور الوقت كان لكلٍ من جميع الركاب ما يفعله، فمنهم من أخذ في النوم، ومنهم من ظلَّ يردد مع الأغاني التي أسمعهم إياها السائق، ومنهم من أخرج طعامه وشرابه وأخذ في ملء معدته؛ وكان فارس الوحيد في الحافلة الذي أخرج كتابًا، كان معه في حقيبته والتي كانت تحوي الطعام، وكان هذا الكتاب هو إحدى رواياته المفضلة، والتي كان يحب أن يقرأها في أوقات فراغه، فقد كان فارس مدمنًا على قراءة الروايات، خاصة البوليسية منها؛ وكان طارق منهمكًا بجانبه في تناول الطعام والشراب، متمايلًا بجسده مع الأغاني التي يسمعها من الحافلة، وكانت غادة ممن غط في نومٍ عميق إثر صعودهم إلى الحافلة، وإلى جوارها نور، والتي ظلت تتأمل الطريق تارة، وصديقتها غادة تارة أخرى، حيث كانت تتأمل من النافذة، ومن ثَمَّ تنظر إلى غادة وهي نائمة فتبتسم ابتسامة خفيفة كونها استطاعت أن تنام وسط هذه الضجة المزعجة.

وكانت تختلس النظر بين الفينة والأخرى نحو فارس، والذي لم يرفع ناظريه عن الرواية التي كانت في يده؛ وكانت تحسد طارقًا على جلوسه بجوار فارس، وتمنَّتْ أن لو كانتْ مكانه إلى جوار فارس، حتى ولو لبعض الوقت؛ ثم أخرجت من معها سماعة وقام بتوصيلها بهاتفها، وقامت بتشغيل الموسيقى المفضلة لديها، وعاودت تأملها من النافذة مجددًا.. مرت الأربع ساعاتٍ الأولى سريعًا، وها هي ذي غادة تستيقظ أخيرًا من سباتها، لتباغت نورًا بسؤالها: "إحنا فين؟ لسه بدري على ما نوصل ولا إيه؟". فتنزع نور السماعة من أذنها، ثم تسأل غادة عمّا كانت تقوله، فتعيد غادة سؤالها مجددًا، فتجيبها نور: "إحنا بقالنا كده تقريبًا أربع ساعات في الطريق، يعني فاضل تقريبًا زيهم، تعالي يا بنتي بصي معايا على الجبال والمناظر الجميلة قوي دي، أنا معرفش أنتِ ازاي سايبة المناظر دي ونايمة".

أخذتا هما الاثنتان وبعينين مليئتين بالإعجاب، تتأملان المناظر الخلابة، والطبيعة الساحرة.. وكان طارق في هذه الأثناء قد خلد إلى النوم، وعلى يمينه فارس، والذي كان قد انتهى من روايته التي كان يقرأها، وصار الآن يتأمل في صنع الخالق عز وجل، حيث كان واضعًا رأسه على زجاج الحافلة مستندًا عليه، ثم تذكر والدته وتذكر ما كان بينهما من مواقف ود ورحمة؛ فمثلًا تذكر ذلك اليوم عندما كان لا يزال طفلًا بعمر السادسة، عندما سقط على ركبتيه، وظل يبكي، إلى أن حملته أمه واحتضنته وظلت تغني له، حتى كفَّ عن البكاء، ونام في حضنها الدافئ؛ ومع كل هذه الذكريات تساقطت دموع فارس، الدمعة تلو الأخرى، ولكن سرعان ما قام بمسح تلك الدموع المنهمرة؛ حتى لا يلاحظه أحد وهو يبكي.

ومرت الدقائق والساعات، حتى وجد الأصدقاء أنفسهم قد وصلوا أخيرًا إلى مبتغاهم—إلى رأس شيطان— حيث المخيَّمات والمناظر الرائعة والخلابة، حيث يسود

الهدوء في أرجاء المكان، فهنا توجد فرصة للاستجمام والاستمتاع بالهواء النظيف في عزلة تامة؛ فبرنامج هذه الرحلة المكون من أربعة أيامٍ، ينص على أنه في أول يومين سوف يقومون بالتوغل إلى أعماق الصحراء، ويقومون بالتخييم طيلة هذين اليومين.. وبعد انتهاء اليومين سوف يذهبون إلى الفندق الذي كان قد حجزه المشرف الأستاذ مجدي، وهناك في الفندق سوف يستمتعون بالوجبات المعدة خصيصًا لأجلهم، ويجلسون أمام حمامات السباحة المعدة على أعلى مستوى؛ لتليق بهذه الرحلة الفاخرة.

وها هو ذا الأستاذ مجدي يقوم من كرسيه بجوار السائق، ويعطي وجهه إلى الجميع قائلًا: "حمدًا لله على السلامة يا جماعة، إحنا دلوقتي في رأس شيطان، وأظن إنكم قدرتوا تعرفوا ده من خلال المناظر اللي على يمينكم وشمالكم دي، إحنا دلوقتي هننزل كلنا وناخد شنطنا من شنطة الأتوبيس، وبعد كده أنتم كلكم هتروحوا تخييموا في وسط الصحراء، بس أنصحكم بأنكم تبعدوا عن بعض، يعني يكون فيه مسافة كبيرة بين كل مجموعة من الأصدقاء فيكم، بحيث يكون فيه خصوصية في الموضوع، وكل مجموعة من الأصدقاء فيكم هيكون كل اتنين منهم كانوا قاعدين جنب بعض في الأتوبيس، مسؤولين على إنهم يشتركوا في خيمة واحدة؛ وأنا والأستاذ حنفي هنفضل هنا في الأتوبيس طول اليومين دول، والساعة دلوقتي أربعة العصر، فيدوب تلحقوا تاخدوا حجاتكم من شنطة الأتوبيس قبل ما الحتة تليّل؛ ومتنسوش وأنتم بتاخدوا الشنط بتاعتكم من تحت، إن كل اتنين فيكم كانوا جنب بعض، يشيلوا شنطة خيمة من اللي إحنا مجهزينها لكم وحاطينها تحت؛ ومعادنا هنا عند الأتوبيس كمان تمانية وأربعين ساعة، علشان نحصي الأسماء ونطمن إن الكل بخير.. يلَّه يا جماعة في أمان الله".

نزل الجميع من الحافلة وحمل كل واحد منهم حقيبته، ثم ساروا في مجموعات مشتتة؛ فمنهم من سار يمينًا، ومنهم من اتخذ اليسار طريقًا له، وكان فارس وأصدقاؤه من الذين ساروا جهة اليسار، وظلَّتا غادة ونور تتغزلان في تلك الجبال الشاهقة، والتي كانت تحيط بالمكان من جميع جهاته، فأخذ فارس يقول لهما: "ولسه بليل لما تشوفوا النجوم.. ده هيبقا منظر تحفة".

وبعد ما يقارب الربع ساعة من تركهم للحافلة، وجدوا أنفسهم قد ابتعدوا عن باقي المسافرين، مما جعل من فارس يقول: "هنا حلو.. يلَّه يا طارق ضبط معايا الخيمتين، هضبط أنا الخيمة بتاعتنا، وأنت على بعد خمسة متر ولا حاجة، إعمل خيمة البنات".. ففتح كلٌ من طارق وفارس حقائب الخِيَم، ليجدوا بها مطرقة وأوتادًا تمكنهم من نصب الخيم بسهولة.

أخذا ينشئان الخيم على مرأى ومسمع من نور وغادة.. ولم يستغرق الأمر منهما كثيرًا، وعندها قال فارس: "خلاص يا بنات، روحوا أنتو الخيمة بتاعتكم؛ اللي عايزة منكم تغير هدومها ولا حاجة، أو تريح لها شوية، وإحنا كمان هنعمل كده، وبليل بقا هنخرج كلنا نجهز قعدة الشوي ونولّع النار ونسهر سوى".

وافقوا جميعًا على ما قاله فارس، وذلك لأن التعب والإرهاق كان قد تمكن من كل جزءٍ من أجسادهم؛ فدخلوا منهكين إلى خيمهم وظلوا يرتبون في حقائبهم، إلى أن تغلب عليهم النعاس، وغطوا جميعًا في النوم.. وبعد ساعاتٍ من النوم كانت قليلة، لم تتعدَّ الأربع ساعاتٍ، وجد فارس نفسه مستيقظًا، على يمينه طارق، والذي كان محتضنًا وسادته أثناء النوم، فاتحًا فمه من الإرهاق، فابتسم فارس مما رآه، ثم قام من مكانه ببطء؛ حتى لا يوقظ صديقه النائم.. وكان الظلام يخيّم على أرجاء المكان، ولكنَّ فارسًا تمكن من الرؤية، بفضل تلك الإضاءة الخافتة القادمة من الخارج، والتي

كان مصدرها ضوء القمر، فأخذ فارس معه زجاجة الماء الخاصة به، ثم خرج من الخيمة وهو يرتشف بعض قطرات الماء؛ وتوقف عن الشرب فور خروجه من الخيمة، لأنه لم يستطع أن يكمل شرب الماء؛ وذلك لأن سحر جمال السماء حال بينه وبين ذلك، فقد كان القمر منيرًا إنارة خافتة، جاعلًا من خلالها حبات الرمل تظهر وكأنها ألماس يلمع على أرض الصحراء.. وإن كانت الرمال تبدو كالألماس، فقد كانت النجوم هي الألماس بعينه، فقد كان لمعانها المذهل كفيلًا بأن يسحر عيني فارس ويسلب منه إرادتهما.. ولم يُعِدْ لفارس صوابه، إلا ذلك الصوت الناعم الهادئ والذي نطق اسمه قائلًا: فارس!

حينها نظر فارس صوب مصدر الصوت، ليجد مصدره هو نور، إذ كانت واقفة أمام الخيمة الخاصة بها وبغادة، وفي خجلٍ شديد وربكة قد بدت على ملامحها، أخذت تسأل: "عجباك ولا إيه!".. فيتفاجأ من سؤالها فارس، فيجيب عن سؤالها بسؤالٍ آخر: "إيه هي دي اللي عجباني؟!"

– النجوم اللي بقالك فترة مركز فيها.

– عجباني بس! دي عجباني قوي.. السماء كلها شكلها يجنن يا نور.. المهم أنتِ نمتي كويس؟

– آه الحمد لله، ولسه صاحية دلوقتي، فقلت أطلع اتفرّج على الليل اللي قلت لنا هيبقا شكله يجنن، وفعلًا كان عندك حق، وعندك حق لدرجة إنك كنت سرحان على الآخر ومركز في السماء تركيز شديد، حتى أنت مخدتش بالك لما أنا طلعت، أنا بقالي دقيقة واقفة على فكرة.

– يااه! دقيقة! ده على كده أنا كنت سرحان فعلًا.. غادة لسه نايمة ولا إيه؟

– آه.. وطارق؟

– نايم هو كمان.

– طيب هنعمل إيه دلوقتي؟ نصحيهم؟

– لا لا سيبيهم نايمين على ما نضبط إحنا قعدة الشوي، ونرتب الدنيا، ونجيب شوية خشب علشان نولع فيهم.. يلّه تعالِ معايا ندور على شوية خشب.

ذهبت نور رفقة فارس كما طلب منها، وكانت تشعر بقمة السعادة؛ إذ كانت تسير رفقة حبيبها، الذي لطالما أكنَّت له الحبَّ دون إخباره، فظلَّت أعوامًا طويلة وقبل أن تنام، تُخرِج صورة فارس من أسفل وسادتها، وتظل تنظر إليها إلى أن تغط في النوم، وكانت تستيقظ سعيدة في اليوم الذي تحلم فيه بفارس، وعلم الرغم من صداقتهما، إلا أنها لم تستطع أن تخبره يومًا بحبها الشديد له، مخافة أن يصدها فارس، ويقول أنهما مجرد صديقين، وأنه يراها كأختٍ له.

وبينما كان فارس يسير رفقة نور، باحثين عن بعض الحطب، حتى يساعدهم على إشعال النار، كانت نور تسير بالقرب الشديد والملحوظ من فارس، مما جعله يتكلم إليها قائلًا: "إيه يا نور! مش عارف امشي يا بنتي، هتكعبل فيكي كده". فردت عليه متوترة بعض الشيء: "معلش يا فارس أصل أنا خايفة، أصل ممكن يطلع لنا ديب أو تعبان". ابتسم فارس من كلامها، ثم توقف قليلًا، مما جعلها هي الأخرى تتوقف.. ثم قال لها في جدية: "خليهم كده بس يفكروا يقربوا منك؛ وشوفي هعمل لك فيهم إيه".. ابتسمت نور وأصابها الخجل الشديد، واحمرَّت وجنتاها، وظلت تنظر في الأرض خجلًا، ولم ترفع ناظريها من الأرض، إلا عندما سمعت صوت فارس من بعيد يقول: "لو فضلتِ عندك كده كتير، هيستفردوا بيكي".

تفاجأت نور أنَّ فارسًا سبقها بخطوات لم تكن قليلة، فهرولت لتلحق به، ومع وصولها إليه أخذ يقول: "يلَّه نكمل تدويرنا". وبعد رحلة من البحث والمعاناة، عادا

أخيرًا ومعهما الحطب اللازم لعملية الشواء، وقاما بإشعال النار وتجهيز المكان الذي سوف يجلسون فيه؛ وبعد أن جهَّزا كل شيء، طلب فارس من نور بأن توقظ غادة، وهو سوف يقوم بإيقاظ طارق، ولكنَّ نورًا لم تقم بأي ردة فعل تجاه ما طلبه فارس، فنظر فارس إليها فوجدها ممسكة بأصابع يديها، وفي توتر شديد تنظر إلى الأرض، مما جعل فارسًا يكسر هذا الصمت سائلًا: "مالك يا بنتي؟!".

نظرت نور إلى فارس وذلك بعد أن ابتلعت ريقها، واستعادت ثقتها مرة أخرى، وقالت له في نبرة حادة جادة: "فارس.. أنت بجد ممكن تعمل أي حاجة علشاني؟".. ابتسم فارس من كلامها هذا ولم يجبها عن سؤالها؛ فكررت عليه السؤال مرة أخرى، ولكن بخوف هذه المرة وحزن قد بدا عليها وعلى صوتها.. فاقترب منها فارس، ثم أمسك بكلتا يديها رافعًا لهما، وجعل ذلك من دقات قلب نور تتزايد، وحدقتا عينيها تتسعان، وازداد احمرار وجهها من شدة الخجل، وارتفعت إثر تلك المسكة حرارة جسدها، وكانت منتظرة على أحر من الجمر ما سيقوله أو سيفعله فارس، والذي بدأ يقول بصوتٍ هادئ: "أنا ممكن أقتل نفسي علشانكم يانور، أنتِ وغادة وهند، أنتِ متعرفيش أنتو إيه بالنسبالي.. أنتو اخواتي البنات اللي ربنا عوضني بيهم عن وحدتي، وطارق وشادي اخواتي الولاد اللي ربنا عوضني بيهم عن حرماني من أخ يسندني في الحياة دي".

تغيرت ملامح نور مما سمعته من فارس، إذ علمت أنه يراها كأنها أختٌ له، وكاد يغشى عليها من شدة الألم الذي كان في قلبها، ولكن حاولت أن تتمالك نفسها أمامه، حتى لا يعلم فارس أيَّ شيء.. وأثناءَ لحظةِ تأملٍ من نور، عاود فارس طلبه منها، لمَّا قال: "روحي يلَّه صحي غادة يا نور".

لم تتمالك نور نفسها بعد ما سمعته، ثم أخذت تنظر في عينيه، وبادلها هو الآخر النظر، وساد الصمت بينهما، وهمَّت نور أن تخبره بمشاعرها تجاهه، إلا أنها رأت غادة تخرج من خيمتها، وبعد أن وقعت عيناها على غادة، قام فارس بالنظر إلى ما كانت تنظر إليه نور، ليجد صديقته غادة تتثاءب خارجة من الخيمة، وتقوم بفرك عينيها.. ولما رأتها نور قالت محدثة نفسها: "مش وقتك خالص يا غادة الصراحة".. ثم نظرت غادة إليهما وإلى النار المشتعلة وقالت: "إيه ده! أنتو جهزتوا كل حاجة! طيب كويس قوي، أمال طارق فين؟".

فأجاب فارس عن سؤالها: "نايم.. وأنا داخل أصحيه أهه".. ثم دخل فارس إلى خيمته وقبل أن يقوم بإيقاظ طارق، ظلَّ يحدث نفسه في لحظة عتاب: "إيه اللي أنت عملته ده يا فارس.. كسرت قلب نور على الرغم من إنك عرفت إنها بتحبك.. أنت نسيت إنك أنت كمان بتحبها ولا إيه!".. ثم أعرض فارس عن التفكير للحظة، صمت خلالها داخليًا، ولكن تأوَّه خارجيًّا، ثم أعاد التحدث إلى نفسه داخليًّا وقال: "بس كنت عايزني أعمل إيه يعني؟! أنتَ لسه مش عارف مصيرك إيه مع الناس اللي قتلوا مامتك دول.. مش يمكن يقتلوك أنت كمان، ونور تفضل تتحسر عليك.. بلاش تعترف لنور دلوقتي، لحد ما تاخد طارك من اللي قتلوا أحب النساء إلى قلبك".

أخذ فارس في إيقاظ صديقه طارق قائلًا: "اصحى يا عمنا.. أنت جاي تنام هنا ولا إيه؟!".. فقام طارق على صوت فارس، ثم أخذ في دهشة ما بعد الاستيقاظ يسأله: "هي الساعة بقت كام دلوقتي؟".. فنظر فارس في هاتفه ثم أجاب: "الساعة دلوقتي يا سيدي تسعة وربع".. فقام طارق من النوم وخرج رفقة فارس، ليجدا الفتاتين قد جلستا أمام النار، فقال فارس متحدثًا إليهم جميعًا: "يلَّه يا جماعة علشان

نجيب اللحمة من كولمن التلج اللي إحنا جايبينه معانا، وكل اللي عايز يجيب أكله اللي هو جايبه معاه، يجيبه عادي، ولو معاكوا عصاير أو حلويات يبقا أحسن كمان.. هشوي لكم شوية لحمة مكلتوش زيها قبل كده".

فقاموا بإحضار ما طلبه فارس، وقام فارس بشواء اللحم وبعد أن انتهى، جلسوا جميعًا لتناول الطعام وسط هذا الكم الهائل من الضحك والسرور على وجوه الجميع.. بما فيهم نور أيضًا، والتي استطاع فارس بمزاحه أن ينسيها ما قاله قبل قليل.. وكاد اليوم يمر بسلام، ولكن يأبى القدر إلا وأن يلعب لعبته، فصرخةٌ مدويةٌ قادمةٌ من بعيد، كانت كفيلةً بأن تعكِّر صفو اليوم، فبعد سماعهم لتلك الصرخة قالت غادة خائفة مذعورة: "إيه الصريخ ده؟! ليكون حيوان مفترس ولا حاجة طلع على الناس اللي هناك".

فانتفض فارس من مكانه، وبينما كان يقوم، أخذ يقول: "يلَّه نروح نشوف إيه اللي حصل بسرعة".. ثم قاموا جميعًا مسرعين تجاه مصدر الصرخة السابقة، والتي كانت تبعد عنهم مسافة مائة وخمسين مترًا تقريبًا، ومع وصولهم إلى مصدر الصرخة وجدوا فتاة ملقاة على الأرض، ملابسها متسخة بالقيء، وفاتحة فمها بطريقة استدعت دهشة الجميع، ومن حولها فتاة أخرى ظلت تبكي على صدرها، وتنادي بصوتٍ أجش: "سميرة.. سميرة.. ردِّي عليا يا سميرة".. وكان هناك شابان يقفان بالقرب من الفتاتين، ينظران في تعجب إلى ما يحدث أمامهما، دون حَراكٍ من أيٍّ منهما، وبعد أن رأى فارس ذلك المشهد، طلب من الفتاة الباكية أن تبتعد.

اقترب من تلك الفتاة الملقاة على الأرض وتحسس نبضها، ومن ثم اقترب من فمها وشم رائحته، وقال هامسًا في تعجب"سيانيد!".. ثم نظر في هاتفه ليرى

الساعة، ثم التف نحو طارق صائحًا في وجهه: "روح بسرعة نادي الأستاذ مجدي خليه ييجي حالًا، وخد نور وغادة من هنا فورًا وديهم الخيم بتاعتنا".

كان طارق مصدومًا مما رآه، فلم يحرك ساكنًا، فصاح فيه فارس مرة أخرى: "طارق! يلَّه بسرعة".. حينها استفاق طارق من صدمته، وطلب من نور وغادة أن ترافقاه، ولكنَّ نورًا قد رفضت وأصرّت على البقاء، ولكنها لم تجد مناصًا من الذهاب مع طارق، حيث إن فارسًا قد صاح في وجهها هي الأخرى: "يلَّه مع طارق فورًا يا نور".

وبعد أن ذهب طارق رفقة الفتاتين، وقف فارس من جانب الفتاة الميتة، وتوجه نحو الشابين الواقفين في حالة ذهول تام، وبجانبهما الفتاة الباكية، والتي سارت وجلست على الأرض بجانبهما عندما طلب فارس منها ذلك، ثم قال فارس لهم: "إيه اللي حصل بالضبط؟". فأجاب أحد الشابين: "إحنا كنا قاعدين كلنا قدام النار، وبعد ما خلصنا أكل وكنا بنشرب العصير، فجأة سميرة وهي بتشرب في العصير بتاعها، لقيناها بتصرخ وبتمسك في زورها وعمالة تقول مش عارفة آخد نفسي، حاسة إني بموت، حاسة إن روحي بتطلع، وفجأة لقيناها بترجَّع، وبعدين وقعت على الأرض، وفضلت تاخد في نفسها بالعافية، وجرينا عليها كلنا لحد ما فجأة هي سكتت، وبطلت تتحرك خالص، ففحصت نبضها لقيته وقف، فلما قلت لسعيد ومنة إن نبضها وقف، فمنة صوتت وجريت عليها حضنتها، وفضلت تعيط؛ وسعيد من ساعتها مصدوم زي ما أنت شايف كده".

فقال فارس محدثًا ذلك الشاب: "أنتو الكل في كلية صيدلة صح؟".. فتعجب الشاب من سؤال فارس، فأجاب: "آه.. عرفت ازاي؟!".

– مش مهم دلوقتي عرفت ازاي، المهم دلوقتي متلمسوش أي حاجة من كوبايات العصير دي، ولا تقربوا من بقايا الأكل ولا من الجثة، لحد ما الشرطة تيجي.

– ممكن أعرف مين أنت؟

– أنا طالب في كلية حقوق.. اسمي فارس.

وبعد مرور بعض الوقت، وصل الأستاذ مجدي والسائق حنفي رفقة طارق، وبعد رؤيتهما للجثة الملقاة على الأرض، كانت صدمتهما بادية على وجهيهما.. فقد قال السائق حنفي للأستاذ مجدي: "مش دي البنت اللي لسه جاية لنا وقالت إنها نسيت حاجة في الأتوبيس.. إيه اللي حصل لها ده؟!". فأجابه الأستاذ مجدي في حيرة من أمره هو الآخر: "آه هي.. معرفش والله إيه اللي حصل".

فتوجه إليهما فارس، طالبًا من الأستاذ مجدي الاتصال السريع بالشرطة، مما جعل الأستاذ مجدي يسأل فارسًا: "فيه إيه طيب؟! إيه اللي حصل بالضبط؟!".. فأجابه فارس بهدوء شديد وبرودة أعصاب: "جريمة قتل.. فحضرتك لازم تتصل بالشرطة دلوقتي".. صاح الأستاذ مجدي في وجه فارس: "جريمة قتل! ازاي حصل الكلام ده؟!".. وبعد تأففٍ من فارسٍ نطق وقال: "مفيش وقت للكلام ده.. لازم الشرطة تحضر الأول".

فقام الأستاذ مجدي بالاتصال بالشرطة؛ وبعد أن حضرت شرطة محافظة جنوب سيناء فور تلقيهم الخبر، كان جميع من في المخيمات الأخرى قد حضروا أيضًا، فمنهم من حضر إثر سماعه صوت صرخة منة، كما فعل فارس وطارق، ومنهم من حضر فور سماعه صوت سيارات الشرطة، والذي توغل في أعماق الصحراء؛ ومع وصول سيارات الشرطة، أتى فريق البحث الجنائي، وكان برفقتهم رجلٌ في عقده الثالث، طويل جدًّا، وكان عريضَ المنكبين، أنفه كبيرٌ نوعًا ما، وكان شاربه كثيفًا

أيضًا، وأخذ ذلك الرجل في التكلم قائلًا: "أنا المقدم شريف عرفة.. مبدئيًا كده مش عايز لمة هنا.. من الواضح جدًّا إنكم رحلة تخييم، وإنكم طلبة جامعة.. فأنا مش عايز هنا غير مشرف الرحلة دي، واللي كانوا مع القتيل قبل ما يموت بس، واللي أكيد هيكونوا صحابه.. أما الباقي فيفضل بعيد، علشان ميبوظش علينا مسار التحقيق".

وبعد أن أنهى المقدم شريف حديثه، توجه إليه الأستاذ مجدي وأصدقاء القتيلة.. ثم اقترب فارس هو الآخر مما جعل طارقًا يقول له: "أنت يبني لو عرف إنك مش صاحبهم ممكن ميحصلش طيب".. فلم يعره فارس اهتمامًا، ثم أكمل في طريقه سائرًا نحو الأستاذ مجدي وأصدقاء القتيلة.. ثم طلب المقدم من أفراد الشرطة بأن يقوموا بإبعاد باقي الناس قائلًا: "يلَّه يبني أنت وهو.. ابعدولي بقا الناس دي من هنا".

فقام أفراد الأمن بتنفيذ ما أمرهم به المقدم؛ ثم طلب المقدم من البحث الجنائي أن يقوموا بعملهم، ثم التف نحو المشرف مجدي قائلًا: "طبعًا حضرتك المشرف.. مش كده؟".. فأجابه بشيءٍ من الارتباك: "آه حضرتك.. أنا مشرف الرحلة دي".. وبعد أن أومأ المقدم برأسه إيجابًا، التف نحو فارس قائلًا له: "وأنت يبني.. أنت جيت ليه؟ مش أنا قلت صحاب القتيلة بس اللي ييجوا؟!".. فتعجب المشرف مجدي من معرفة المقدم بأنَّ فارسًا ليس صديقًا للقتيلة، ثم قام بسؤاله: "حضرتك عرفت ازاي إنه مش صاحبهم؟".. فابتسم المقدم شريف ابتسامة غرور، وكاد يجيبه، إلا أنَّ فارسًا منعه، وذلك عندما تكلم وقال: "معاليه عرف إني مش صاحبها، لأني الوحيد في الأربعة اللي مش باين عليا إني متأثر بموتها.. مش كده معاليك؟".

ذهبت ابتسامة المقدم شريف وتحولت إلى دهشة بدت على وجهه، ثم تحدث إلى فارس قائلًا: "فعلًا.. هو كده.. اسمك إيه يبني؟".

– أنا فارس.

– فارس! فارس اسم جميل.. تقدر تقول لي يا فارس، بتعمل إيه هنا، على الرغم من إني قلت إني عايز المشرف وأصحاب القتيلة بس اللي يكونوا هنا.

– سعادتك دي جريمة قتل باستخدام إحدى مركبات أملاح السيانيد، والجريمة دي حصلت حوالي الساعة حداشر ونص بالليل، والقاتل واحد من التلاتة صحباها دول.

نظر المقدم إلى المشرف وإلى أصدقاء القتيلة في حيرة ودهشة، وبادلوه نفس النظرة.. ثم صاحت الفتاة في فارس: "أنت بتقول إيه يا أستاذ أنت.. هو أنت عبيط ولا إيه.. إحنا نقتل سميرة؟! أنت مجنون!".. فطلب منها المقدم الهدوء والتزام الصمت، ثم قال متحدثًا إلى فارس: "دلوقتي أنت عرفت إنه مركب من مركبات أملاح السيانيد، استنادًا على ريحة فم الضحية، واللي بتبقا قريبة لريحة اللوز كده، لو كانت تجرعت السم ده.. وطبعًا أنت كونك تكون عارف الساعة بالضبط، ف أنت حاجة من اتنين.. يا إما القاتل، وأنا مرجحش كده أكيد، لأن القاتل مش هيبقا بيتكلم بثقة زي اللي عندك دي.. يا إما إنك كنت من أول الواصلين لهنا.. سواء بقا سمعت صوت الضحية وهيا بتنازع الموت، أو سمعت صوت حد من صحابها بيصرخ عليها مثلًا.. المهم إنك كونك تعرف إنه مركب من مركبات السيانيد، ف أنت أكيد على اطلاع مسبق بمواقف زي دي، فأكيد بصيت في ساعتك أول ما عرفت إن الضحية فارقت الحياة خلاص، وده علشان تكون عارف زمن الوفاة الفعلي، وده

لأنك أكيد عارف إن السيانيد كفيل إنه يقتلك في محض ثواني معدودة.. بس السؤال دلوقتي، أنت ليه قلت إنها جريمة قتل؟! ما هي ممكن تبقا انتحار!".

دُهش فارس من ذكاء المقدم وسرعة بديهته.. ثم أجابه بسعادة بدت عليه بعد اكتشافه لذكائه: "حضرتك مفيش منتحر هيقول وهو بيموت.. مش عارفة آخد نفسي.. حاسة إن روحي بتطلع.. ده كلام واحد مش عارف أصلًا إيه اللي بيحصل له؛ وده اللي عرفته من صحابها لما سألتهم عن اللي حصل.. وليه بقا أنا قلت إن القاتل حد من صحابها.. لإن زي ما سعادتك شايف كده مفيش مخيم هنا غير المخيم بتاعهم هما بس، لأن المشرف مجدي كان اقترح علينا نعمل تباعد بيننا وبين بعض، علشان يكون فيه خصوصية بين كل مجموعة أصحاب، وسعادتك لسه قايل إن سم السيانيد كفيل انه يقتلك خلال ثواني قليلة جدًّا، فأكيد هيا متسممتش في حتة تانية، وبعدين جات ماتت هنا، لأ، وأنا لما جيت هنا على صرخة صاحبتها، ملقيتش حد غيرهم هما التلاتة بس اللي هنا، ولما شفت أثر القيء على الضحية وشميت ريحة اللوز.. عرفت إنه سيانيد على طول، فشكيت في صحابها.. فلما سألتهم عن اللي حصل وقالوا لي إنهم فحصوا نبضها، وبمعلومية إن ده سيانيد، عرفت استنتج إنهم في كلية صيدلة، أصل مين هيعرف يتحسس النبض ويكون على دراية بالسمية الشديدة بتاعت السيانيد، غير طلبة صيدلة وطب، ولأن طلبة طب استُثنوا من الإجازة اللي كلنا أخدناها، ولأنهم معرفوش ييجوا معانا الرحلة على الأساس ده، فأنا عرفت إنهم في كلية صيدلة، فعرفت إن أكيد القاتل واحد منهم هما التلاتة".

نظر المقدم إلى فارس نظرة صدمة ودهشة؛ ثم أخذ في ذهولٍ يسأله: "أنت في كلية إيه يا فارس؟".

– حقوق.. فرقة تانية.

– ده أنت هتبقا محامي عُقر يا فارس..

قالها المقدم ضاحكًا، ثم توجه بالكلام إلى المشرف مجدي سائلًا إياه: "أنتو تبع جامعة إيه؟ وإيه نظام الرحلة دي؟".. فبشيءٍ من الخوف قد ولج إلى صدره، أجاب المشرف مجدي وقال: "حضرتك إحنا تبع جامعة القاهرة، ونظام الرحلة دي إننا كنا هنخيم يومين، وبعدين هنروح على الفندق اللي في أول الطريق الرئيسي اللي بيجيبنا على هنا، ونبات هناك يومين، وبعد كده كنا هنرجع القاهرة تاني".

– أنت اسمك إيه طيب؟ وكنت فين لما حصل اللي حصل؟

– حضرتك أنا مجدي مرشد سيف الدين، إدارة الجامعة هيا اللي عينتني مشرف على الرحلة الشؤم دي، وزي ما اللي اسمه فارس ده قال لسعادتك.. أنا اقترحت عليهم إننا نبعد الخيم عن بعضها، بحيث إن كل شلة صحاب يخيّموا مع بعض، علشان محدش يضايق التاني وكده.. وأنا والاسطى حنفي سواق الأتوبيس فضلنا فيه ومعانا أكلنا وشربنا؛ والمفروض إن كلهم يجتمعوا عندنا هنا لما اليومين بتوع التخييم يخلصوا".

– تمام تمام..

ولما أدار المقدم ناظريه نحو أصدقاء الضحية، قال: "دلوقتي عايز أعرف من واحد واحد فيكم.. أسماؤكم، وسنكم، ومدى الترابط اللي كان بينكم وبين الضحية.. نبدأ بالبنت.. اسمك وسنك وعايز أعرف شوية معلومات عن الضحية منك".. حيث إن الصدمة كانت قوية على قلب الفتاة، فهي لم تستطع أن تجيب المقدم ولو بحرف واحد، مما جعل صديقها والذي كان مصدومًا هو الآخر عندما كان

فارس يتحدث إلى صديقهم الثالث، يتكلم إليها ويقول: "لازم نساعدهم في التحقيق يا منة، علشان يتأكدوا إننا ملناش دعوة بموت سميرة".

حينها تشجعت الفتاة وقامت بالتقاط أنفاسها، وبدأت تتكلم: "أنا منة رضا السيد.. عندي تلاتة وعشرين سنة، فرقة خامسة كلية صيدلة جامعة القاهرة، وصاحبتي اللي ماتت اسمها سميرة علي نجيب، وإحنا صحاب إحنا الأربعة من أيام ثانوي ولحد دلوقتي، وعمر ما حصل بين أي حد فينا خلاف مع التاني، يعني صدقني حضرتك، القاتل عمره ما هيكون حد مننا".

أنهت منة حديثها؛ ثم توجه المقدم بالحديث إلى الفتى الذي كان يطمئنها منذ قليل: "ها وأنت اسمك إيه؟".. فأجاب: "سعيد فؤاد إبراهيم.. فرقة خامسة كلية صيدلة جامعة القاهرة.. زي ما منة قالت لحضرتك، سميرة صاحبتنا كلنا من أيام ثانوي، ومحصلش في أي يوم خلاف ما بينا إحنا الأربعة، فمفيش سبب عند حد فينا إنه يقتلها".

ابتسم المقدم ابتسامة أغضبت سعيدًا، ثم قال بشيءٍ من الغرور: "والله إحنا اللي نقرر الموضوع ده".. ثم نظر إلى الصديق الأخير وقال: "وأنت يبني!".

– جلال رؤوف خالد، فرقة خامسة كلية صيدلة جامعة القاهرة.. أنا بأكد لحضرتك اللي منة وسعيد قالوه، إحنا فعلًا مفيش أي سبب علشان حد مننا يقتل سميرة، إحنا كنا بنحب بعض إحنا الأربعة جدًّا.

أنهى جلال كلامه، فما كان من المقدم إلا أن وضع يديه الاثنتين خلف ظهره، وأمسك ببعضهما البعض، وظلّ يسير في دائرة حول جميع الأصدقاء الثلاثة، وقال وهو يفعل فعلته تلك: "عال قوي.. يعني بتقولوا كلكم إن مفيش دوافع ورى وقوع

الجريمة.. طيب حابب أعرف بالضبط إيه اللي حصل من أول ما افترقتوا أنتو وباقي الطلبة، لحد ما سميرة ماتت.. ها بقا، مين فيكم اللي هيحكي؟".

وكان فارس في هذه الأثناء لا يزال واقفًا ينصت بتمعن للتحقيق الذي يدور أمامه، وكان على يمينه المشرف لا يزال واقفًا هو الآخر، ولكنه كان حزينًا على ما آل إليه مصير تلك الفتاة المسكينة. وقد أجابت منة عن سؤال المقدم قائلة: "أنا اللي هحكي لحضرتك اللي حصل بالضبط، من ساعة ما سيبنا الأستاذ مجدي عند الأتوبيس، لحد ما سميرة وقعت مننا وماتت، ولو كدبت في حاجة، فسعيد وجلال يكدبوني.. حضرتك إحنا لما الأستاذ مجدي طلب مننا إن كل اتنين كانوا قاعدين جنب بعض، يشيل كل واحد منهم شنطة خيمة من اللي الجامعة كانت مجهزاهم لينا علشان التخييم، أنا وسميرة كنا قاعدين جنب بعض، وسعيد وجلال كانوا قاعدين جنب بعض، فأنا شيلت الخيمة بتاعتنا، وسعيد شال بتاعتهم، والأستاذ مجدي كان اقترِح علينا إننا نخيم بعيد عن بعض، بحيث كل مجموعة صحاب يكونوا في حتة لوحديهم، فإحنا فعلًا فضلنا ماشيين، لحد ما لقينا نفسينا بقينا لوحدينا خالص، ساعتها جلال قال المكان ده حلو يلَّه نخيم فيه، وكنا ساعتها بعيد عن الأتوبيس مسافة ربع ساعة مشي تقريبًا.. المهم نصبنا الخيم إحنا الأربعة، وبعدين قعدنا كلنا في خيمتي أنا وسميرة، وفضلنا ناكل من السندوتشات اللي كنا جايبينها معانا، وبعد ما خلصنا أكل، كنا كلنا تعبانين وعايزين ننام، فقلنا ننام ولما نصحى بقا يبقا نجهز لحفلة الشوي اللي بنحلم بيها من زمان.. فسعيد وجلال راحوا على خيمتهم، وأنا وسميرة غيرنا هدومنا ونمنا؛ وصحينا على صوت سعيد وجلال وهما بيصحونا من برة الخيمة، ولما طلعنا لهم لقينا الحتة كانت ليِّلت".

صمتت منة قليلًا لالتقاط بعض الأنفاس، ثم أكملت عندما طلب منها المقدم ذلك، فقالت: "المهم سعادتك لما طلعت أنا وسميرة من خيمتنا، لقينا سعيد وجلال جهزوا القعدة اللي هنشوي فيها، وجهزوا المكان اللي هنولع فيه، بس لسه مجبوش خشب، فقررنا إننا نقسِّم المهام اللي علينا، بحيث كل واحد فينا يعمل حاجة، وأنا كان مفروض إني أجيب خشب، وسعيد كمان مفروض يروح يدور على خشب بس في حتة تانية، بحيث إننا نجيب أكبر قدر خشب ممكن، وسيبنا أنا وسعيد، جلال وسميرة مفروض واحد منهم هيجهز الأكل والشرب والشوي، والتاني هينضف الخيم ويرتب الشنط، لأننا كنا تعبانين ومقدرناش نعمل كده قبل ما ننام؛ وبعد ما لقيت كمية خشب حلوين، رجعت فلقيت سميرة بتنضف في الخيم، وجلال مستنيني أنا وسعيد، علشان ياخد الخشب اللي هيشوي بيه، فاديت له الخشب اللي جبته، وهو ولع النار وبدأ يجهز للشوي، وبعد شوية سعيد كان جه ومعاه الخشب اللي هو جابه، وسميرة كانت لسه بتوضب في الخيم، ولما خلَّصِتْ جتْ قعدت معانا، ولما جلال خلص الشوي، بدأنا كلنا ناكل ونحكي مع بعض عن هنعمل إيه لما نتخرج، وهنشتغل فين وكده، ولما خلصنا أكل، جلال جهز العصير، والمفروض كان يكون فيه حلويات، بس اكتشفنا إننا نسيناها في الأتوبيس، فسميرة راحت جابتها من الأتوبيس وجات، وخدت لها نص ساعة تقريبًا، لأن زي ما قلت لحضرتك قبل شوية، الطريق بياخد ربع ساعة رايح وربع ساعة جاي.. المهم إنها لما جات، كنا إحنا شربنا العصير بتاعنا، وهي لسه مشربتش عصيرها، ففتحنا علبة الحلويات وبدأنا كلنا ناكل، وهيا كمان بدأت تاكل وتشرب في عصيرها، وبعد خمستاشر ثانية كده ولا أكتر شوية، لقيناها عمالة تتألم وتتوجع وتقول مش قادرة آخد نفسي.. حاسة إن روحي بتطلع، وفضلت ترجّع، بعد كده وقعت على الأرض، ولما سكتت خالص..

جلال راح تفحص نبضها، وفجأة لقيناه بيقول إنه وقف.. فمحستش بنفسي غير واللي اسمه فارس ده بيقول لي قومي من جنبها، وفعلًا وأنا مسلوبة الإرادة سمعت كلامه، وهو لما عرف إنها ماتت، فضل يسأل في جلال عن اللي حصل، وطلب من صاحبه إنه يجيب المشرف الأستاذ مجدي.. ولما الأستاذ مجدي جه، اتصل بيكم، وده كل اللي حصل لحد ما أنتم جيتم".

بعد انتهاء منة من شرحها الطويل المفصل، والذي استدعى انتباه جميع السامعين، أدرك المقدم شريف أنه يواجه جريمة لن تكون بتلك السهولة؛ ومما زاد الأمر تعقيدًا ما قاله أحد أفراد البحث الجنائي.. فقد جاء متحدثًا إلى المقدم على عجالة: "يا أفندم الضحية ماتت نتيجة السم اللي توغل في جسمها، والسم ده هو سيانيد البوتاسيوم.. وبعد التحليل لقينا إن كل كوبايات العصير الأربعة كان فيها سم، مش كوباية واحدة بس، واللي هيا مفروض تبقا كوباية المجني عليها".. صُدِمَ الجميع بعد سماعهم أنَّ جميع الكؤوس كانت مسمومة، ولكن صدمة فارس كانت أكبر، فقد قال محدثًا نفسه دون أن يسمعه أحد: "ازاي؟! ازاي يعني كل الكوبايات كانت مسمومة، كده كان مفروض كلهم يموتوا بقا.. إلا إذا....".

قاطع المقدم تفكير فارس، وذلك عندما قال بصوت عالٍ: "الكوبايات كلها مسمومة؟! الموضوع شكله مربك حبتين".. ثم أخذ يتحدث إلى نفسه بصوتٍ تمكن الجميع من سماعه: "تفسر اللي حصل ده بإيه يا شريف.. تفسره بإيه يا شريف.. تفسره بإيه".. ثم صمت برهة، ومن ثم تحول صمته ذاك إلى ضحك بطريقة خبيثة، مما جعل الجميع يتعجب بسبب التحول الذي طرأ عليه فجأة؛ وسرعان ما ازداد هذا التعجب، وذلك عندما قال المقدم: "أنا عرفت ازاي إن على الرغم من إن كل الكوبايات كانت مسمومة.. إلا إن سميرة بس هي اللي ماتت".. ثم نظر المقدم نحو

منة سائلًا إياها: "مش أنتِ كنتِ قلتِ إنكم بعد ما خلصتم أكل، جيتوا علشان تاكلوا الحلويات والعصير، فاكتشفتم إنكم نسيتم الحلويات في الأتوبيس، وإن سميرة هيا اللي راحت تجيبها؟".

دهشت منة من سؤال المقدم لها، وبعد أن قلَّبت النظر في أصدقائها، أعادت النظر إلى المقدم مرة أخرى، ثم قالت: "آه.. حتى لو مش مصدقني اسأل سعيد وجلال".

– لا لا.. بالعكس أنا مصدقك.. ومصدقك جدًّا كمان.

وفي هذه الأثناء أخرج فارس عملته المعدنية من جيبه وأخذ يلفها لفًّا بين أصابعه مداعبًا لها، ومنصتًا بتركيز للحوار الذي يقيمه المقدم، والذي استمر في تحدثه: "دلوقتي فعلًا الكوبايات كلها كانت مسمومة، وفعلًا سميرة بس اللي ماتت، وده أمر طبيعي، لأنها هي بس اللي مفعول السم لحق يظهر عليها".. لم يفهم أحدٌ من الواقفين مراد المقدم سوى فارس، والذي أخذ يحرك رأسه تفاعلًا مع كلام المقدم، والذي أكمل: "قولي لي يا منة.. مش أنتم وأنتو بتشربوا العصير.. كان محطوط في كل الكوبايات تلج؟".. فأجابته مندهشة من سؤاله: "آه فعلًا.. حضرتك عرفت ازاي؟".

ابتسم المقدم ابتسامة استدعت دهشة الجميع، ثم أجاب: "أولًا السم كان في مكعبات التلج اللي محطوطة في كل كوباية.. فطبيعي إن الشخص اللي شرب العصير قبل ما التلج يدوب ميموتش، وإن الشخص اللي شرب بعد ما التلج داب، هو اللي يموت؛ وطبعًا نص ساعة سميرة هتستغرقها علشان تجيب فيها الحلويات من الأتوبيس، هتكون كفيلة إنها تخلي التلج يدوب في عصيرها، ومفعول السم ينتشر في العصير، وطبعًا علشان صحابها شربوا العصير قبل ما هي تيجي، فالتلج مكنش لحق

يدوب، وعلشان كده هما ممتوش.. وطبعًا على ما إحنا وصلنا هنا كان عدّا تلات ساعات على الجريمة، يعني التلج اللي في كل الكوبايات هيكون داب وسافر كمان، وده يفسر ليه البحث الجنائي لقى أثر السم في كل الكوبايات".

ذُهل الجميع من استنتاج المقدم، والذي كان منطقيًّا نوعًا ما.. وبدا على وجوههم علامات التعجب، مما جعل منة تسأله: "استنتاج حضرتك مقنع جدًّا.. بس لسه برده معرفناش مين اللي قتلها".

– دلوقتي لو جينا نبص للحيلة المستخدمة في الجريمة، هنلاقيها منفعتش غير لما سميرة اضطرت إنها تقوم، وإلا كانت هي هتشرب العصير معاكم، فبالتالي مش هتموت.. فأنا متأكد إن حد طلب منها هي بالذات إنها هي اللي تقوم تجيب الحلويات من الأتوبيس، وده نتيجة معرفته السابقة بوجود السم في التلج.. اللي أقصد أقوله إن اللي طلب من سميرة تقوم.. هو نفسه أكيد اللي كان مسؤول عن إنه يحط التلج في العصير وإنه يجهز لكم العصير، واللي على كلامك يا منة فهو كان جلال.. أيوة يا جلال أنت اللي قتلت سميرة وحطيت السم في التلج، وطلبت منها تروح تجيب الحلويات من الأتوبيس.

تعجب الأصدقاء مما قاله المقدم، وأخذ سعيد ومنة يقلبان النظر في جلال، والذي بدأ يتصبب عرقًا وتبدو عليه علامات التوتر، وأخذ يقول بصوتٍ يبدو عليه القلق: "محصلش.. اللي حضرتك قلت عليه ده محصلش".. فقاطعته منة قائلة: "لأ حصل يا جلال.. اللي حضرة الضابط قاله ده، حصل، أنت فعلًا اللي عملت الأكل والعصير، وأنت فعلًا اللي طلبت من سميرة إنها تقوم تجيب الحلويات، مش ده اللي حصل يا سعيد؟".. "فعلًا يا جلال.. ده اللي حصل بالضبط".. أجاب بذلك

سعيد عن سؤال منة له.. عاود فارس حديثه مع نفسه مرة أخرى: "فعلًا.. المقدم عنده حق، استنتاج منطقي في ظل ظروف زي اللي إحنا فيها دلوقتي".

وفي هذه الأثناء سقط جلال أرضًا باكيًا، ثم قال صائحًا: "مش أنا صدقوني.. مش أنا اللي قتلتها.. يمكن آه أنا اللي عملت الأكل والعصير، وأنا آه اللي قوّمتها تروح الأتوبيس، ويمكن فعلًا ده اللي خلّاها تموت، بس مش أنا اللي قتلتها، ولا أعرف حاجة عن السم أصلًا صدقوني".. فلما رأى منه المقدم ما رأى، أخذ يحدثه بكل قسوة ويقول: "متحاولش تنكر.. الإنكار مش هيفيدك.. كل الاستنتاجات بتقودنا إليك أنت".. وبعد سماع فارس لمقولة المقدم، أخذ يتمتم: "فعلًا كل الاستنتاجات بتقول إنه جلال".

ثم نظر جلال في عيني المقدم قائلًا في حدة: "عايز دليل على كلامك.. دليل إني القاتل فعلًا".. فأجابه المقدم في غلظة أكبر من غلظته: "مش مكفيك إن أنت اللي عملت العصير، وإنك أنت اللي حطيت التلج في العصير، وإنك أنت اللي قومتها تروح الأتوبيس، لأ ومعاليك عايز دليل صح؟! إحنا يا حبيبي هناخدك على القسم، وهناك هتقر وتعترف بالجريمة اللي بقت واضحة وضوح الشمس دي".

أخذت منة في البكاء، ثم بدأت باكية حزينة تتحدث إلى جلال: "مش قادرة أصدق إنك تقتل سميرة يا جلال.. تقدر تقول لي عملت كده ليه.. هي عملت لك إيه علشان تقتلها؟!".. ثم ذهب سعيد إلى جلال، وبعد أن وقف أمامه ونظر في عينيه، قام بلكمه على وجهه لكمة كاد يفقد جلال أسنانه إثرها، ثم قال: "أنت أوسخ صاحب أنا عرفته في حياتي.. قتلتها ليه عايز أعرف؟".

فبكى جلال مرة أخرى، ثم قام بالتحدث إلى صديقيه بعيون تملأها الدموع: "حتى أنتو مصدقين إني ممكن أقتل سميرة.. أنا أقتل اااا....".. لم يرد أن يكمل

جلال حديثه فصمت.. مما جعل المقدم يصيح في وجهيهما قائلًا: "بعد إذنكم مش من حقكم تضربوا المشتبه فيه أو توجهوا له أي سؤال.. دي شغلتنا إحنا".. ثم أمر المقدم شريف أفراد الأمن بالقبض على جلال، وطلب من منة وسعيد أن يرافقاه لاستكمال التحقيق في مركز الشرطة، فوافق سعيد ومنة على طلب المقدم، ولم يقم جلال بأي رد فعل عندما قام أفراد الشرطة بالذهاب نحوه لإيقافه وأخذه معهم، غير أنه ظل يردد مستسلمًا: "بريء.. والله العظيم بريء".

فأشفق عليه فارس وقال في قرارة نفسه: "أنت آه كل حاجة ضدك.. بس أنا معرفش ليه حاسس إنك بريء.. آه الإحساس مش دليل، بس إحساسي مبيخبش أبدًا".. ثم نادى فارس على المقدم شريف والذي كان يهم بالرحيل قائلًا: "بعد إذنك يا حضرة المقدم.. ممكن قبل ما تمشوا أطلب من البحث الجنائي حاجة؟".. فتفاجأ المقدم من طلبه قائلًا: "حاجة؟! وحاجة إيه دي بقا؟".

– مكدبش على سعادتك.. أنا استنتاج حضرتك ده أنا فكرت فيه، فكنت حابب أعرف صحته من عدمها، وخصوصًا إن مفيش دليل مادي واحد يدين جلال، وعدم وجود دليل إدانة، فده في حد ذاته دليل برآءة ليه، وآه الصدف والحظ كان ضد جلال، بس القانون مبيعتمدش على الصدف والحظوظ، القانون عايز أدلة مادية..

ابتسم المقدم في وجه فارس، ثم قال: "نابغة الحقوق بدأ يدلي بدلوه مرة تانية.. تفضل يا فارس، عايز تطلب من فريق البحث الجنائي إيه؟".

– طبعًا حضرتك الأصدقاء الأربعة كانوا عاملين حسابهم إنهم هيشربوا عصير فيه تلج، فأكيد كانوا عاملين حسابهم على التلج من وإحنا في القاهرة، وطبعًا علشان يعرفوا يحافظوا على التلج الفترة دي كلها، فلازم يكون معاهم كولمن تلج، وأكيد

الكولمن ده هيكون مليان بمكعبات تلج، مش بس على قد الأربع كوبيات اللي هما شربوها.. وطبعًا حضرتك لازم تكون متفق معايا إن جلال ميقدرش يحط السم في التلج هنا، أقصد يعني إنه ميقدرش يحط السم في التلج وهو تلج، لازم يحطه وهو لسه مَيَّه، يعني وهو لسه في القاهرة.. حضرتك متفق معايا على كده؟

– آه يا فارس أنا متفق معاك في الجزئية دي.

– يبقا مستحيل إنه يكون حط التلج هنا، فاللي جهز التلج في القاهرة هو القاتل الحقيقي أكيد، فهل حضرتك تسمح لي إني أسألهم عن حاجة؟

– طبعًا عايز تسألهم عن مين اللي جهز التلج وهما لسه في القاهرة.. صح؟

– آه يا افندم.

فنظر المقدم إلى منة وسعيد وقام بسؤالهما: "مين اللي كان مسؤول عن إنه يجهز التلج وأنتو لسه في القاهرة؟".. فأجاب كلاهما في نفس الوقت: جلال، فابتسم المقدم مرة أخرى ثم نظر إلى فارس وقال: "خلاص يا فارس.. لبساه لبساه".. فابتسم فارس ابتسامة خبيثة جعلت المقدم يصاب بالحيرة، فيسأله عن سبب ابتسامته تلك، فيجيبه فارس: "كلام حضرتك هيكون منطقي، ومنطقي جدًّا كمان، لو كان فعلًا خدعة التلج دي هي المستخدمة في جريمة القتل".. تعجب المقدم وأخذ يسأل: "تقصد إيه بكلامك ده؟!".

– أقصد إن إحنا رجعنا لطلبي من سعادتك إني عايز أسأل البحث الجنائي عن حاجة، والحاجة دي إن هل باقي التلج اللي في الكولمن فيه أثر للسم ولا لأ؟ فلو كان آه، فبنسبة كبيرة جدًّا فعلًا خدعة التلج دي هي اللي مستخدمة في جريمة القتل، وإن جلال فعلًا هو بنسبة كبيرة هيكون القاتل؛ ولو كان لأ بقا، فبنسبة أكبر من اللي فاتت، خدعة التلج مش هي المستخدمة في الجريمة، وإن جلال ساعتها

هيكون بريء، وطبعًا ده لأن مستحيل جلال هيكون عامل التلج ده كله، وحاطط السم في الكمية القليلة جدًّا اللي هو هيعمل بيها أربع كوبايات عصير، لأنه هيضمن منين إنه لما ييجي يعمل العصير هيختار الكمية اللي فيها السم دونًا عن باقي التلج.. فأنا لو كنت مكانه مثلًا، كنت هخلي السم يكون في التلج كله.. ومحدش يقول لي إنه ممكن يكون عمل فعلًا كمية التلج اللي هيستخدمها في العصير وخلاها مسمومة، وحطها مع باقي التلج وحفظ مكانها، لأنه هيضمن منين إنه مع أي مطب الأتوبيس هياخده، أماكن التلج مش هتتغير.. ف إحنا دلوقتي متوقفين على إجابة البحث الجنائي سواء آه أو لأ.

بعد اقتناع من المقدم بتحليل فارس، وافق على طلبه، ثم طلب من سعيد بأن يرافق البحث الجنائي نحو المكان الذي يضعون فيه وعاء الثلج، والذي كان في الخيمة الخاصة بهم.. فذهب أفراد البحث الجنائي رفقة سعيد إلى الخيمة التي كان ينام بها سعيد وجلال، ثم قام سعيد بإعطائهم وعاء الثلج، ثم قاموا بأخذه وبدأوا في تفحصه، ثم عاد سعيد مرة أخرى ليقف إلى جوار منة وجلال.. وظلّ الصمت مخيمًا على المكان طيلة الوقت الذي استغرقه البحث الجنائي في معرفة ما إذا كان باقي الثلج مسمومًا أم لا، وكان جلال في هذه الأثناء كمن ينتظر حكم الإعدام، فهو يعلم أنه لا سبيل لنجاته، إلا بأن يكون الثلج غير مسمومٍ.. وهاو هو ذا أحد أفراد البحث الجنائي يأتي مسرعًا جهة المقدم شريف، لافتًا لإنظار الجميع، خاصة فارس، والذي كان ينتظر النتيجة على أحر من الجمر.

يتفاجأ المقدم والأصدقاء والمشرف مجدي أيضًا، وذلك عندما قيل للمقدم: "التلج مش مسموم يا أفندم".. عندها نظر المقدم نحو فارس والذي ما كان منه إلا أنه مبتسم فقط.. وبعد سماع جلال لذلك الكلام أخذ يردد: "الله أكبر.. الله أكبر..

الحقيقة بانت.. شكرًا يا فارس بجد.. شكرًا من كل قلبي".. ثم حدثه المقدم قائلًا: "يمكن ده يبرأك من الجريمة علشان إحنا أثبتنا إن خدعة التلج مستُخدمتش في الجريمة، لكن ده ميمنعش إنك ممكن تبقا القاتل وتبقا استخدمت طريقة تانية.. ولا إيه يا فارس؟".. فأومأ فارس برأسه إيجابًا، ثم قال: "طبعًا كلام حضرتك مضبوط".

ثم قال المقدم في يأسٍ بدا على ملامحه: "كده إحنا رجعنا لنقطة الصفر من تاني؛ مش قدامنا دلوقتي غير إننا نفتش المتهمين التلاتة ونفتش شنطهم، عسى إننا نلاقي السم مع حد فيهم، ويبقا ساعتها أكيد هو القاتل".. توجه فارس نحو المقدم هامسًا في أذنيه دون أن يسمعه أحد: "بعد إذن حضرتك، وأثناء ما أنتو بتفتشوا حاجات المشتبه فيهم التلاتة.. ممكن حضرتك تسمح لي أتكلم مع منة شوية على انفراد؟ صدقني حضرتك.. كلامي معاها هيفيدنا بشوية معلومات هتساعدنا في التحقيق".

ابتسم المقدم في وجه فارس، ثم وضع يديه على كتفي فارس وقال: "بص يا فارس يبني.. أنا عجبني ذكاءك جدًّا، ومع إن ده مش قانوني، لكن مفيش مشاكل، أنا هسمح لك تتكلم معاها".. فأخذ فارس في شكر المقدم، ثم سار نحو منة طالبًا منها أن ترافقه، مما جعلها تنظر إلى المقدم متعجبة، فتجده يومئ لها برأسه موافقًا على ذهابها معه؛ فيذهب فارس رفقتها مبتعدَيْن عن الجميع، وأخذا يتحدثان هما الاثنان.. وفي هذه الأثناء كان المقدم شريف قد طلب البدء في عملية البحث في حقائب الثلاثة، وأيضًا في حقيبة المجني عليها، وظلَّت عملية التفتيش –سواءً أكان تفتيش الحقائب أم تفتيش سعيد وجلال– فترة دامت نصف ساعة تقريبًا.

وبعد هذه النصف ساعة عاد فارس برفقة منة، ليجد المقدم مبتسمًا ابتسامة عريضة استدعت دهشة فارس، فأخذ فارس في سؤاله عن سبب تلك الابتسامة، فيجيبه: "لقينا دليل إدانة جلال خلاص، بعد ما فتشنا الخيمتين وفتشنا سعيد

وجلال تفتيش ذاتي، لقينا في شنطة جلال علبة السم، والبحث الجنائي أكد إنه هو السم المستخدم في الجريمة، وهو آه ملقيناش بصمات جلال عليها، بس وجود العلبة في شنطته دليل دامغ نوعًا ما.. هو يمكن ميكنش استخدم حيلة التلج، بس أكيد استخدم حيلة تانية".. فابتسم فارس في وجه المقدم وقال في هدوءٍ شديد: "لسه حضرتك مصمم إن جلال هو الجاني برده!".

– كل الاستنتاجات قادتنا إليه يا فارس.. وكفاية أصلًا إننا نلاقي علبة السم في شنطته.

– مش سعادتك لسه قايل بنفسك، إن البحث الجنائي ملقاش بصمات جلال على العلبة.. سعادتك تفتكر واحد بالإهمال الشديد اللي يخليه يحط دليل إدانته في شنطته، بدل ما يرميه في الصحراء الواسعة دي مثلًا، هيكون حريص قوي إنه يشيل بصماته من على علبة السم.

– تقصد تقول إيه يا فارس بكلامك ده!

– أقصد أقول إن مفيش داعي حضرتك تشغل بالك بالتفكير.. لأني عرفت القاتل خلاص.

صعق المقدم مما قيل له، وبدأ يتساءل في حيرة من أمره: "عرفته؟! مين هو؟! وعرفته ازاي؟!".. فبدأ فارس بالتكلم رافعًا صوته حتى يتمكن الجميع من سماعه.. وأخذ يقول: "القاتل الحقيقي واللي كان مستخبي طول الوقت ده كله، واللي كان خلاص على وشك إنه ينفذ خطته ويضحك علينا كلنا، ونقع في الفخ اللي نصبه لينا.. هو سعيد".

كان لكلام فارس على وجوه الجميع، أثره الواضح، وخاصة سعيد نفسه، والذي بدا مرتبكًا وهو يقول: "أنت بتقول إيه! ايه التخريف اللي أنت بتقوله ده! هو أي

كلام وخلاص!".. فنهر المقدم سعيدًا لكي يصمت، ثم طلب من فارس بأن يوضح مراده أكثر، فبدأ فارس يشرح: "مبدئيًا كده، ومن خلال شوية أسئلة سألتها لمنة، قدرت إني أعرف إن سعيد هو القاتل.. أقول لحضارتكم ازاي.. أولًا لازم تعرفوا إن التحقيق مشي على هوى ومراد سعيد، وإن الفخ اللي هو عامله، كلنا وقعنا فيه، فلو تلاحظوا هتلاقوا كل حاجة مشيت بالتدريج، في الأول عرفنا إن كل الكوبيات مسمومة، وده ودانا لسؤال إن ازاي كل الكوبيات تكون مسمومة ومع ذلك سميرة بس هي اللي تموت.. فساعتها هنقعد نفكر، لحد ما نوصل لخدعة التلج دي، واللي عن طريقها هنفسر ازاي كل الكوبايات تكون مسمومة ومع ذلك سميرة بس هي اللي ماتت.. ومع وصولنا لفكرة التلج دي، فبكده إحنا حققنا أول هدف من أهداف سعيد.. وأما الهدف التاني بقا، فهو إنه كان عايز من الشرطة إنها تتهم جلال في إنه هو اللي قتل سميرة".

صمت فارس قليلًا ليجد أنَّ الجميع متفاجئ مما يسمع، وفجأة يصيح سعيد في وجهه: "إيه الخيال الواسع اللي عندك ده!".. فانتفض المقدم معلنًا عن غضبه صائحًا يقول: "أقسم بالله لو سمعت صوتك تاني، مش هيحصل لك طيب.. كمّل يا فارس شرحك، وعرّفني هو كان يضمن منين إننا هنتهم جلال؟".

فعاود فارس التكلم مجددًا: "حضرتك لو تلاحظ.. إحنا متهمناش جلال لشخصه.. إحنا اتهمنا الشخص اللي كان مسؤول عن إنه يعمل الأكل والعصير، واللي هو كان نفس الشخص اللي قوّم سميرة علشان تروح تجيب الحلويات من الأتوبيس؛ ولو حضرتك لسه فاكر، فمنة كانت قالت إنهم قسّموا المهمات بينهم؛ فبعد ما سعيد عرف إن جلال هو اللي مسؤول عن الأكل والشرب، فكان حريص كل الحرص على إن جلال هو اللي يقوّم سميرة تجيب الحلويات، فبالتالي لما نيجي

نشك في اللي عمل العصير واللي هو نفسه اللي قوم سميرة، هنشك ساعتها في جلال.. ولما نشك فيه ونفتش حاجته، هنلاقيه مجهز علبة السم المستخدمة في الجريمة، وحاططها في شنطة جلال علشان تبقا دليل عليه.. وأنا لما سألت منة ليه هي وسعيد اللي راحوا جابوا الخشب، وجلال هو اللي عمل الأكل، وسميرة هي اللي رتبت الخيم والشنط؛ قالت لي إن سعيد هو اللي قال إن هو وأنا اللي هنروح نجيب الخشب، بس من مكانين مختلفين علشان نجيب أكبر قدر ممكن من الخشب.. وبكده يا حضرة المقدم سعيد ضمن أنه ولا هو ولا منة هيجهز حد فيهم الأكل والشرب".

أوقف المقدم فارسًا، سائلًا إياه: "طيب يا فارس.. هو كده فعلًا ضمن إنه ولا هو ولا منة حد فيهم هيعمل الأكل، بس ضمن منين إن جلال هو اللي هيبقا مسؤول عن الشوي وتجهيز الأكل والعصير؟! إفرض يعني سميرة هي اللي كانت عملت العصير، ما كده خطة سعيد في إننا نتهم جلال بالجريمة كانت هتفشل".. بدا الحزن جليًّا على وجه فارس وهو يجيب: "للأسف يا حضرة المقدم.. خطة سعيد مكنتش إنه يقتل سميرة ويخلي جلال إنه يُتهم في القضية.. خطته كانت إنه يقتل حد منهم هما الاتنين، ويخلِّي التاني اللي يشيل الليلة.. أو بالأحرى نقدر نقول.. هيقتل فيهم اللي هيرتب الخيم والشنط، ويخلي اللي جهز الأكل والعصير هو القاتل". دهش المقدم من استنتاج فارس الغريب، وبدت على ملامحه علامات التعجب الشديد، وأخذ في سؤال فارس: "عرفت ازاي إن نيته كانت إنه يقتل حد منهم ويخلي التاني اللي يُتهم فيها؟!".

– أصل لو هو كان فعلًا نيته قتل سميرة بس.. كان استخدم طريقة غير دي، أو كان حتى عمل خدعة التلج فعلًا بس كان هيعملها بنفسه ساعتها، يعني أقصد إنه

هيجهز هو الأكل والعصير.. ولو كان نيته إنه يقتل سميرة ويلبسها لجلال، فهو عارف إنه مش هيقدر يطلب من جلال إنه يعمل العصير، لأن أول لما الشرطة تتهم اللي عمل العصير في جريمة القتل، ساعتها جلال هيقول إن سعيد هو اللي طلب منه إنه يعمل العصير.. أقصد أقول إن لو كان سعيد نيته إنه يقتل سميرة ويلبسها لجلال، فكان هسيتخدم طريقة يضمن من خلالها إن جلال هو اللي هيعمل العصير، لكن ده محصلش، لأني تأكدت من منة إن سعيد مكنش يعرف مين في جلال وسميرة اللي هيجهز الأكل والعصير؛ وده بيؤكد إنه مش فارق معاه هيقتل مين فيهم، وهيخلي مين فيهم اللي هيُتهم بأنه القاتل، لأن في الحالتين الاتنين هينضروا، ودي غاية سعيد أصلًا.

سُرَّ المقدم من فارس ومن استنتاجه، وبعد أن ابتسم في وجهه، أخذ يقول: "كلامك مقنع جدًّا يا فارس.. بس تقدر تفسر هو ازاي قدر يخلي جلال يقوّم سميرة تجيب هي الحلويات؟".

أخذ فارس نفسًا عميقًا ثم بدأ يسرد: "خليني أشرح لحضرتك اللي حصل بالضبط.. كل حاجة بدأت من ساعة ما همّا جم علشان يقسموا الشغل ما بينهم، فراح سعيد قايل إنه هو ومنة هيروحوا يدوروا على خشب، وبكده ساب سميرة مع جلال يقرروا هما الاتنين مين فيهم اللي هيجهز الأكل، ومين فيهم اللي هيرتب الخيم.. أو بالأحرى نقدر نقول، سابهم يقرروا مين فيهم القاتل، ومين فيهم المقتول.. فلما رجع من بعد تدويره على الخشب وعرف إن جلال هو اللي هيعمل الأكل والعصير.. قرر ساعتها إن اللي هيتقتل سميرة، وإن اللي هيبقا القاتل جلال.. فبعد ما خلصوا أكل وجه وقت الحلويات والعصير، كان عارف إن جلال طبعًا هيكتشف إنهم نسيوا الحلويات في الأتوبيس، واللي سعيد أصلًا سايبها متعمد علشان يخلي

اللي عمل الأكل والعصير يقوّم اللي هيتقتل يروح يجيبها من الأتوبيس، وده علشان يخلي الشرطة تتهم اللي قوِّم، إنه قتل اللي قام.. يعني لو كانت سميرة هي اللي عملت الأكل، كان زمانها هي اللي هتقوّم جلال يروح يجيب الحلويات من الأتوبيس، وكان زمان جلال هو اللي ميت دلوقتي، وكان زمننا اتهمنا سميرة في قتله.. وده كله سعيد قدر يعمله بالخدعة اللي عملها".

لمعت عينا المقدم مما سمعه من فارس، وأخذ في لهفة بدت عليه جلية يقول: "أنت شوقتني أعرف إيه هي الخدعة دي يا فارس، قول".

– الخدعة دي سعادتك هي إنه لما رجع من تدويره على الخشب، وعرف إن جلال خلاص هو اللي هيجهز الأكل والشرب، قرر إنه يضبط قعدة الأكل بطريقة معينة.. وده عرفته من منة لما سألتها هما كانوا قاعدين ازاي، وقالت لي إنها كانت قاعدة وعلى شمالها على بُعد خمسين سم كان قاعد جلال، وفي وشها وعلى بُعد متر ونص كان قاعد سعيد، وعلى يمينه كانت قاعدة سميرة على بُعد خمسين سم منه، يعني كانت قاعدة في وش جلال على بُعد متر ونص.. ولما سألتها مين اللي رتب القعدة بحيث تكون بالطريقة دي، قالت إنها لما خلصت تدويرها على الخشب، رجعت لقت جلال قاعد في مكانه مجهز مكان التوليع، وسميرة كانت لسه بتوضب في الخيم، فهي إدت جلال الخشب اللي هي جابته، وقعدت في وشه على بُعد متر ونص تقريبًا منه.. فسعيد لما جه وجاب الخشب اللي جابه.. كانت سميرة لسه مخلصتش توضيب في الشنط والخيم، فسعيد طلب من منة إنها تقوم وتقعد جنب جلال الناحية التانية، وقام هو قاعد في وشها.. فبالتالي يا حضرة المقدم سميرة لما خلّصت توضيب في الخيم والشنط، وجات علشان تقعد معاهم، مكنش قدامها غير إنها تقعد في وش جلال، فبالتالي لا إراديًا لما يخلّصوا أكل، وجلال يفتكر إنهم نسيوا

الحلويات في الأتوبيس، هيقوّم شخص من اللي قاعدين في وشه، وطبعًا مش الشخص اللي بيتكلم في التيليفون بتاعه، وده اللي عرفته برده من منة لما سألتها، سعيد كان بيعمل إيه لما جلال قوم سميرة تجيب الحلويات، فقالت كان بيكلّم مامته في التيليفون.. فبكده حضرتك هو قدر إنه يلعب في اللاوعي بتاع جلال.. بحيث إن جلال لما يفتكر إنهم نسيوا الحلويات، أكيد مش هيقوم هو بنفسه يجيبها، لأنه هيكون شايف إنه هو اللي شوى اللحم وجهّز الأكل وكمان العصير المتلج، فيهكون شايف إنه عمل حاجات كتير، فهيقوّم حد من اللي قاعدين في وشه، واللي هما سعيد و سميرة، وطبعًا لما يلاقي سعيد بيتكلم في التيليفون بتاعه، فهو لا إراديًا هيقوّم سميرة تجيب هي الحلويات.. وطبعًا بعد ما سميرة راحت علشان تجيب الحلويات.. هو حط السم في الكوباية بتاعتها من غير ما منة أو جلال يحسوا بحاجة، ولما سميرة رجعت وشربت من عصيرها ماتت طبعًا، وهو استغل انشغال جلال ومنة بموت سميرة، وحط من السم برده في بقايا العصير القليلة اللي كانت في الكوبايات التلاتة، علشان لما الشرطة تيجي وتلاقي إن كل الكوبايات فيها سم، تقوم مفكرة في حيلة التلج، واللي هتقودها لأنها تتهم اللي جهز العصير بالجريمة، واللي هو جلال.

نظر فارس في وجوه جميع السامعين، ليجد في وجوههم مزيجًا بين العجب والإعجاب، فعلى الرغم من تعجبهم من ذلك الاستنتاج الغريب، إلا أنهم معجبون بذكاء فارس الشديد والذي بدا جليًّا من خلال كلامه واستنتاجه؛ وبعد أن انتهى فارس من كلامه، حدثه المقدم قائلًا: "استنتاجك غريب قوي يا فارس، بس أنا اقتنعت بيه، وده يدل على العقل الجبار اللي أنت بتملكه".. ثم نظر المقدم نحو سعيد، والذي تصبب عرقًا، وبدت الرهبة والحيرة على ملامحه، وقال له: "ها يا أستاذ سعيد، ترد على الاتهام ده بإيه؟".

ولمَّا سمع سعيدٌ ما قاله المقدم، أجاب مرتبكًا: "كل اللي هو قاله ده تكهنات، ومحض ادعاءات، مفيش دليل مادي على كلامه، أو على إني قتلت سميرة".. صاح فارس بعلو صوته لافتًا أنظار الجميع: "دليل؟! كلكم بتكونوا عايزين دليل.. بتكونوا عايزين تراوغوا.. بتكونوا عايزين تهربوا من عدالة الأرض، وكأنكم لو قدرتوا تهربوا من عدالة الأرض، فهتقدروا تهربوا من عدالة السماء، العدالة الإلهية.. هناك بقا إيدك اللي قتلت بيها دي، هي اللي هتشهد عليك، وساعتها ده هيكون خير دليل على إدانتك ودناءتك.. قلت لي إنك عايز دليل صح؟ تقدر تفسر معاليك أنت ليه جبت خشب أقل من منة؟! على الرغم من إنك جيت بعدها، وده طبعًا عرفته منها لما سألتها عن مين فيكم جاب خشب أكتر.. وتقدر تفسر التصرفات الغريبة اللي عملتها، زي إنك تقوّم منة تقعد هي جنب جلال، وتقعد أنت في وشها، وتقدر تفسر عدم كلامك مع والدتك غير لما جلال افتكر إنكم ناسيين الحلويات.. هل معقول كل ده مجرد صدف حصلت! طيب لو كان ده كله صدف فعلًا.. تفسر بإيه عدم وجود سجل مكالمة أصلًا بينك وبين والدتك في الوقت اللي أنت المفروض كنت بتتكلم فيه معاها، أنا متأكد إنك أصلًا مكنتش بتكلمها، وإنك كنت مركِّز في كل كلمة جلال كان بيقولها، علشان تضمن إن جلال هيقوّم سميرة تروح هي تجيب الحلويات، مش مثلًا هيقوم هو أو يقوّم منة.. تقدر تعرفني ازاي هانت عليك والدتك تستخدمها كحيلة لجريمتك؟! تعرف إني نفسي أشوف والدتي تاني ولو لدقيقة واحدة بس، علشان أقول لها قد إيه هي واحشاني، وقد إيه بعدها عني كان صدمة ومفاجأة ليا، وقد إيه أنا بحبها، وقد إيه الدنيا وحشة وصعبة من غيرها.. الأم هي الإنسان الوحيد اللي ممكن يقتل نفسه في سبيل إنه يحميك، هي الإنسان الوحيد

اللي بيتعب لما أنت بتتعب، وبيقلق لما أنت بتقلق، وبيحزن لما أنت بتحزن، هان عليك الإنسان ده بقا إنك تستخدمه كحيلة تنفذ بيها جريمتك القذرة دي!".

انهالت دموع سعيد من عينيه جراء ما قاله فارس، ثم ذهب المقدم صوب سعيد طالبًا منه أن يُخرج هاتفه ويقوم بفتحه، ففعل سعيد ذلك وهو لا يزال يبكي، ثم نظر المقدم في سجل المكالمات ليجد أنَّ آخر مكالمة قد قام بها سعيد كانت بالأمس، وأنه لم يقم بأي مكالمة اليوم، سواء مع والدته أو حتى مع غيرها.. فتكلم سعيد بصوتٍ ضعيفٍ مهزوم وقال: "أيوة.. أنا اللي قتلتها.. وأيوة كنت عايز أخلي جلال هو اللي يلبسها، وفعلًا مكنتش عايز أقتلها هي لشخصها، كنت عايز أقتل حد فيهم، وأشيّل التاني قضيته، المهم إني أضر الاتنين وخلاص".

قام جلال من مكانه ذاهبًا نحو سعيد، فظنَّ الجميع أنه سينهال ضربًا على سعيد، أو أنه سيرد اللكمة له مرة أخرى، إلا أنه ذهب إلى حيث كان يجلس ويبكي، ثم جلس أمامه، ووضع يديه على ركبتي سعيد، ثم قال: "ليه يا سعيد؟! عملت كده ليه؟! أنا وسميرة عملنا لك إيه؟".. فسبَّه سعيد وأزاح يديه من على جسده وقال: "عملتوا إيه؟ عملتوا إيه يا خاين أنت وهي؟! أنا وسميرة اعترفنا لبعض بحبنا من سنة تقريبًا، وكنا بنحب بعض جدًّا، وهي أقسمت لي على حبها وإخلاصها ليا، لحد ما في يوم رحت أزورها في البيت، لقيتك خارِج من عندها، وبتحضنها قبل ما تمشي.. فساعتها الدم غلي وفار في عروقي، وقلت أكيد هي قالت لك إنها مبتحبش حد غيرك، وحكِت لك على اعترافي ليها، وإنها قالت لي إنها بتحبني، بس ده كان كدب، لأنها مبتحبش غيرك، وأنت طبعًا فضلت تتريق وتضحك عليا.. فقررت إني أنتقم منكم أنتم الاتنين، وجات لي فكرة الجريمة بتاعت الرحلة دي، إني أقتل حيوان

منكم، وأخلي الحيوان التاني اللي يُتهم في القضية".. مُلِئَت عينا جلالٍ بالدموع، وبعد لحظات من الصمت، قال جلال باكيًا: "للأسف أنت تسرعت يا سعيد".

– تسرعت؟! تسرعت ازاي؟! تقصد إيه بكلامك ده؟

– اللي أنت متعرفهوش، أو أي حد تاني يعرفه، إن أنا وسميرة اخوات.. بس من نفس الأم، والأبين مختلفين.. وأنا أكبر منها بسنتين، بس دخلنا أولى ابتدائي مع بعض، لأني دخلتها متأخر سنتين، وده بسبب ظروف اضطرتني لكده، وهي نفسها الظروف اللي خلتنا أنا وسميرة نخبي إننا اخوات لحد دلوقتي.. يعني سميرة أختي يا سعيد، وهي فعلًا حكت لي عن حبكم لبعض، بس هي كانت فعلًا بتحبك يا سعيد، ومبتحبش حد غيرك أبدًا.

فتح سعيد فمه من هول ما سمع، ولم يقم بأي حركة، وكأنه قد أصيب بالشلل؛ وعندما استعاد تركيزه مرة أخرى، أخذ يقول: "أنت كداب".

– صدقني يا سعيد دي الحقيقة اللي محدش يعرفها، وإحنا مخبينها عن الناس كلها، ولو كنت مش مصدقني ف لحظة أثبت لك".. فقام جلال بإخراج محفظته وقام بإخراج منها ورقتين، ثم قام بإعطائهما إلى سعيد، ليتضح أنهما شهادتي ميلاد جلال وسميرة، وليتضح أن بيانات الأم في الشهادتين متطابقة.. فنظر سعيد في وجوه الجميع، وقال صارخًا يبكي وهو يشير إلى نفسه بكلتا يديه: "يعني أنا قتلت حبيبتي بإيدي! وهي مظلومة؟! يعني أنا دمرتها ودمرت نفسي ودمرت حبنا على الفاضي؟! يعني أنا كنت هورّط أعز أصدقائي في قتل أخته؟! يعني إيه؟! يعني إيه؟! يعني كل التخطيط وكل اللي أنا عملته ده، كان ممكن ميكنش منه لازمة، لو بس روحت سألت سميرة عن اللي أنا شوفته! أنا لازم أتعدم.. لازم أتعدم".

وظلَّ في بكائه وتأنيبه لنفسه، وأخذ جلال يواسيه ويحتضنه، إلى أن أمر المقدم بالقبض عليه، ثم أخذته الشرطة في إحدى سياراتهم، منتظرين عودة المقدم شريف، والذي سار نحو فارس وأبدى له إعجابه الشديد قائلًا: "لازم يبقا لينا لقاءات تانية يا فارس.. عقلية زي اللي عندك دي لازم أقابلها كتير".

ابتسم فارس في وجه المقدم، وشكره على رأيه فيه، ثم عاود المقدم كلامه مرة أخرى وكأنه تذكر شيئًا قد نسيه: "ألا صحيح يا فارس، هي والدتك اتقتلت ازاي؟".. تفاجأ فارس من سؤال المقدم، وفي دهشة شديدة أخذ يسأله: "عرفت ازاي إنها ماتت مقتولة؟! أنا كل اللي نوهت عنه إنها ميتة"

– كونك تقول يا فارس كلام زي إنك عايز تقول لها قد إيه إنك كنت بتحبها، وقد إيه هي واحشاك، وقد إيه إن موتها فاجأك، فده يدل على إنها ماتت من غير ما تكون أنت عامل حسابك.. يعني ممتتش بسبب مرض أو عُمْر".

– ما هي ممكن تكون ماتت بسبب حادثة برده.. ليه حضرتك قلت مقتولة برده مش فاهم؟!

– ما حادثة يعني مقتولة برده يا فارس..

قالها المقدم وهو يضحك بصوتٍ عالٍ، معطيًا فارسًا ظهره، ثم أضاف يقول: "سلام يا شيرلوك عصرك".. فتمتم فارس مازحًا: "إيه الضابط الحقير ده!".. ثم أتى المشرف مجدي محدثًا فارسًا يقول: "أنت فخر لجامعة القاهرة كلها يا فارس.. مش بس لكليتك.. أنت بقا فارس اللي ذاع صيته في الجامعة من فترة، بسبب أنه ساعد الشرطة على حل جريمة القتل اللي حصلت في الجامعة؟!".. فابتسم فارس في وجهه.. ثم قام بسؤاله سؤالًا ليس له علاقة بما قاله المشرف، إذ قال: "حضرتك هتلغي الرحلة طبعًا، مش كده؟".. فتفاجأ المشرف من عدم إجابة فارس عن سؤاله،

ولكنه علم حينها أنَّ فارسًا لم يكن من أولئك الذين يحبون الفخر بأنفسهم.. فلم يعر لعدم إجابة فارس اهتمامًا، وأخذ يجيبه: "آه للأسف.. بعد اللي حصل ده، ف الرحلة لازم تتلغي".. ثم طلب الأستاذ مجدي من السائق حنفي بأن يطلب من الجميع التأهب للعودة إلى القاهرة مرة أخرى.. فسعى السائق إلى تنفيذ ذلك، مما أصاب الجميع بخيبة الأمل والإحباط.

ثم ذهب فارس مع طارق إلى الفتاتين لكي يخبراهما بما حدث، ولكي يخبراهما بأنَّ الرحلة قد ألغيت.. وأنَّ عليهم العودة في أسرع وقت إلى القاهرة مجددًا، تاركين وراءهم كل المتعة التي كانوا سيحظون بها، إن لم تكن تلك الجريمة قد حدثت.. وفي طريق العودة كان الحزن وضيق الصدر قد سيطرا على الطلاب وتمكَّنا منهم.. فمَن كان يراهم أثناء طريق الذهاب، لا يراهم أثناء طريق الرجوع.

*****

الفصل العاشر

في صباح اليوم الرابع من العطلة التي نالها الطلاب، إذ كان أسبوع العطلة لم ينتهِ بعد، نعم مرَّ منه ثلاثة أيامٍ، لكنَّه ما زال قائمًا، كان رجب في طرقة منزله على أريكته، فاتحًا عينيه، ناظرًا نحو السقف متأملًا فيه، مشعلًا سيجارته الثالثة هذا الصباح، واضعًا قدمه اليمنى على اليسرى على طول الأريكة، مسندًا ظهره على طرف الأريكة، وقدمه كانت تصل إلى آخر الأريكة من الطرف الآخر، وبينما كان مستغرقًا في تأمله، قاطع تركيزه صوت جرس الباب، مما استدعى اندهاش رجب إذ قال: "مين على الصبح كده! هما مش معاهم مفتاح ولا إيه!".

وقف رجب من على الأريكة قاصدًا الباب، مغلقًا إحدى عينيه، وناظرًا بالأخرى من الثقب الذي كان في منتصف الباب، حتى يتمكن من معرفة من بالباب، عاد للخلف فزعًا مضطربًا عندما رأى أنَّ الشخص الواقف أمام الباب هو مايو، فلم يعلم رجب سبب زيارة مايو له في مثل ذلك الوقت من الصباح، أعاد رجب النظر مرة أخرى من عين الباب، ليجد أن مايو كان مبتسمًا ابتسامة أصابته بالرعب، إذ كان مايو ناظرًا إلى عين الباب من الخارِج، ولم يحرك عينيه من عليها، وكأنه كان يعلم أنَّ رجبًا يراقبه من الجهة الأخرى.

قام رجب أخيرًا بفتح الباب، مدعيًا أنَّه يحاول إزالة النوم من عينيه، وبعد اصطناع التثاؤب، وبعدما قام بفتح الباب، أخذ في التحدث إلى مايو قائلًا بصوت يشبه صوت من لتوه قد استيقظ من نومه: "مايو! مش عوايدك يعني! ده أنت أول مرة تعملها".. لم يعلِّق مايو على كلامه، ولم يبدِ أيَّ ردٍ نهائيًّا، ثم قام مايو بتنحية رجب من أمام الباب.. حيث كان رجب وبعد أن قام بفتح الباب مغلقًا إياه بجسده،

دُهش رجب من دخول مايو إلى المنزل بهذه الطريقة، فلم يحرك ساكنًا بعد دخول مايو إلى المنزل والوقوف في أول الطرقة، ولمَّا رأى مايو أنَّ رجبًا مستغربٌ مما يحدث، أخذ يتحدث إليه أخيرًا: "إيه مش عايزني أدخل ولا إيه!".. ليتلعثم رجب ويتهته قائلًا: "لا طبعًا، البيت بيتك يا مايو، بس.."، قاطعه مايو سائلًا: "بس إيه!".

– بس أصلي مستغرب زيارتك ليا في البيت، ده أول مرة تحصل.

– وعلشان كده مكنتش عايز تفتح لي الباب؟!

– لا طبعًا.. ليه بتقول كده بس!

– أمال تأخرت كل الوقت ده ليه علشان تفتح؟!

– معلش أصلي كنت نايم، ولسه صاحي على صوت جرس الباب!

ابتسم مايو ابتسامة لم يفهم رجب سببها، ولكنَّه سرعان ما علم سبب ابتسامة مايو، إذ أخذ مايو يتكلم ويقول: "نايم! نايم برده!".. ارتبك رجب بعض الشيء، ثم استجمع قواه وقال: "بس متقلقش يا مايو صحيت أهه".

– أنت مكنتش نايم أصلًا يا رجب.. ريحة السجاير اللي في الصالة هنا بتقول كده، بتقول إن فيه حد كان بيشرب سجاير دلوقتي أهه، والسجاير التلاتة اللي في الطفاية دلوقتي، واللي واحدة منهم لسه بتطلع دخانة، يشهدوا عليك، وخصوصًا إن ده نوع السجاير اللي أنت مبتشربش غيره.

نظر رجب إلى الأرض لم يدرِ ما يقول، ولكنه استجمع شجاعته، ونظر في عيني مايو وقال: "اعذرني يا مايو يا صاحبي، كان لازم أقول لك كده علشان تمشي، وفعلًا مكنتش عايز أفتح لك الباب، أصلي مش عايز أخويا أو أمي يشوفوك معايا، وهما نايمين دلوقتي، فممكن أي حد منهم يصحى فجأة ويشوفك هنا وتبقا مشكلة".. ترك مايو رجبًا واقفًا أمام الباب، ثم توجه صوب الأريكة التي كان يجلس

عليها رجب، ثم ألقى بنفسه عليها، واضعًا إحدى قدميه على الأخرى، طالبًا من رجب أن يغلق الباب، ويأتي خلفه.

وفي دهشة من رجب، قام بإغلاق الباب ثم توجه نحو مايو قائلًا: "بس يا مايو زي ما قلت لك، أخو...."، قاطعه مايو قائلًا بصوتٍ جعل رجبًا يصاب بالذعر: "يظهر إنك نسيت مين مايو يا رجب! عبيط أنا علشان أصدق إن أهلك هنا؟! أنت لوحدك في البيت يا رجب دلوقتي".. تفاجأ رجب من معرفة مايو بشأن عدم وجود أحد معه في ذلك التوقيت في المنزل، وأخذ في سؤاله: "عرفت ازاي يا مايو؟!".

– لأن لو فيه حد في البيت هنا، أنت مكنتش هتفتح لي أساسًا لما تعرف إني أنا اللي على الباب، وده طبعًا خوفًا منك على إن حد من أهلك يشوفنا سوى..

ارتبك رجب بعض الشيء، وبعد أن ابتلع ريقه، قال محدثًا مايو: "فعلًا يا مايو كشفتني، بس تقدر تعرفني طيب سبب زيارتك المفاجأة دي إيه! ده أنت حتى مرنتش عليا تعرفني، هل ليه علاقة بسامية أو بالشخص اللي حط لنا جهاز التصنت في العربية؟!".

– لا موضوع سامية ده خلصان، متشغلش بالك بيه!

– مشغلش بالي بيه! أنت وصلت لحاجة ولا إيه!

– ههههه طبعًا وصلت، مش قلت لك إني هدور في الموضوع بنفسي.

– ووصلت لإيه بقا يا مايو!

– بص يا سيدي، سامية أصلًا ميتة من تاني يوم إحنا قلنا لها فيه إننا اللي قتلنا أختها، يعني هي ماتت قبل اليوم اللي اتحط لنا فيه جهاز التصنت في العربية بأربع أيام مثلًا، وده اللي عرفته من مصادري.

– ماتت! ماتت ازاي! يعني هي ملهاش علاقة باللي حط لنا جهاز التصنت في العربية؟!

– ليها وملهاش في نفس الوقت.

– ازاي مش فاهم.

– أقول لك ازاي يا رجب، ليها، لأن بسببها الشخص اللي حط لنا الجهاز عرف يعمل كده، وملهاش، لأنها مش هيا اللي حطته، وبرده هيا مكنتش تعرف حاجة عن كده، أبسط لك الموضوع شوية، بص متنساش إن اللي حط لنا الجهاز في العربية ده ذكي جدًّا، ذكي لدرجة إن مايو بنفسه شهد له بكده، وثانيًا متنساش إن اللي عمل كده، استغل معرفته بإننا بنيجي عند سامية البيت، واستغل فضولنا بإننا لما نشوف بيتها مفتوح وهي مبتخرجش لينا، إننا هندخل نشوف هي فين، ونشوف إيه اللي بيحصل بالضبط.. ومين اللي هيعرف حاجة عن طبيعة اللي سامية بتعمله معانا، غير شخص قريب منها، وبحكم إنها وحيدة، معندهاش زوج أو عيال أو اخوات، أو أهل حتى، غير أختها اللي قتلناها، فأكيد اللي استغل الليلة دي، هو ابن أختها، قريبها الوحيد.. واللي عرفت إن اسمه فارس، وعنده عشرين سنة، وهو لسه حتة طالب لا راح ولا جه.

تفاجأ رجب من كلام مايو، وأبدى دهشته مما سمعه، ثم أخذ في سؤال مايو: "أفهم من كلامك إن اللي حط لنا الجهاز في العربية، وإن اللي كان بينخور ورانا، حتة عيل عنده عشرين سنة؟!".

– اللي بيأكد استنتاجي ده، إن ليه على الرغم من الشهور الكتيرة اللي فضلنا نروح فيها عند بيت سامية، إلا إن اللي حصل ده محصلش إلا لما سامية ماتت بعد موت أختها، أو بمعنى أصح، انتحرت.. أيوة يا رجب انتحرت، وتعرف المفاجأة إيه،

إني عرفت من مصادري هناك، إنها انتحرت قدام ابن أختها، تعرف ده سببه إيه! سببه أكيد إنها بتقول لابن أختها ده، إن الناس اللي هي شغالة معاهم هما اللي قتلوا أمه، وهيا علشان ندمانة على شغلها معاهم فانتحرت قدامه، بعد ما عرَّفته كل حاجة عن طبيعة شغلنا، وإلا تفسر بإيه يا رجب، إن العامل المشترك الوحيد، بين أمال وسامية والشخص اللي يقدر يدخل بيت سامية، هو نفس الشخص، فارس، واللي قرر ينتقم لأمه عن اللي عملناه فيها، بس اللي حقيقي شاغلني، مين الشخص اللي كان مع فارس لما كنا خلاص على وشك إننا نمسكه عند القصر المهجور! لسه معرفتش مين ده.

أعلن رجب اندهاشه مجددًا مما يسمع من مايو، ثم أخذ في سؤاله: "طيب وناوي على إيه مع الواد ده!".

– أنا وصَّلت المعلومة للي فوق، ومستني الرد بخصوص قتله.

– أه طبعًا لازم نقتله، لازم نخلص منه.. بس ثواني أنت بتقول إن مش ده اللي أنت جاي البيت هنا ليا علشانه، أومال أنت جاي ليه؟!

ابتسم مايو ابتسامة خبيثة، أصابت رجبًا بالذعر، وعلى إثرها تكلم مايو وقال: "هو أنا مقلتلكش! أصل وأنا بوصل معلومة إن فارس بينخور ورانا، وصلت معلومة إننا رحنا القصر المهجور برده، بس قلت إن أنت السبب في كده يا رجب، وإنك أنت اللي أصريت إننا نروح على الرغم من إني حذرتك إن اللي فوق لو عرفوا هيستاؤوا، وإنك قلت وهما هيعرفوا منين.. فأنا جاي هنا دلوقتي بأمر من اللي فوق".. وقف رجب من مكانه فزعًا وبعد أن تغيرت ملامحه، وأخذ في ربكة شديدة يقول: "يعني إيه يا مايو! يعني غدرت بيا وخونتني! بس مش ده اللي حصل، ده اللي حصل عكس كده".

وعلى صعيدٍ آخر كان فارس في منزله يحتسي كوبًا من القهوة، التي اعتاد أن يشربها من يد أمه، ولكنَّه حاول أن يتأقلم على مذاقها من يديه، وبينما كان منشغلًا في تذوقه قهوته، إذ بهاتفه يرن، ليتفاجأ بأنَّ المتصل هو اللواء إسلام، فسرعان ما يجيبه فارس: "ألو.. ازيّ حضرتك يا عمو".

– فارس حبيبي.. ازيك أنتَ يا حبيبي.

– بخير يا عمو الحمد لله.

– اعذرني يا حبيبي، أنت عارف سفريات عمك إسلام كتير، ومشاغله أكتر، مفضتش الفترة اللي فاتت دي خالص علشان نتكلم في الموضوع إياه، طمني يا حبيبي فيه جديد!

– فيه يا عمو آه.. أنا تقريبًا كده عرفت شكل اتنين منهم، وعرفت أسماءهم الوهمية كمان.

– بتقول إيه! وده حصل ازاي! لا أنت تجيلي وتقابلني حالًا ونتكلم في الموضوع، يا أما نتمشى بعربيتك أو عربيتي أو حتى على رجلينا، لأننا مش هنعرف نتكلم في البيت هنا، المهم أنا مستنيك يا فارس، تعالَ في أسرع وقت.

– حاضر يا عمو، مسافة السكة.

– في انتظارك يا حبيبي، مع السلامة.

– مع السلامة يا عمو.

أغلق فارس الهاتف مع اللواء إسلام، ثم أخذ في تبديل ملابسه، وبعد مرور بعض الدقائق، قد أغلق فارس باب المنزل، وأخذ في ركوب سيارته، والتوجه إلى منزل نور، واستغرق فارس في طريقه إلى منزلها خمسًا وأربعين دقيقة، وذاك بسبب الزحام الذي كان في الطريق، ومع وصوله إلى المنزل، يتفاجأ فارس بأنَّ سيارة الإسعاف واقفةٌ أمام

منزل صديقته، فينزل من سيارته وعلى وجهه علامة استفهام، فتزداد دهشته، عندما يرى رجلي إسعاف يحملان اللواء إسلام على ناقلة المرضى والمصابين، ويذهبان صوب سيارة الإسعاف ويدخلانه فيها.

وبينما كان الرجلان يحملان اللواء، كانت نور وأمها يحتضن كلٌ منهما الآخر أمام باب المنزل، والبكاء يقطع قلبيهما، فيسرع فارس صوبهما ليسألهما عما قد حدث، فتجيبه والدة نور: "الحقنا يا فارس يبني، عمك إسلام وقع من على السلم.. خد السلم كله شقلبة، وراسه خبطت كذا مرة، ولما جرينا عليه، لقيناه مبيردش ولا بيتحرك، فطلبنا الإسعاف بسرعة".

– لا إله إلا الله، وازاي ده حصل، هو مكنش مركز وهو بينزل ولا إيه.

– والله يبني أنا كنت مستنياه تحت على أول السلم، وهو كان نازل من على السلم مركز معايا أنا، وزي ما تقول رجليه اتعجصت أو اتكعبلت وهو بينزل، علشان كده وقع الوقعة دي.

– خير يا طنط، إن شاء الله سليمة..

توجه فارس إلى نور بعينيه، ليجد أن عينيها شديدتي الاحمرار، بسبب البكاء والحزن، فيأخذ في قوله: "متقلقيش يا نور، إن شاء الله عمو هيبقا بخير".

– ربنا يستر يا فارس، بابي لو حصل له حاجة، أنا معرفش إيه اللي ممكن يحصل لي.

– إن شاء الله سليمة يا بنتي، متقوليش كده.

وبينما كان فارس يهدئ من روع نور وأمها، يخرج محمد ورغدة من المنزل، وعلى وجهيهما حزنٌ لم يستطيعا أن يكتماه.. فيطلب فارس من نور التماسك حتى يساعد ذلك في طمأنة إخوتها الصغار، وبعد أن تم وضع اللواء إسلام في سيارة الإسعاف،

ركضت والدة نور مسرعة تجاه سيارة الإسعاف، لتقوم بالولوج فيها، طالبة من المسعفين الركوب إلى جوار زوجها، ليسمحا لها على مضد بالركوب، ومع رحيل سيارة الإسعاف، طلب فارس من نور إغلاق المنزل جيدًا، ومرافقته مع محمد ورغدة في سيارته، حتى يتبعوا سيارة الإسعاف.

وبعد نصف ساعة من مغادرتهم، كانوا جميعًا قد وصلوا إلى المشفى، وكان الطبيب قد بدأ بالفعل بفحص اللواء إسلام، وكان فارس رفقة الجميع خارج الغرفة التي يتم بها الكشف عن اللواء إسلام، وكان القلق بادٍ على نور وأمها، ولكنَّهما كانتا متماسكتين، حتى لا تؤذيان محمدًا ورغدة بحزنهما، فطلب فارس من نور أن تحتضن رغدة وتطمئنها، وذهب هو بنفسه يطمئن محمدًا.. وبعد مرور ما يقارب النصف ساعة، خرج الطبيب من الغرفة، ليسرعوا جميعًا تجاهه سائلين عن حال اللواء إسلام.. فيجيبهم الطبيب بشيءٍ من الحزن قد بدا على ملامحه: "للأسف الوقعة كانت شديدة جدًّا، وخصوصًا إنه وقع كذا مرة على رأسه، هو للأسف هيفضل فاقد الوعي كده، يومين أو تلاتة، وفيه احتمال كبير لما يصحى، تكون الخبطة أثرت على ذاكرته".

بكت نور وأمها إثر ما سمعتاه من الطبيب، فبكى على بكائهما محمد ورغدة، وقبل أن يرحل الطبيب، أخذ فارس يسأله: "تأثر على ذاكرته ازاي يا دكتور! ممكن حضرتك توضح أكتر".

– هو فيه احتمال صغير جدًّا إن الخبطة متأثرش عليه بحاجة، بس الاحتمال الأكبر إنه هيفقد ذاكرته بشكل مؤقت، قد يصل لشهر أو حتى أكتر، وهيكون معرض إن الذاكرة ترجع له في أي وقت، ولأي سببٍ كان.

– طيب حضرتك هو يقدر يخرج من المستشفى إمتى؟

– والله زي ما أنا لسه قايل، هو حاليًا فاقد الوعي، وفقده للوعي ممكن يستمر يومين أو تلاتة، لما يفوق بقا، هنسيبه يومين كمان تحت الملاحظة علشان نطمن إن مفيش مضاعفات، وبعد كده هنسيبه يخرج معاكم، بس طبعًا بعد ما نعرفكم كيفية التعامل معاه هتكون ازاي.

شكر فارس الطبيب على مجهوده، وبعدما رحل الطبيب نظر فارس في وجوه الجميع، ليجدها مصابة بالإحباط، فيأخذ في قوله: "يا جماعة مينفعش تفضلوا قلقانين كده، الحمد لله إن عمو بخير، والحمد لله إن الوقعة معملتلوش أي كسور في العمود الفقري، نحمد الله إنها جات على قد كده، ثم مينفعش يا طنط أنتِ ونور تفضلوا تعيطوا كده، حتى علشان محمد ورغدة، أو عمو لما إن شاء الله يفوق بالسلامة، فمينفعش تفضلوا زعلانين كده".

مرت ثلث ساعة منذ أن غادرهم الطبيب، وكان فارس أثناء ذلك الوقت جالسًا فقط لمواساتهم، فتارة يواسي نورًا، وتارة أمها، وتارة يأخذ في تهدئة إخوتها الصغار.. وفجأة وعلى حين غرة، يرنُّ هاتف فارس، وإذ به يتفاجأ أنَّ المتصل هو صديقه شادي، ليبتعد فارس قليلًا حتى يتمكن من التكلم على راحته، ولمَّا قام بالإجابة، إذ به يرى أن صديقه شادي يصرخ باكيًا يقول: "الحقني يا فارس.. الحقني".. فيسأله فارس مستغربًا سبب بكائه: "إيه يبني فيه إيه! حصل إيه!".

– الحقني يا فارس، أخويا مقتول في البيت يا فارس.. دخلت عليه أنا وأمي لقيناه مقتول، وعملت زي ما أنت بتعمل، مخلتش أمي تقرب منه، أو حتى تلمس أي حاجة في المكان.. تعالَ يا فارس بسرعة أنا مش عارف أعمل إيه.

– بتقول إيه! مقتول! طيب أنا جاي حالًا، وهقفل معاك وأكلم الشرطة وأقول لهم عنوانكم، وهكون عندك قبلهم.

أغلق فارس مسرعًا الهاتف، ثم توجه في عجالة نحو نور والآخرين، ليقول في ربكة قد بدت عليه: "معلش يا جماعة أنا مضطر أمشي حالًا".. لتسأله نور ماسحة الدموع من عينيها عما قد حدث: "خير يا فارس حصل حاجة! الاتصال اللي جالك ده قال لك حاجة ضايقتك!".

– خير يا نور خير، هعرفك بعدين اللي حصل، المهم أنا لازم أمشي حالًا.

رحل فارس مسرعًا تاركًا الجميع وراءه، وأخذ وهو في طريقه نحو سيارته يتصل بالرائد سليمان ليخبره ما قد حدث، وليخبره أيضًا بعنوان منزل شادي، وأخذ بعد أن أغلق المكالمة مع الرائد في ركوب سيارته والتوجه بها في أسرع ما يمكن نحو منزل صديقه شادي، ومع وصوله، نزل من سيارته، وبعد أن ركض مسرعًا تجاه مدخل العمارة الكبيرة، فوجئ عندما دخل أنَّ راجيًا جالسٌ على السلم، ولما رأى فارسًا قام بالابتسام، ليقول فارس مندهشًا: "راجي! أنت بتعمل إيه هنا!".. فيجيبه بهدوء شديد: "نفس اللي أنت جاي تعمله يا فارس".

– يعني إيه!

– يعني لما نطلع فوق لصاحبك، هتفهم لوحدك.

أنهى راجي مقولته ثم قام من مكانه، وأخذ يصعد مسرعًا درجات السلم تاركًا فارسًا رفقة الحيرة التي كانت عليه، وسرعان ما تدارك فارس الموقف وأخذ هو الآخر يركض تجاه الدور الثالث من العمارة التي كانا فيها.. ومع وصول فارس، وجد أن شادي قد بدأ في فتح الباب، فعلم أنَّ راجيًا قد دقَّ الباب عندما وصل، وعندما فُتح الباب، بدأ فارس يسمع صوتَ بكاءٍ آتٍ من صالة المنزل، فعلم أنه صوت بكاء والدة شادي.. ولمَّا رأى شادي أنَّ فارسًا هو الذي بالباب، أخذ في احتضانه والبكاء بين يديه كما الأطفال، ليأخذ فارس في تهدئته قائلًا: "اهدى يا شادي،

اهدى يبني خليني أعرف إيه اللي حصل، فهمني، أنا مفهمتش منك حاجة".. ليتركه شادي ويرجع قليلًا إلى الوراء قائلًا: "رجعنا أنا وماما البيت عادي، ولما دخلنا أوضة أخويا خالد لقيناه ميت في سريره، فيه طلقة في رأسه، والدم في كل مكان، ولقينا مسدس مرمي على الأرض، بس طبعًا افتكرتك ساعتها، وعرفت إنك بتمنع الناس إنها تقرب من الجثث أو مكان ارتكاب الجرايم، فمنعت نفسي ومنعت ماما من إنها تقرب له".. دهش فارس مما قد سمعه من شادي، واتسعت حدقتا عينيه، إذ تذكَّر الطريقة التي قد قتلت بها أمه.

أخذ شادي يعيد إلى فارس تركيزه، وذلك عندما تكلم مرة أخرى وقال: "عايزك تعرف لي مين اللي عمل كده في أخويا يا فارس، لازم تعرفه يا فارس".

– اهدى يا شادي ماشي، اهدى أنت بس، عمومًا أنا بلغت الشرطة وهما زمانهم جايين، المهم دلوقتي وريني أوضة أخوك دي فين..

سار شادي ومن ورائه فارس، وراجي أيضًا الذي لم يبدِ أي فعلٍ لدرجة أنّ شادي لم يلحظ وجوده حتى، وبمرورهم أمام والدة شادي التي كانت منهارة على أريكة الصالة، قد أخذوا يمينهم، ليجدوا غرفة في آخر الممر، عندها يشير شادي إلى تلك الغرفة قائلًا: "هي دي أوضته يا فارس، أنا مش هدخل، ادخلها لوحدك يا فارس".

قالها شادي ثم عاد مرة أخرى إلى الصالة، ثم جلس إلى جوار أمه وقام باحتضانها، وفي هذه الأثناء كان راجي قد دخل إلى الغرفة وأخذ بالوقوف أمام بابها مبتسمًا فقط، لا يفعل شيئًا، فيستغرب فارس سبب تبسمه، ومع وصوله إلى باب الغرفة، وقعت عينا فارس على المسدس الذي كان على الأرض، ليتفاجأ بأنه لديه نفس شكل ومواصفات وحجم المسدس الذي قد قُتلت به أمه، ثم أخذ ينظر إلى

الدماء التي كانت على السرير، ولمَّا وقعت عيناه على وجه خالد، صُعق ولم يصدق ما رأته عيناه، فلم يحرك فارس ساكنًا، إذ كان لهول ما رآه تأثيره على تصرفاته.

ابتسم راجي مرة أخرى، وبعد أن ذهب تجاه فارس أخذ يقول: "واضح من ردة فعلك إنك أول مرة تشوف خالد أخو شادي.. علشان كده يومها معرفتش إنه هو".. لم يعلَّق فارس على ما قاله راجي، وكأنه لم يسمع ما قاله من الأساس، فأخذ راجي في تحريك كتفي فارس حتى يفيقه من الصدمة التي كانت عليه، ولمَّا شعر راجي بأنَّ فارسًا قد أفاق، أخذ يقول: "لازم تركز علشان الشرطة هتيجي زي ما أنت بتقول، ولو الرائد شافك مصدوم كده على غير العادة هيتفاجأ".

ذهب فارس ناحية باب الغرفة ثم أخذ في الجلوس على الأرض، مسندًا ظهره على الباب، وواضعًا ذراعيه على ركبتيه، وأخذ يقول بصوتٍ حائرٍ لم يسمعه راجي: "خالد أخو شادي، هو رجب!".

****

نهاية الجزء الأول.. انتظرونا في الجزء القادم.